

عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

اليسار الفلسطيني بعد أوسلو

حياة رمضان علي عياد

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

اليسار الفلسطيني بعد أوسلو

إعداد:

حياة رمضان علي عياد

بكالوريوس صحافة وإعلام/ تخصص إعلام
الجامعة الإسلامية في غزة - فلسطين

المشرف الرئيس: الدكتور عبد المجيد سويلم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية من معهد الدراسات الإقليمية/ جامعة القدس.

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
الدراسات الإقليمية/ الدراسات العربية

إجازة الرسالة

اليسار الفلسطيني بعد اوسلو

حياة رمضان علي عياد
الرقم الجامعي: ٢٠٣١١٦٦٩

المشرف: الدكتور عبد المجيد سويلم

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: / / من لجنة المناقشة المدرجة أسماءهم وتواقيعهم:

- | | |
|----------|------------------------|
| التوقيع: | ١- رئيس لجنة المناقشة: |
| التوقيع: | ٢- ممتحناً داخلياً: |
| التوقيع: | ٣- ممتحناً خارجياً: |

القدس - فلسطين

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

إهداء

إلى شهداء فلسطين الأبرار
إلى أسرى وجرحى ومعاقى هذا الوطن
إلى والدي الكريمين اللذين منحاني القوة
إلى زوجي الحبيب محمد
إلى أبنائي وفلذات كبدي: بشار، ميساء، ومرام
إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء
إلى أساتذتي وزميلاتي وزملائي في مجالي الدراسة والعمل
إلى كل من ساعدني وأسدى لي النصيحة في سبيل إتمام دراستي هذه
وإلى كل الغيارى على مصلحة الوطن.

إقرار

أقر أنا مقدمة الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير وإنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

الاسم: حياة رمضان على عياد

التاريخ ١١/٦/٢٠٠٦م

شكر و عرفان

يسرني أن أقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى جامعة القدس ممثلة برئيسها الدكتور سري نسيبة، وإلى أقسامها المختلفة وخاصة عمادة الدراسات العليا، وإدارة معهد الدراسات الإقليمية ولجنة المناقشة على ما قدموه من مساعدة لإنجاز هذا العمل على أكمل وجه، وأخص بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان أستاذي ومشرفي التقدير الدكتور عبد المجيد سويلم، وكل من الدكتور إياد البرغوثي، والدكتور محمود محارب، وأيضاً الأخت العزيزة مها زاهر، لما قدموه لي من دعم ومساندة. وأتقدم بالشكر الجزيل إلى زوجي محمد الذي ساعدني وباستمرار في إتمام هذا العمل، رغم انشغاله العميق في عمله بجريدة القدس.

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى جميع من أجريت معهم مقابلات أو حوارات حول موضوعات هذه الرسالة والواردة أسماؤهم في ختام هذه الرسالة وأولئك الذين لم ترد، وبشكل خاص كل من السادة: قيس عبد الكريم "أبو ليلي"، أحمد قطامش، مهند عبد الحميد، وغازي الصوراني، أحمد سعادت، وذلك لما قدموه لي من معلومات وحقائق من واقع تجاربهم النضالية الطويلة، وإلى الأخوات والإخوة في مقار كل من: حزب الشعب الفلسطيني، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

كما أشكر القائمين على مكتبة البيرة وبشكل خاص مديرها الأستاذ سليم البسط، والأخوة، عامر عوض الله، سماح سماحة، عزة جبر، وأيضاً زميلاتي وزملائي في وزارة التربية والتعليم العالي. وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني إلى كل من ساهم ودعم وشجع وأسدى النصيحة في سبيل إتمام دراستي وإنجاز الرسالة بهذا الشكل.

الملخص

تحمل الدراسة التي بين أيدينا عنوان " اليسار الفلسطيني بعد أوسلو"، حيث تهدف إلى إطلاع الباحثين والدارسين والمهتمين على واقع اليسار الفلسطيني باعتباره جزءاً هاماً من الحركة الوطنية الفلسطينية، والذي لعب منذ نشأته دوراً فاعلاً ومميزاً في الحياة السياسية و النضالية، والاجتماعية. إلا أن هذا اليسار يعيش اليوم أزمة حقيقية أثرت وتؤثر سلباً على واقع الحركة الوطنية وعلى المجتمع، وقد دفعتهما إلى الوراء، كما أحدث تراجعها خلخلة سياسية واجتماعية في المجتمع الفلسطيني.

تتناول الدراسة تحليلاً لواقع اليسار الفلسطيني في مرحلة هامة وخطرة من حياة الشعب الفلسطيني وهي مرحلة أوسلو وما بعدها، من خلال ثلاثة من رموز هذا اليسار هم: حزب الشعب الفلسطيني (الذي هو امتداد للحزب الشيوعي الفلسطيني)، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

وتحاول الدراسة الإجابة على عدد من الأسئلة في أربعة فصول، حيث يتناول الفصل الأول، "نشأة اليسار الفلسطيني"، من خلال الحديث عن نشأة الفصائل اليسارية الثلاثة موضع الرسالة، ومراحلها النضالية المختلفة.

ويتناول الفصل الثاني، "موقف ودور اليسار الفلسطيني" ويتحدث في مقدمته عن الواقع الذي عاشه اليسار في مرحلة ما قبل وأثناء توقيع أوسلو، ثم يعرض مواقف اليسار وأدواره في أربع قضايا هامة: العملية السلمية، السلطة الوطنية الفلسطينية، وسائل النضال "المقاومة"، وعلاقاته مع الجمهور الفلسطيني.

أما الفصل الثالث، "أزمة اليسار الفلسطيني وأسبابها" فيتناول الأزمة التي يعيشها اليسار محلاً أسبابها: الموضوعية، الفكرية، التنظيمية، السياسية، والاجتماعية، وكذلك انعكاسات هذه الأزمة على قوى اليسار الثلاثة.

والفصل الرابع، "مستقبل اليسار والدور المطلوب منه"، يستعرض مستقبل اليسار كما يراه المحللون والمراقبون والمعنيون، ومحاولات توحيد، ومتطلبات التجديد له، ثم الدور المطلوب من هذا اليسار.

أما أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فهي أن اليسار الفلسطيني يعاني من أزمة حقيقية أفقدته دوره الفعال والمبادر، وخاصة بعد توقيع أوسلو وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية، فاليسار لم يغتنم طبيعة الانتقال الذي أصاب الحركة الوطنية الفلسطينية، ولم يتعامل مع النتائج الهامة المترتبة عليها، الأمر الذي فاقم من أزمته وزادها عمقاً.

وأهم توصيات الرسالة هي: يجب على اليسار الفلسطيني أن يعي الأزمة ويعترف بها، لأن ذلك هو المدخل للخروج منها، كما يجب عليه العمل على وحدة هذا التيار وإعادة تنظيم صفوفه وإعادة النظر في واقعية منطلقاته الفكرية، وأساليب علاقاته بال جماهير، وحيوية برامج السياسية والاجتماعية.

Abstract

The study that we have at hand, “The Palestinian Left Movements after Oslo” aims at making the researchers and the concerned aware of the reality of these movements that have played, since their establishment, an important, effective and distinguished role in the political, struggle and social activities of the whole Palestinian national movement. These days, however, the Left movements face a real crisis that has negatively affected the reality of both the National and the Palestinian society. This crisis has made them move back many steps and caused a political and social confusion in the Palestinian society.

The study is also an attempt to analyze the reality of the Palestinian Left movements at a significant and serious juncture, the Oslo and the post-Oslo stage, in the life and history of the Palestinian people. The study focuses on the roles of three main left movements, namely: The Palestinian People’s Party (which is an extension of the Palestinian Communist Party), the Popular Front of the Liberation of Palestine and the Democratic Front of the Liberation of Palestine.

The study also attempts to answer a number of questions in four chapters. The first chapter focuses on the rise of the “Palestinian Left Movements” by discussing the rise of the above mentioned factions and their various struggle stages.

The second chapter focuses on the “Attitude and Roles of the Palestinian Left Movements”. It discusses the reality in which the Left movements lived before and after signing the Oslo agreement. Then it presents the positions and the roles of the Left movements in four important issues: the Peace Process, the Palestinian National Authority, the means of resistance and their relationships with the Palestinian masses.

The third chapter focuses on “the Crisis of the Palestinian Left Movements and its Causes”. It discusses this crisis and its objective, intellectual, organizational, political and social causes and their reflections on the three mentioned Leftist powers.

The fourth chapter focuses on “the Future and the Desired Roles of the

Palestinian Left Movements”. It discusses the future of the Left movements as seen by analysts, observers and the concerned. It also discusses the attempts made to unificate these movements, their renaissance requirements and the desired roles that they must play.

The study has reached some important results. The Palestinian Left Movements suffer from a real crisis that made them lose their effective and initiative roles, especially after the signing of the Oslo agreement and the establishment of the Palestinian National Authority. Moreover, the Left movements did not take advantage of the transition that has occurred in the Palestinian National Movement and did not deal with the important results of this transition. This matter has deepened the crisis and even made it worse.

The most important recommendations of the thesis are: the Palestinian Left movements must recognize and understand the crisis, as this is the only way to emerge from it. In addition, they must work hard to unify their powers, reorganize their ranks and reconsider the realism of their intellectual doctrines, their relationships with the masses and the vitality of their political and social agendas.

المقدمة

تتناول الدراسة التي تحت عنوان "اليسار الفلسطيني بعد أوسلو" جزءاً هاماً من الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة باليسار، والذي لعب دوراً مميزاً وفاعلاً خلال سنوات النضال الوطني الفلسطيني، سواء على الصعيد الفكري السياسي والنظري، أم على صعيد العمل الفدائي ومقاومة المشاريع الاستسلامية، فاليسار الفلسطيني لدى انطلاخته ولأكثر من عقدين من الزمن كان يشكل قوة أساسية ومركزية في ساحة النضال، حيث أن حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" لم تستطع تجاوزه في أية قرارات حاسمة ومصيرية قبل الرجوع إليه والاتفاق معه على اتخاذ مثل هذه القرارات.

هذا واليسار أو الجناح اليساري هو من التعابير الاصطلاحية التي أصبحت مرتبطة بنظم الحكم وبالمذاهب والأحزاب السياسية المعاصرة، حيث برزت الدلالة السياسية الأولى لمفهوم اليسار مع قيام الجمعية الوطنية الفرنسية في عام ١٧٨٩م، والتي مهدت لقيام الثورة إذ كان الأشراف من أعضائه يجلسون في مكان الشرف إلى يمين رئيس المجلس، بينما كان يجلس ممثلو الشعب إلى اليسار، وأصبح من الشائع بعد ذلك في المجالس النيابية الأوروبية أن تتجمع العناصر الراديكالية التقدمية في المقاعد اليسرى من المنصة بينما يجلس المحافظون في المقاعد اليمينية^١. وقد طرحت الثورة الفرنسية في ذلك العام ثلاثة أهداف هي: الحرية، المساواة، والإخاء، تحولت إلى قيم يتبناها كل من صار يتماهى مع اليسار، وشيوع مصطلحي "يمين" و"يسار" لم يتم إلا بعد ثورة تموز/ يوليو ١٨٣٠م في فرنسا والارتباط الوثيق مع ولادة مفاهيم أخرى مثل "برجوازية"، "بروليتاريا" و"اشتراكية"^٢.

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بات هذان المصطلحان يعبران عن التعارض القائم بين أيديولوجيات وحركات وبرامج سياسية مختلفة واليوم نفتقد إلى فكر سياسي يدعو إلى اكتشاف الأسس الاجتماعية والثقافية للفعل السياسي إضافة إلى أهدافه الاقتصادية^٣، فاليسار اليوم يعبر عن

^١ عبد الوهاب الكيالي. (معد). (١٩٩٤): موسوعة السياسة. الطبعة الأولى. الجزء السابع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ص ٤١١.

^٢ ماهر الشريف. (٢٠٠٣) "هل للييسار الماركسي مستقبل في عالم متغير". الطريق. ٦، ٥، ص ٣٧.

* ويمثل اليسار في القوى التي تصر على تدخل الدولة من خلال القانون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية على أساس مبادئ:

١. النضال ضد اللامساواة من خلال الضريبة التصاعدية على المداخل.
٢. أن يكون لمؤسساتها مشاركة فاعلة في النشاط الاقتصادي، وأن لا يكون انخراطها في المباراة التنافسية مع غيرها متعارضاً مع روح القطاع العام..

القوى التي تدافع عن الاختلاف والمغايرة والذاتية والقوى التي تدافع عن التنوع الثقافي والحقوق الثقافية للأقليات وعن التفاعل بين الثقافات على قاعدة احترام الاختلافات، وعن حق كل الشعوب في المشاركة في الحياة الاقتصادية العالمية^٣. وهو الذي يدعو أيضاً إلى إزالة الفوارق الطبقيّة وإيجاد مجتمع خالي من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وتحكمه مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية^٤.

وهناك من يعرف اليسار على أنه قوة التغيير للسير للأمام بما يحرر الوطن المستعمر، ويحرر المرأة المقهورة والعمال المستغلين، وثروات الأمة من نهب الاحتكارات المعولمة والإمبريالية ويحمي ثقافة وخصائص الشعب، فاليسار في مجمله يعبر عن الطبقات الشعبية في رؤيته الفكرية السياسية والتنموية، وحسب لينينين: "إننا ضد كل اضطهاد قومي أو جنسي أو استغلال طبقي"، وبالتالي فاليسار هو الفعل الطليق والحريات الفكرية الإبداعية، يدرك حركة التاريخ في تطورها وتناقضاتها وينحاز للمعسكر التقدمي التغييرى على الدوام^٥.

أما اليسار الفلسطيني فإن البعض يرى أنه مفهوم نسبي ومصطلح مرّن جداً، فقد اعتادت الحركة السياسية الفلسطينية أن تطلق الشعارات قبل التعمق في إمكانية تحقيقها، كما يرون أن اليسار الفلسطيني اليوم لا يتعدى كونه مشروعاً لم يتبلور، ولم يتميز عن باقي الحركة الوطنية الفلسطينية، لأسباب عامة تتعلق بأزمته الخاصة، والأزمة الفلسطينية العامة، بل أن ما وصف باليمين قد تجاوز بعض القوى السياسية اليسارية بمسلكه ومشروعه السياسي حتى إن الحركات التي انفصلت عن بعض القوى اليسارية ليساريته بقيت أسيرة ولم تقدم حدثاً نوعياً يوازي خروجها من ذات القوة بل وساهمت في توزيع الأزمة التي تعيشها هذه القوى^٦.

ويرى البعض الآخر أن اليسار في ظروفنا يقوم على التحرر الوطني والاجتماعي، وضرورة بناء مجتمع مدني وقضاء مستقل، وتنمية النزاعات الثورية في المجتمع والعقلانية الثورية التغييرية، وهذا يقتضي بناء حركة ثورية وأخرى اجتماعية لخوض الصراع بمختلف الأشكال وصولاً لحسم

٣. أن لا يدار التدخل المالي للدولة والإنفاق العام، من قبل أجهزة الدولة مباشرة إلا في الحالات التي لا يكون فيها خيار بديل آخر،

بحيث تدار المؤسسات العامة مثل الجامعات والمستشفيات من قبل جمعيات أهلية وسلطات محلية.

^٣ المصدر السابق. ص ٣٧.

^٤ محمد أبو لينة/ صحفي، شخصية يسارية ديمقراطية (أيلول ٢٠٠٥). الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القدس.

^٥ أحمد قطامش/ أحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الداخل سابقاً (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): مقابلة. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مركز منيف البرغوثي. البيرة.

^٦ حيدر عوض الله. (١٩٩٢): "في مفهوم اليسار واليسار الفلسطيني". صوت الوطن. ٣٧، ص ص ٢٥-٢٦.

التناقضات والانتقال إلى بناء المجتمع الحر العادل الديمقراطي.^٧

كما أن هناك من يرى أن اليسار مفهوم عام، لأن اليمين قد يصبح في إحدى اللحظات يساراً، إلا أن "اليسار هو من يتبنى الفكر والمنهج الماركسي اللينيني في تحليله للظواهر الطبيعية والاجتماعية والفكر الإنساني، وهذا المنهج تتبناه الأحزاب الفلسطينية الثلاثة موضع الدراسة".^٨

وقد تم في هذه الرسالة اختيار مرحلة هامة وخطرة من مراحل حياة الشعب الفلسطيني وأكثرها تأثيراً عليه، وهي مرحلة أوسلو وما بعدها، حيث وقعت القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية مع الحكومة الإسرائيلية في الثالث عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٩٣م في واشنطن اتفاق إعلان المبادئ للحكم الذاتي- الإداري الذي شكل تحولاً نوعياً في الصراع العربي- الإسرائيلي عامة والفلسطيني- الإسرائيلي خاصة، وقد وقعته عن الجانب الفلسطيني محمود عباس أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في ذلك الوقت، والذي تولى متابعة هذه المفاوضات السرية بنفسه، وعن "الجانب الإسرائيلي" شمعون بيريز وزير الخارجية آنذاك كما وقعته وزيراً خارجية كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا كشاهدين. ويعد هذا الاتفاق بحق منعطفاً تاريخياً في مسار القضية الفلسطينية فهو أول اتفاق يوقعه الفلسطينيون والإسرائيليون ويتم بموجبه تنفيذ تسوية سلمية^٩.

وقد تركت هذه الاتفاقية أثرها على اليسار الفلسطيني الذي أصبح اليوم يعيش أزمة حقيقية أثرت وتؤثر سلباً على واقع الحركة الوطنية وعلى المجتمع ودفعتهما إلى الوراء، حيث أحدث تراجع اليسار خلخلة سياسية واجتماعية في المجتمع الفلسطيني، وقد احتل الإسلام السياسي موقع المعارضة اليسارية وأصبح المنافس الأقوى للاتجاه المركزي في الحركة الوطنية الفلسطينية الذي تمثله حركة فتح^{١٠}.

^٧ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

^٨ طلعت الصفدي. (آذار، ٢٠٠٦): "اليسار الفلسطيني إلى أين؟". البيادر السياسي. ٧٩٨. ص ٢١.

^٩ محسن محمد صالح. (٢٠٠٣): فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، الطبعة الأولى. مركز الإعلام العربي، الجيزة. ص- ص ٤٧١-٤٧٣.

^{١٠} معرفة أبرز تفاصيل الاتفاق يمكن الرجوع إلى: المصدر نفسه، ص ٤٧٣-٤٧٧، وإلى: تانيا راينهات. (٢٠٠٤): إسرائيل/ فلسطين سبل إنهاء حرب ١٩٤٨ بين استراتيجيات التدمير وأوهام السلام. ترجمة رنده بعث ورشا الصباغ. دار الفكر، دمشق.

^{١١} إن نجاح الحركة الإسلامية الأصولية التي نمت في الضفة الغربية وقطاع غزة في النصف الثاني من الثمانينات في التحول خلال فترة قصيرة من تنظيم صغير محدود التأثير ومحاصر من حركة وطنية علمانية إلى تنظيم ذي قاعدة جماهيرية، وتوسع نفوذ الحركة الإسلامية بعد تفجر الانتفاضة عام ١٩٨٧م - تراجع القدرة التعبوية ل م.ت.ف وفصائلها مع انتقال مركز ثقل الحقل السياسي الفلسطيني في الأراضي المحتلة

وكان من نتائج هذه المنافسة وفي ظل غياب اليسار وسباته طويل الأمد خلخلة التفكير السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية والتراجع عن التطور الذي طرأ على الفكر السياسي الفلسطيني خلال العقود الثلاثة الماضية والذي ترافق أيضاً مع تراجع ملحوظ في التأييد والتعاطف الدولي مع نضال الشعب الفلسطيني.

ويتفرع من الإشكالية الرئيسية العديد من التساؤلات الفرعية التي ستحاول الأطروحة الإجابة عليها في أقسامها المختلفة على النحو التالي:

- ما هو دور اليسار الفلسطيني في المجتمع المحلي ومدى تأثيره على الرأي العام؟
- ما مدى تأثير ممارسات الاحتلال على اليسار الفلسطيني؟
- ما هو موقف اليسار الفلسطيني من وسائل النضال " المقاومة " ؟
- ما مدى تأثير العملية السلمية من اتفاقيات أوسلو وما بعدها على اليسار الفلسطيني؟، وما موقف اليسار من هذه العملية؟
- ما هو موقف اليسار الفلسطيني من بعض القضايا المصيرية والهامة في حياة الشعب الفلسطيني؟
- ما هي علاقة اليسار الفلسطيني بالسلطة الوطنية؟
- ما هي المشاكل والصعوبات التي تواجه اليسار الفلسطيني في الوقت الراهن؟
- ما هي أسباب الأزمة التي يعيشها اليسار الفلسطيني في الآونة الأخيرة؟
- هل يمكن لليسر الفلسطيني الخروج من أزمتته؟ كيف يمكن له أن يستعيد دوره الرئيس في المجتمع المحلي؟
- هل ستمكن الفصائل اليسارية الفلسطينية من إعادة صفوفها ضمن إطار فكري منظم يشمل قوى اليسار ليكون قادراً على التحدي والصمود؟
- ما هو الدور القادم لفصائل اليسار في المرحلة المقبلة؟

وتزايد عبئها البيروقراطي وانتشار الترهل التنظيمي في أوسطها، ومن العوامل التي ساعدت في نهوض الحركة الإسلامية: نجاح الثورة الإيرانية، نجاح الإخوان المسلمين في الانتخابات في الأردن، تزايد نفوذها في مصر والجزائر والسودان، وتراجع تأثير التيارات القومية العربية واليسارية وانهيار المعسكر الاشتراكي، إلا أن العامل الأهم هو تراجع مكانة منظمة التحرير وقدراتها التعبوية بعد إخراجها من الساحة اللبنانية عام ١٩٨٢م والأحداث التي ساهمت في الاتجاه نفسه. ولمزيد من التفاصيل في هذا الشأن يمكن الرجوع إلى: جميل هلال (١٩٩٨). النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو دراسة تحليلية نقدية، الطبعة الأولى. مؤسسة الدراسات الفلسطينية و مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، بيروت. ص ص ٩٥-٩٦.

هذا وقد واجهت الرسالة العديد من الصعوبات والمشاكل أهمها:

- الافتقار إلى بعض المراجع في فقرة من الفقرات، وازديادها في أخرى، وذلك ناجم عن خصوصية الوضع الفلسطيني، حيث تتعرض الأحزاب والفصائل الفلسطينية إلى المطاردة والملاحقة من قبل قوات الاحتلال، والتي داهمت لمرات عديدة مقار هذه الأحزاب في الأراضي الفلسطينية وصادرت جميع ما فيها، أو أتلقت جزءاً كبيراً منها هذا من ناحية، أو ورغبة هذه الأحزاب في الاحتفاظ بأمور ذات شأن خاصة بها وتعتبرها أمور داخلية تخص التنظيم بمفرده ولا يجوز الإطلاع عليها من ناحية أخرى. ولعل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تحظى بكم هائل من المراجع أصدرتها الجبهة في السنوات الأخيرة على خلاف غيرها خاصة الجبهة الشعبية.

- عدم رغبة بعض قادة الأحزاب الفلسطينية في الحديث عن دور أحزابهم في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني، خوفاً من ملاحقتهم من قبل قوات الاحتلال خاصة الجبهة الشعبية التي يصنفها الاحتلال بأنها "منظمة إرهابية".

- التناقض في المعلومة الصحيحة بين أعضاء هذه الأحزاب ومن تركوها، فالبعض يؤكد بعض المفصل الأساسية لمسيرة الأحزاب والبعض الآخر يشكك بها، وذلك يعود إلى الانتماءات السياسية والأفكار الحزبية التي ينتمون إليها، أو لعدم مواكبتهم لمسيرة هذه الأحزاب.

الفصل الأول

نشأة اليسار الفلسطيني

المقدمة

في أعقاب نكبة عام ١٩٤٨م شرد الشعب الفلسطيني من أرضه، وتمزقت الوحدة الاجتماعية والاقتصادية له وتطورت تجمعاته في إطار نظم سياسية واقتصادية مختلفة، وفي مرحلة ما بعد الاحتلال الإسرائيلي لباقي الأرض الفلسطينية عام ١٩٦٧م حدث تأثير على الفعالية السياسية والانخراط في النضال الوطني والديمقراطي، وترافق مع هذا الواقع الاجتماعي والاقتصادي تنوع في الخلفيات الفكرية والسياسية التي تكون منها اليسار الفلسطيني، فهناك ما اصطلح على تسميتها بالقوى الديمقراطية الثورية التي جاءت نتيجة للتحويلات الفكرية والتنظيمية للأحزاب والحركات القومية في الستينات والسبعينات مثل الجبهة الشعبية والديمقراطية، إلى جانب التغيرات الهامة التي حدثت في الحزب الشيوعي الأردني وتجاوزت تغير الاسم لتطال الهوية السياسية، حيث تحول من حزب شيوعي أردني يضم الفلسطينيين إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني وبعدها إلى "حزب الشعب الفلسطيني"¹⁰.

وشكل توقيع اتفاقيات أوسلو وبدء تطبيقها انعطافة حادة في المسار التاريخي لحركة التحرر الوطني الفلسطينية، تفوق في حدتها منعطف منتصف الستينات الذي شهد نشوء م.ت.ف وانطلاقة المقاومة المسلحة، وهما الحدثان اللذان أرسيا الأساس لتشكيل معالم النظام السياسي الفلسطيني، وكان تأسيس الأحزاب والحركات وتحالفها في إطار الثورة الفلسطينية ضرورة تاريخية، فالإنجازات التي حققتها هذه الثورة من خلال تنظيماتها وأحزابها المختلفة متعددة ولموسة.

وقد برزت على الساحة الفلسطينية بعض الأحزاب اليسارية والأقرب إلى اليسارية، من أبرزها: الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني "فدا"، جبهة النضال الشعبي، جبهة التحرير العربية، جبهة التحرير الفلسطينية، وشخصيات فلسطينية يسارية مستقلة.

وتسلط الدراسة الضوء على ثلاثة أحزاب رئيسية من كبرى الأحزاب اليسارية على الساحة

¹⁰ عبد الرحيم ملوح. (١٩٩٨): التغييرات البنوية وأفاق التجديد. في: (محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية وأفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. مؤسسة مواطن، رام الله. ص ص ١٦٥-١٦٦.

الفلسطينية، لها دورها التاريخي المؤثر وهي: حزب الشعب الفلسطيني، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وقد تم اختيار هذه الأحزاب للأسباب التالية:

- حزب الشعب الفلسطيني، الذي هو وريث للحزب الشيوعي الفلسطيني، يعد حزباً تقليدياً وهو الأقدم في تبني الفكر الاشتراكي، كما أنه لون آخر حيث لم يشارك في المقاومة المسلحة سوى لفترات محدودة.

- أما الجبهتان الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين، رغم التفاوت فيما بينهما يعدان تنظيمان يساريان أقوى من الحزب السابق، حيث نجحتا في بناء آلاف الكادرات والمتقنين اليساريين، كما حظيتا باعتراف دولي واسع من القيادات اليسارية العالمية والدول الاشتراكية، مع العلم أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تمثل أقصى اليسار ولها بصمات واضحة على النضال الوطني الفلسطيني، وكانت تمثل في العديد من المراحل القوة الثانية على الساحة الفلسطينية بعد حركة فتح. بينما تمثل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين حالة وسطية بين الحزبين وكان لها دورها في النضال الوطني الفلسطيني.

- الأحزاب والقوى الأخرى هي أقل شأنًا في وزنها السياسي والتنظيمي والثقافي، كما أن رؤيتها وبرامجها متوفرة لدى الفصائل والقوى الثلاث السابقة.

وفيما يلي نستعرض بشكل موجز نشأة الأحزاب الثلاثة

I. حزب الشعب الفلسطيني "وريث الحزب الشيوعي الفلسطيني"♦

لم تنشأ الحركة الشيوعية الفلسطينية في مطلع العشرينات بين صفوف السكان العرب الفلسطينيين، وإنما نشأت بين صفوف الأقلية الاستيطانية اليهودية المرتبطة بالمشروع الصهيوني على إثر الانشقاق اليساري الذي وقع في أعقاب الحرب العالمية الأولى وانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية داخل صفوف الحركة العمالية اليهودية في فلسطين¹¹.

وترجع جذور الحركة العمالية اليهودية في فلسطين، وبشكل أساس إلى الجناح الصهيوني "بوعالي تسيون" داخل الحركة العمالية اليهودية في روسيا القيصرية، الذي كان ينطلق في مواقفه وسياساته من إمكانية الجمع بين الصهيونية والاشتراكية، ويدعو العمال اليهود للهجرة إلى فلسطين، وقررت

♦ على الرغم من أن البعض يعتبر حزب الشعب الفلسطيني امتداداً للحزب الشيوعي الفلسطيني، إلا أننا نعتبره وريثاً حيث أحدث تغييرات تم بموجبها التخلي عن الماركسية اللينينية- الهوية الفكرية للحزب الشيوعي على امتداد عدة عقود، إلى جانب فقدانه عدداً من قياداته.

¹¹ ماهر الشريف (١٩٨١): الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩١٩-١٩٤٨، الطبعة الأولى. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، بيروت. ص ١٧.

مجموعة من أنصار البوعالي تسيون الروسي في مطلع القرن العشرين الانتقال إلى فلسطين للمساهمة في عملية "التجميع الإقليمي للشعب اليهودي" والنضال من أجل ضمان نجاح الحل "الاشتراكي" للمسألة اليهودية.

وبوصول هذه المجموعة ومع تشكل حزب البوعالي تسيون الفلسطيني عام ١٩٠٦م أرسيت أسس الحركة العمالية اليهودية في فلسطين، حيث كان سائداً قبل ظهور هذه الحركة اعتقاد بين صفوف التيار العمالي الصهيوني في روسيا القيصرية، أن السكان العرب المحليين في فلسطين، لا يتحلون بأية صفات قومية مميزة، ولا يمتلكون ثقافة قومية خاصة بهم، لذلك فإنهم سيقبلون أي ثقافة أجنبية مستوردة أرفع من ثقافتهم وسيتمتعون عن إبداء أية مقاومة منظمة في وجه التأثيرات الخارجية، وعن الدخول في منافسة قومية مع العمال اليهود^{١٢}.

وفي آذار/ مارس ١٩١٩م تأسس في فلسطين " حزب العمال الاشتراكي" من أعضاء يهود أغلبهم من الشيوعيين والباقي من يسار " بوعالي تسيون" عرف باسم "موبسي". ويعتبر تأسيس "الموبسي" بدء للنشاط الشيوعي في فلسطين على الرغم من أنه لم يكن حزباً شيعياً خالصاً. وقد اصطدم أعضاء هذا الحزب أثناء احتفالهم بعيد العمال في أول أيار/ مايو ١٩٢١م في تل أبيب بأعضاء حركة "أحدوت هاغفودا" الصهيونية وانتقل المتصادمون إلى أطراف حي المنشية بيافا وتوهم العرب بأن المستوطنين اليهود يهاجمونهم فتصدوا للمتصادمين دون تمييز ووقعت صدامات دامية بين الطرفين قتل فيها ٤٨ عربياً، و ٤٧ يهودياً وجرح ٧٣ عربياً وضعفهم تقريباً من اليهود. وفي أعقاب هذه الصدامات نفت السلطات البريطانية خمسة عشر من قادة "الموبسي" خارج فلسطين، واستكثبت ثلاثة عشر آخرين من أعضائه تعهدات بحسن السير والسلوك، ومنذ تحول الحزب إلى العمل السري^{١٣}.

هذا و"الحزب الشيوعي الفلسطيني" لم يولد باسمه وفكره وبرنامجه السياسي إلا في خريف ١٩٢٢، بغرض الاختيار بين الاندماج في الحركة الشيوعية العالمية "الأممية الثالثة" أو "الكومنتيرن" وبين الاندماج في المؤتمر الصهيوني، وانتهى المؤتمر بأن اختار غالبية أعضائه من الصهيونية (٣٠٠عضو) والباقي من الشيوعية (١٥٠عضو) الذين أسسوا الحزب الشيوعي الفلسطيني^{١٤}.

وانضم "الحزب الشيوعي الفلسطيني" رسمياً في شباط/ فبراير ١٩٢٤م إلى صفوف الأممية

¹²المصدر نفسه، ص ١٧-١٨.

¹³ عبد الوهاب الكيالي. (معد). (١٩٨٩): موسوعة السياسة. الطبعة الثانية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ص ٤١٠.

¹⁴ المصدر نفسه، ص ٤١٠.

الشيوعية بعد أن وافق على تعريب صفوفه والانخراط في النضال الوطني التحرري المعادي للإمبريالية والصهيونية، واستطاع الحزب بالفعل منذ أواسط عام ١٩٢٤م استقطاب وتنظيم عدد من العمال والمتقنين العرب وساهم في عدد من حركات النضال الوطنية التي كانت تخوضها الجماهير العربية ودعم تحركات الفلاحين ضد سياسة مصادرة أراضيهم^{١٥}.

ومن جهة ثانية أثار الانعطاف في توجه الحزب الشيوعي الفلسطيني تجاه قضية الحركة القومية العربية بعض الخلافات داخله، ففي الفترة من ١٩٢٧-١٩٢٨م ظهرت أقلية متطرفة من "مجلس العمال اليهود" حاولت تفسير الجبهة المتحدة المعادية للإمبريالية في فلسطين على أنه يعني عملياً التطابق التام بين سياسة الحزب الشيوعي وبين مطالب اللجنة التنفيذية العربية وتوجهاتها، وقد ظهر الخلاف واضحاً بين الاتجاهين داخل الحزب عشية انعقاد المؤتمر العربي السابع في مدينة القدس في حزيران/يونيو ١٩٢٨م، وقررت قيادة الحزب الشيوعي فصل أعضاء مجلس العمال اليهود من صفوف الحزب واتهمتهم بالتعاطف مع المعارضة التروتسكية.

واحتكمت قيادة الحزب إلى اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية لحسم الخلاف، ووقفت اللجنة إلى جانب قيادة الحزب ودعمت مواقفها وتوجهاتها تجاه قيادة الحركة القومية العربية في فلسطين، إلا أن الشيوعيين لعبوا دوراً فاعلاً في حث الجماهير على التصدي بقوة للمستوطنين الذين حاولوا طرد الفلاحين والرعاة العرب من الأراضي الشاسعة التي كانوا قد ابتاعوها بمساعدة "الصندوق القومي اليهودي" من بعض وجهاء العرب^{١٦}.

مواقف الحزب من الحركة القومية خلال العشرينات

- اعتبر الشيوعيون الفلسطينيون أن الإمبريالية الإنجليزية قامت باحتلال فلسطين لضمان مصالحها الاستراتيجية في منطقة المشرق العربي، فاستغلت فكرة الوطن القومي اليهودي لستر نواياها الحقيقية في السيطرة والتوسع، واستندت إلى الحركة الصهيونية لضمان سيطرتها على فلسطين وجعلت من العداء القومي العربي اليهودي حجر الأساس في سياستها.

¹⁵ الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "الحزب الشيوعي الفلسطيني". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الثاني. الطبعة الأولى.

ص ٢٢٥.

¹⁶ نذير جزماتي. (٢٠٠٤): الحزب الشيوعي الفلسطيني. في: فيصل دراج، محمد جمال باروت (معد). الأحزاب والحركات اليسارية. المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، الإمارات، الجزء الأول، ص ٣٨٢-٣٨٣.

- رأى الشيوعيون في الصهيونية حركة البرجوازية القومية اليهودية المرتبطة بالإمبريالية والساعية إلى الحصول على سوق خاص بها عن طريق نشاطها الاستيطاني الكولونيالي في فلسطين الذي حول العمال اليهود إلى قوة قمعية موجهة ضد الفلاحين والكادحين.
- رأى الشيوعيون في الحركة الوطنية العربية قوة ثورية معادية للإمبريالية وأعربوا عن استعدادهم لدعم نضالاتها، ولكنهم أشاروا في الوقت ذاته إلى أن بقاء قيادة الحركة الوطنية العربية في أيدي الأفنديين الإقطاعيين قد ساعد على حرف نضالها من طريق معاداة الإمبريالية إلى طريق معاداة اليهود^{١٧}.

الانعطاف في سياسة الحزب تجاه القضية الوطنية

فاجأت ثورة ١٩٢٩م "الحزب الشيوعي الفلسطيني" على حين غرة، فارتبكت قيادته في تقويم مضمونها وعجزت عن لعب دور مؤثر في أحداثها، وقد انتقدت الأممية الشيوعية تقاعس الحزب عن لعب دور طليعي في الثورة، وربطت ذلك بعجز قيادته عن تعريب صفوف الحزب، وقد أكدت الأممية الشيوعية أن تعريب الحزب الشيوعي الفلسطيني لا يعني تغيير قيادته اليهودية واستبدال قيادة عربية بها فحسب، بل يعني أساساً توجيه نشاط الحزب إلى العمال والفلاحين العرب، والسعي للعب دور طليعي في النضال الوطني التحرري الذي كانت تخوضه الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، واستناداً إلى توجيهات الأممية الشيوعية انتقدت قيادة "الحزب الشيوعي الفلسطيني" موقفها السابق تجاه القضية الوطنية ومسألة التعريب، وباشرت في الإعداد لعقد مؤتمر عام للحزب يكرس سياسة التعريب في المجال العملي.

واستطاع الحزب الشيوعي الفلسطيني بعد نجاحه في تعريب صفوفه أن يلعب دوراً بارزاً في انتفاضة تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٣م خاصة في التظاهرات العمالية في مدينة يافا. واعتبر الحزب أن الثورة التي اندلعت في نيسان/ أبريل ١٩٣٦م تمثل حلقة رئيسة في سلسلة الانتفاضات العربية ضد الإمبريالية والصهيونية، وأن النضال ضد "سياسة الغزو الصهيونية" هو المهمة العاجلة المطروحة أمام الحركة الوطنية في ظروف تلك المرحلة. ودعا الحزب منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة جماهير العمال اليهود للالتحاق بنضال الحركة الوطنية العربية التحرري، وأعرب عن اقتناعه بأن هذا الالتحاق كفيل وحده بضمان الحقوق الكاملة للأقلية القومية اليهودية في فلسطين بعد تحررها من سيطرة الإمبريالية.

¹⁷ ماهر الشريف. (١٩٨١): الشيوعية والمسألة القومية في فلسطين ١٩١٩-١٩٤٨. مصدر سبق ذكره. ص ٣٠.

وساعد الموقف الذي اتخذته "الحزب الشيوعي" خلال ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩م على دعم الحركة الوطنية العربية لكنه أضعف في الوقت ذاته تأثيره في صفوف العمال اليهود، وهكذا بدت تظهر بوادر الانقسام في صفوف الحزب بدءاً من ١٩٣٨-١٩٣٩م وتطور الموقف إلى حدوث انقسام داخل الحزب في أيار/مايو ١٩٤٣م وإلى خروج الشيوعيين العرب من صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني وتشكيلهم فيما بعد عصابة التحرر الوطني^{١٨}.

عصبة التحرر الوطني في فلسطين

تأسست في أيلول/سبتمبر ١٩٤٣م في مدينة حيفا (عصبة التحرر الوطني في فلسطين) كطليعة سياسية للطبقة العاملة الفلسطينية، وجاء التأسيس انعكاساً لعدد من التطورات الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية التي طرأت على بنية المجتمع العربي في فلسطين، وتحول الطبقة العاملة العربية الفلسطينية إلى قوة رئيسية من قوى النضال الوطني التحرري المعادي للاستعمار والصهيونية^{١٩}.

واعتبرت "عصبة التحرر الوطني" نفسها ومنذ قيامها جزءاً لا يتجزأ من الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، وتمثل في إطار هذه الحركة الطليعة السياسية للطبقة العاملة العربية في فلسطين، وأكدت أن اشتراك الطبقة العاملة في النضال التحرري ومساهمتها في الحركة الوطنية يعنيان أن اهتمامات الحركة العمالية ستتعدى الدفاع عن مصالح العمال في المجالين الاقتصادي، الاجتماعي والسياسي. وتصدت العصبة للدعوات المنادية بعزل العمال عن السياسة، وأوضحت أن العمال العرب يعون أهمية تطوير وتدعيم الاقتصاد الصهيوني، ودعت العصبة الحركة الوطنية إلى أن تجعل من حركة إنقاذ الأراضي العربية حركة فلاحين جماهيرية قوية بإشراك الفلاحين في إدارتها والانضمام إلى صفوفها في جبهة واحدة ضمن وحدة الشعب العربي في فلسطين^{٢٠}.

¹⁸ سميح سمارة (١٩٧٩): العمل الشيوعي في فلسطين، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية، الطبعة الأولى. الفارابي، بيروت. ص ٢٠٦-٢٢٢.

¹⁹ عبد الرحمن عوض الله (٢٠٠٠): الحركة الشيوعية الفلسطينية وحزب الشعب. في: ناهض زقوت (محرر)، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، (٢-٤ حزيران ٢٠٠٠). المركز القومي للدراسات والتوثيق ومنتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، غزة. ص ٨٧.

²⁰ ماهر الشريف (١٩٨١): الشيوعية والمسألة القومية في فلسطين ١٩١٩-١٩٤٨. مصدر سبق ذكره. ص ص ١٠٩-١١٢.

ورأت عصبية التحرر الوطني في الصهيونية حركة رجعية موالية للاستعمار ليس في وسعها حل المشكلة اليهودية فهي كالحركة الشيوعية العالمية كانت ترى حل المشكلة اليهودية في انتصار الاشتراكية، وقاومت العصبية مظاهر الصهيونية الاحتلالية في فلسطين من احتلال الأرض واحتلال العمل^{٢١}.

ورفضت العصبية منذ لحظة قيامها محاولات بريطانيا الرامية إلى عزل قضية فلسطين عن قضية المستعمرات المطروحة على صعيد عالمي والتعامل معها على أساس أنها قضية نزاع بين العرب واليهود، أو على أنها قضية هجرة يهودية ومقاومة هذه الهجرة، وشددت على أهمية النظر إلى قضية فلسطين باعتبارها جزءاً من القضية العالمية قضية القضاء على النظم العنصرية، قضية استقلال جميع الشعوب ضمن أوطانها وتآخي الشعوب ومساواتها، قضية سلام عالم دائم يضمن تقدم الإنسانية باضطراد نحو سعادة حقيقة وهناك دائم^{٢٢}.

وحاولت العصبية أن ترسم حدوداً فاصلة بين الصهيونية والسكان اليهود في فلسطين، حيث رفضت ادعاءات الصهيونية أنهم يعبرون عن مصالح جميع اليهود، مؤكدة أن الصهيونية تتعارض مع مصالح اليهود أنفسهم، بل تعبر عن مصالح البرجوازية اليهودية الكبيرة المتواطئة مع الاستعمار. وفي سبيل الوصول إلى حل لـ "العقدة الفلسطينية" شددت عصبية التحرر الوطني على أهمية ضمان استقلال فلسطين على قاعدتي: حق تقرير المصير والديمقراطية من خلال إنشاء حكم وطني ديمقراطي مستقل في فلسطين، غير أن تعقيدات الصراع وتداخلاته وموازين القوى المختلفة في إطاره حالت دون نجاح الحل الذي تصورته العصبية لـ "العقدة الفلسطينية" فكان قرار التقسيم الدولي في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧م الذي أيدته العصبية♦♦، ثم وقعت النكبة وبوقوعها دخل الفكر

²¹ إميل توما (١٩٩٥): تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديثة، الأعمال الكاملة، الطبعة الأولى. المجلد الثاني. معهد إميل توما للأبحاث السياسية والاجتماعية، حيفا. ص ٣٦٩.

²² ماهر الشريف. (١٩٩٥): البحث عن كيان، الطبعة الأولى. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا. ص ٤١.

♦ نشأت فكرة تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧م، وكانت لجنة بيل أول من اقترحها، وجاء في تقريرها المؤرخ في ٧/٧/١٩٣٧م: "ما دام العرب يعتبرون اليهود غزاة دخلاء، وما دام اليهود يرمون إلى التوسع على حساب العرب، فالحل الوحيد هو الفصل بين الشعبين، فتؤلف دولة يهودية في الأراضي التي يكون اليهود أكثرية سكانها ودولة عربية في المناطق الأخرى". وتكررت فكرة التقسيم مرة أخرى ولكن في صور مختلفة أثناء مؤتمر لندن الذي عقد من ٩/١٠ - ٢/١٠/١٩٤٦م، حيث عرضت بريطانيا على العرب ما أسمته مشروع النظام الاتحادي أو مشروع موريسون، وهو تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية هي: المنطقة اليهودية، وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود إلى وقت عرض المشروع، وكذا مناطق كبيرة بين المستعمرات اليهودية وحولها، والمنطقة العربية وتشمل ما تبقى من أراضي فلسطين وتمنح كل من المنطقة العربية واليهودية استقلالاً ذاتياً، إلى جانب منطقتي القدس والنقب. وقد رفض العرب كلا المشروعين ووقفوا بقوة ضد مبدأ تقسيم فلسطين مهما كانت صورته. وحين أدركت بريطانيا فشل مساعيها الرامية إلى التقسيم بموافقة العرب، اتجهت منذ انتهاء مؤتمر لندن سنة ١٩٤٦ إلى أن يتم تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية فيها عن طريق منظمة الأمم المتحدة التي كان للولايات المتحدة الأميركية نفوذ كبير داخلها في ذلك الوقت. كما بدأت الحركة الصهيونية بتركيز نشاطاتها وضغوطها على الحكومة الأميركية لإدراكها أنها القادرة على تمرير التقسيم في المنظمة

السياسي الفلسطيني مرحلة نوعية جديدة كلياً^{٢٣}.

المرحلة من أواخر عام ١٩٤٨- شباط/ فبراير ١٩٨٢م

كان من نتائج المؤامرة الإمبريالية الصهيونية الرجعية عام ١٩٤٨م تمزق الكيان السياسي الفلسطيني وذلك بإحباط قرار التقسيم، منع إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، الإعلان عن قيام دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية وتشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين، وتقسيم المنطقة العربية في فلسطين إلى ثلاثة أقسام: الأول، استولت عليه إسرائيل، والثاني، الضفة الغربية الذي أصبح يشكل جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية، والثالث، قطاع غزة الذي خضع للإدارة العسكرية المصرية.

الدولية الجديدة. إلى أن جاء يوم ١٩٤٧/١١/٢٩م والذي صدر فيه القرار (١٨١) والذي سجل بداية مأساة الشعب العربي الفلسطيني مع الأمم المتحدة وقد صوت على القرار ٣٣ دولة مع مقابل ١٣ دولة ضد وامتناع ١٠ أعضاء، ولم يحظ القرار بموافقة أية دولة آسيوية أو أفريقية فيما اعتبره الصهاينة نصراً كبيراً لهم. وقسم مشروع التقسيم فلسطين إلى ستة أجزاء، خصصت ثلاثة منها تضم ٥٦% من مجموع مساحة فلسطين لإقامة دولة يهودية، بينما خصصت الأجزاء الثلاثة الأخرى والتي تضم "جيب يافا" وتضم ٤٣% من مجموع المساحة لإقامة دولة عربية، بينما سميت القدس وجوارها وتمثل ٠,٦٥% قطاعاً دولياً تحت إدارة الأمم المتحدة وبموجب المشروع وقعت جميع المناطق التي يسكنها يهود ضمن رقعة الدولة اليهودية وأضيفت إليها مساحات كبيرة يملكها ويقطنها العرب بأعداد كبيرة نظراً لأطماع صهيونية واضحة الأسباب والمعالم. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: **الموسوعة الفلسطينية** (١٩٨٤): "تقسيم فلسطين". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الأول. الطبعة الأولى. ص ص ٥٥٧-٥٦٣، وإلى: عبد الوهاب الكيالي. (معد). (١٩٨٥): **موسوعة السياسة**. الطبعة الأولى. الجزء الأول. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ص ٧٧٦.

♦♦ حتى انعقاد كونفرانس الناصرة في شباط/ فبراير ١٩٨٤م كان موقف الأغلبية في عصابة التحرر الوطني رفض قرار التقسيم، وقد جرت مجموعة أحداث بناءً عليها قبلت العصابة التقسيم ليس باعتباره الحل الأفضل أو العادل، وإنما لأن الوضع أصبح بين خيارين إما قبول التقسيم أو الكارثة "الهجرة والتشريد" وليس كل فلسطين أو جزء منها. حيث إن عناصر المؤامرة بدأت تتضح، فعقب قرار التقسيم عملت بريطانيا على تأجيج الاحتراب العربي - اليهودي بدليل أن بريطانيا منذ وقت مبكر حتى أعلنت رسمياً في ٢٠ كانون ثاني/يناير ١٩٤٨م تخليها عن مسؤولياتها الأمنية، وبخاصة في المدن المختلفة: حيفا، يافا، القدس وغيرها، وكان هذا مؤشراً واضحاً على تحفيزها لهذا الاحتراب، بهدف إقناع الجمعية العمومية للأمم المتحدة بإعادة النظر في قرار التقسيم وتمديد الانتداب البريطاني على فلسطين، في ١٦ كانون ثاني ١٩٤٨م قام حاكم لواء اللد بتتبعه مدينة يافا بإصدار أمر بتعطيل مطبعة النصر في يافا التي كانت تطبع صحيفة "الاتحاد" لسان حال عصابة التحرر الوطني التي كانت المنبر الوحيد الذي يفصح أبعاد المؤامرة، وبعد أسبوعين من تاريخه أصدر حاكم اللواء قرار بإلغاء امتياز صحيفة الاتحاد، بعد جميع هذه التطورات أعاد كونفرانس الناصرة تقييم الوضع من مختلف جوانبه، حيث بدا من الاحتراب تفوق الجانب اليهودي عسكرياً مأخوذ بالحسبان مجموعات البوليس اليهودي وحرس المستوطنات، والبوليس الإضافي كانت تجري في إطار الانتداب وأيضاً الفيلق اليهودي الذي عمل في الحرب العالمية الثانية في الجيش البريطاني تجاوز ٢٣ ألف جندياً، وكذلك الوضع الإقليمي الذي كان يتميز بسيطرة أنظمة مرجعية مرتبطة بالوائز الاستعمارية، والوضع الدولي الذي كان مشبعاً بالتعاطف مع اليهود وضحاياها في الحرب العالمية التي جرت المبالغة فيها، وتسليط الضوء عليها أكثر من الضحايا الآخرين، وفي ضوء هذه المراجعة كان رأي الأغلبية القبول بقرار التقسيم باعتباره المخرج الوحيد المتبقي من الكارثة التي راحت ملامحها تتضح يوماً بعد آخر. المصدر: نعيم الأشهب/ أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الفلسطيني (تشرين أول/ أكتوير) ٢٠٠٥): مقابلة. حزب الشعب الفلسطيني. مقر الحزب. رام الله.

²³ ماهر الشريف. (١٩٩٥): **البحث عن كيان**، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

في نهاية أيلول/ سبتمبر ١٩٤٨م توحدت فروع عصبة التحرر الوطني التي بقيت في المناطق التي سيطرت عليها إسرائيل مع الحزب الشيوعي الفلسطيني، وشكلوا الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي أكد برنامجه السياسي وموقفه على حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته الوطنية المستقلة ومقاومة سياسة الضغط والتمييز العنصري تجاه المواطنين العرب والسعي من أجل تثبيت حق اللاجئين بالعودة إلى وطنهم.

في نهاية العام ١٩٤٨م تجمعت العناصر القيادية في عصبة التحرر الوطني في الضفة الغربية بقيادة أمينها العام فؤاد نصار وواصلت نشاطها السري في فضح الإمبريالية الرجعية وأدانت ما سمي بـ "مؤتمر أريحا" الذي عقد للدعوة لضم الضفة الغربية للأردن وفضحت مؤامرة إجراء انتخابات نيابية في مطلع عام ١٩٥٠م في الضفة الغربية وشرق الأردن لإضفاء صفة الشرعية على مؤامرة إلحاق ما تبقى من أرض فلسطين للمملكة الأردنية^{٢٤}. وبعدها دخل النضال الوطني الفلسطيني مرحلة جديدة وبدأت جماهير اللاجئين الفلسطينيين تنتقل من الضفة الغربية إلى شرق الأردن بحثاً عن لقمة عيش لها.

ومع هذا الواقع الجديد قامت العصبة بتوحيد نفسها مع الحلقات الماركسية التي كانت قائمة في الأردن وتشكل الحزب الشيوعي الأردني عام ١٩٥١م والذي حدد في برنامجه المهام المشتركة للشعبين الفلسطيني والأردني في الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني في استعادة أرضه ووحدتها وتقرير مصيره والعودة إلى وطنه وفق قرارات الشرعية الدولية خاصة القرارين (١٨١، ١٩٤)، كما دعا الحزب إلى إلغاء المعاهدة الاستعمارية التي تربط الأردن ببريطانيا، مؤكداً على وحدة أهداف ومصالح الشعبين الفلسطيني والأردني في النضال^{٢٥}.

ونجح الحزب في عام ١٩٥٤م في تشكيل أوسع جبهة وطنية في تاريخ البلاد وبدأت تصدر جريدتها العلنية باسم "الجبهة"، كما قاد الحزب المظاهرات الجماهيرية ضد مؤامرة توطين اللاجئين في منتصف عام ١٩٥٥م حيث اعتقل العشرات من نشطائه وكانت هذه المظاهرة بمثابة التمهيد والتدريب على الانتفاضة القادمة التي أطاحت بحلف بغداد وحكومته بعد سقوط عشرات الشهداء.

في العام ١٩٦٤م رحب الحزب بقيام منظمة التحرير الفلسطينية ولكنه اعترض على ميثاقها، ودعا

²⁴ عبد الرحمن عوض الله. (٢٠٠٠): الحركة الشيوعية الفلسطينية وحزب الشعب. مصدر سبق ذكره. ص ٩٨-٩٩.

²⁵ المصدر نفسه. ص ٩٩ - ١٠٠.

إلى تبني قرار (١٨١) الصادر عام ١٩٤٧م وإقامة الدولة الفلسطينية في حدود التقسيم وعودة اللاجئين الفلسطينيين وفق قرار (١٩٤). هذا ولم ينضم الحزب رسمياً إلى المنظمة حتى عام ١٩٨٧م حيث رفض الالتزام بميثاقها الذي يطرح برنامجاً غير واقعي لحل قضية الشعب الفلسطيني وفقاً لوجهة نظر الحزب الذي انفصل عن الحزب الشيوعي الأردني والذي أصبح حالياً يسمى "حزب الشعب الفلسطيني".

عند وقوع عدوان ١٩٦٧م بادر الحزب إلى تشكيل أول تحالف وطني لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي وقاد أول إضراب شامل في الأراضي المحتلة ضم القدس العربية في آب/ أغسطس ١٩٦٧م. ومنذ أيام الاحتلال الأولى بدأ الشيوعيون الفلسطينيون في الضفة الغربية باللقاء والتنسيق مع رفاقهم الشيوعيون في قطاع غزة ومن أبرزهم عبد الرحمن عوض الله، سمير البرقوني وعطية مقداد وطعمة مشتهى، وبدأ الحزب الاتصالات المنظمة مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي حيث كان للطرفين موقف موحد في مواجهة الاحتلال والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني.

وفي آب/ أغسطس ١٩٦٧م عقد الحزب كونفرانس حزبي لمناضليه في الضفة الغربية في مدينة نابلس، وتبنى برنامجاً محلياً يدعو لدر الاحتلال وتنفيذ قرار التقسيم لعام ١٩٤٧م، كما أيد الحزب قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م بهدف تثبيت المواطنين على أرضهم والحيلولة دون رحيلهم كما حدث في ١٩٤٨م وباعتباره يهدف إلى تصفية آثار عدوان الرابع من حزيران/ يونيو ويفتح الأفق لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي.^{٢٦}

ومنذ الأيام الأولى للاحتلال الإسرائيلي ركز الحزب على العمل الجماهيري، وتنشيط النقابات العمالية والمهنية، وعمل على تنظيم الشبيبة والمرأة وقاد نضال المعلمين الوطني والمطلبي. وبنهوض الحركة الوطنية الفلسطينية والاعتراف العربي والدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية كمثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، أخذت بعض الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية - التي ضمت في صفوفها شيوعيين فلسطينيين - تعزز تنظيمات شيوعية فلسطينية تعمل بين جماهير الشعب الفلسطيني وتساهم في النضال مع القوى الوطنية الفلسطينية وفي حركة المقاومة.^{٢٧}

وشكل الحزب الشيوعي السوري "التنظيم الفلسطيني للحزب الشيوعي السوري" و أفرز الحزب

²⁶ المصدر نفسه. ص ١٠٤ - ١٠٥.

²⁷ المصدر نفسه. ص ١٠٦.

الشيوعي الأردني " التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية" الذي أصدر جريدة الوطن، وشكل الرافد الأساس في إعادة تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني في العاشر من شباط/ فبراير ١٩٨٢م.

أما بالنسبة إلى قطاع غزة، فقد استمر المنطقة الفلسطينية الوحيدة أرضاً وشعباً في أعقاب نجاح المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية عام ١٩٤٨م والذي لم تنله إجراءات الضم والإلحاق وظل تحت الإدارة العسكرية المصرية يخضع للأحكام العرفية، في الوقت الذي انهارت فيه تماماً الأحزاب السياسية والمؤسسات المهنية التي كانت قبل عام ١٩٤٨م.

وبقيام منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني عام ١٩٦٤م حدث انفراج نسبي في علاقات الإدارة المصرية مع الحركة الوطنية في القطاع، إلى أن انفجر الوضع بالعدوان الإسرائيلي في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، حيث هاجم الغزاة قطاع غزة بشراسة ودمروا في الفترة ما بين ٥-١١ حزيران ما يزيد عن (٨٤٧) منزلاً وقتلوا ما يزيد عن خمسة آلاف مدني وزج آلاف المواطنين في السجون والمعقلات، وأقيمت معسكرات العمل داخل إسرائيل وخطط لتفريغ القطاع من سكانه ثم ابتلاعه.

وفي هذه الفترة بادر الحزب الشيوعي في الاتصال بالقوى الوطنية وتوحيد الصف الوطني لمواجهة العدوان ومخططاته، فتشكلت الجبهة الوطنية المتحدة في آب/ أغسطس ١٩٦٧م في البداية من القوى السياسية التالية: الحزب الشيوعي، حركة القوميين العرب، حزب البعث العربي الاشتراكي، جبهة تحرير فلسطين وقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني، وبعض الشخصيات الوطنية والديمقراطية البارزة التي أصدرت ميثاقها في العشرين من أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧م الذي حدد أهداف العدوان: وفي مقدمتها إسقاط الأنظمة الثورية في مصر، سوريا، وتصفية القضية الفلسطينية نهائياً وخدمة الأهداف التوسعية للصهاينة، والسعي المحموم لتشريد الشعب الفلسطيني وبخاصة اللاجئين إلى الأردن، وأكد الميثاق أن الاحتلال مؤقت وسوف يزول وأن التصدي للعدوان والاحتلال سياسياً وعسكرياً هو المهمة الأساسية الملقاة على عاتق الأنظمة الوطنية العربية وعلى عاتق الجبهة المعادية للاستعمار^{٢٨}.

وشارك "الحزب الشيوعي" منذ الأشهر الأولى للاحتلال في مقاومة المحتلين، ولعب دوراً بارزاً في

²⁸ المصدر نفسه. ص ١١٧.

قيادة وتعبئة الجماهير الشعبية في قطاع غزة، وهو أول من بادر إلى تشكيل اللجان الوطنية الواسعة في المدن، القرى، المخيمات و المدارس والمعاهد، وقد أقرت اللجنة المركزية للحزب في اجتماعها الموسع البدء بالتحضير لاستخدام أسلوب النضال المسلح جنباً إلى جنب مع أساليب النضال الأخرى، وقام الحزب بتشكيل الجناح المسلح الذي قام بمئات العمليات العسكرية ضد الاحتلال وبسبب ذلك تم نسف أول منزل في قطاع غزة يملكه عزات كساب الذي أعتقل وأبعد إلى الأردن إلى جانب سجن المئات من أعضاء الحزب، كما حكم على البعض بالسجن وآخرين بالنفي والإبعاد. وشكل هؤلاء "المبعدون" خارج الوطن منظمات حزبية في كل من الأردن، سوريا ولبنان، ساهمت بدور فعال في جيش التحرير الفلسطيني وفي حركة المقاومة الفلسطينية وفي الدفاع عن الثورة²⁹.

ولعب الحزب الشيوعي الفلسطيني الموحد بعد إعادة تأسيسه دوراً متميزاً في التأثير في الحركة الوطنية الفلسطينية في الداخل والخارج، وفي استعادة وحدة (م.ت.ف) في دورة المجلس الوطني عام ١٩٨٨م، وتقديراً لدوره دخل الحزب المنظمة كأول حزب سياسي، كما لعب دوراً مماثلاً في دورة الانتفاضة التي أرست البرنامج السياسي الواقعي للمنظمة التي تبنت قرارات الشرعية الدولية لأول مرة في تاريخها³⁰.

المرحلة من فبراير/ شباط ١٩٨٢م حتى مطلع عام ٢٠٠٠م

في نهاية العام ١٩٨٧م انفجرت الانتفاضة الكبرى التي جاءت محصلة لنضالات الشعب الفلسطيني على مدار عشرين عاماً من الاحتلال وأربعين عاماً على النكبة ممثلة انعطافاً وطنياً في معركة التحرر الوطني ضد الاحتلال بعمقها الشعبي والديمقراطي التحرري والنتائج السياسية الكبيرة التي أحدثتها على طبيعة النضال الوطني الفلسطيني بأبعاده الإقليمية والدولية وصيانتها لدور ومكانة منظمة التحرير الفلسطينية التي جرت محاولات خلق البدائل لها. وساهم الحزب الشيوعي الفلسطيني في هذا المجال بدور طليعي في بناء اللجان الشعبية التي أبدعتها الجماهير من خلال تجاربها السابقة وفي تشكيل القيادة الوطنية الموحدة التي كان الحزب قد بادر بإصدار بيانها الأول في الأسبوع الأول للانتفاضة باسم " اتحاد القوى الوطنية" وقد تبعته مجموعة من البيانات تحمل اسمه.

كما دأب الحزب على نقد التعامل الفوقي والبيروقراطي مع جماهير الانتفاضة والخطاب السياسي

²⁹ المصدر نفسه. ص ص ١١٨-١١٩.

³⁰ المصدر نفسه. ص ١٢٠.

غير الواقعي ومسلقيات بعض القوى السياسية التي أدت إلى التآكل التدريجي لعمق المساهمة الشعبية الديمقراطية في الانتفاضة، وانتقد محاولة بعض القوى شرذمة الحركة الوطنية، وإغراقها في صراعات داخلية، من خلال ممارساتها اليومية المعادية للديمقراطية تحت حجج أيديولوجية، وكان الهدف من ورائها خلق قيادة بديلة وموازية ل (م.ت.ف) وحذر من خطورة عسكرة الانتفاضة³¹.

مؤتمرات الحزب الشيوعي الفلسطيني

المؤتمر الأول

انعقد المؤتمر الأول التأسيسي للحزب الشيوعي الفلسطيني في الربع الأخير من العام ١٩٨٣م، حيث أقر الوثيقتين الرئيسيتين في حياته وهما: النظام الداخلي والبرنامج السياسي مع ملحق تاريخي بعنوان " نشوء وتطور القضية الفلسطينية"، كما انتخب هيئات الحزب القيادية، وجاء في برنامج الحزب " أن الحزب الشيوعي الفلسطيني هو فصيل من فصائل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ومن حركة التحرر الوطني العالمية.. وهو جزء من حركة التحرر الوطني العربية" وأقر الحزب أن الخطر الرئيسي الذي يتهدد الثورة الفلسطينية ومكاسبها في الظروف الراهنة (ظروف عام ١٩٨٤م) هو خطر التيار الاستسلامي في منظمة التحرير الفلسطينية الذي تقاوم بعد خروج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت³².

المؤتمر الثاني

وفي أواخر عام ١٩٩١م عقد الحزب الشيوعي مؤتمره الثاني، وأجرى تعديلات فكرية وتنظيمية على برنامجه ونظامه الداخلي، وجرى تغيير اسم الحزب ليصبح "حزب الشعب الفلسطيني" وكانت هذه التعديلات ولا تزال موضع جدل حتى الآن، حيث طالت الهوية الاجتماعية للحزب وبناءه التنظيمي، وكان أبرز هذه التعديلات على الصعيد الفكري: الانفتاح على التجربة والتراث الفكري الإنساني، بعد أن اقتصر على الماركسية واللينينية، وكذلك توسيع قاعدة الحزب وتمثيله استناداً إلى خصوصية معركة التحرر الوطني ومهامها، والتخلي عن مجموعة من الاستنتاجات الفكرية والتنظيمية التي كانت سائدة حتى ذلك الحين كديكتاتورية البروليتاريا، المركزية الديمقراطية، الفرز

³¹ المصدر نفسه، ص ص ١٢٠-١٢١.

³² نذير جزماتي. (٢٠٠٤): الحزب الشيوعي الفلسطيني. مصدر سبق ذكره. ص - ص ٣٣٩-٤٠٠.

الميكانيكي لليسار واليمين في الساحة الفلسطينية، وفي الوقت نفسه حافظ الشيوعيون على موقفهم السياسي والتاريخي.

المؤتمر الثالث

عقد الحزب مؤتمره الثالث في أوائل تشرين أول/ أكتوبر ١٩٩٨م في مدينة البيرة بمشاركة (٤٨٦) مندوباً من الضفة الغربية وقطاع غزة من أصل (٥٣١) مندوباً هم كامل قوام المؤتمر، وحالت الإجراءات التعسفية الإسرائيلية دون وصول البعض منهم للمشاركة، وعكست عضوية المؤتمر تمثيلاً واسعاً لقطاعات العاملين والموظفين والفئات الوسطى^{٣٣}.

وأدخل المؤتمر تعديلاً واضحاً على تعريف الحزب وهويته الفكرية والاجتماعية باعتباره حزباً اشتراكياً يسترشد بالمنهج المادي الجدلي وبمبادئ الفكر الاشتراكي وبمنجزات العلم والتراث العربي الإنساني التقدمي، وأجرى توسيع الديمقراطية الحزبية بين صفوفه، كما أقر المؤتمر صيغة أمانة عامة ثلاثية بديلاً عن منصب الأمين العام، وأجرى فصلاً بين عضوية الأمانة العامة، وأي من المناصب الرسمية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير أو مجلس السلطة^{٣٤}.

ومن منطلق رؤية الحزب التاريخية بضرورة حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي حلاً سياسياً طبقاً لقرارات الشرعية الدولية خاصة قرارات (٢٤٢، ٣٣٨، ١٩٤)، أيد الحزب اتفاق إعلان المبادئ " أوسلو" بتحفظ، مؤكداً أن ترجمة هذا الاتفاق ترجمة تضمن وتصور الحقوق الفلسطينية الشرعية، ستعتمد بدرجة كبيرة على الأداء الفلسطيني وعلى العمل الجاد لتوفير كل عوامل القوة المحلية والعربية والدولية^{٣٥}.

ومع تطور العملية السياسية التي كان من نتائجها قيام أول سلطة وطنية فلسطينية فقد أكد المؤتمر الثالث على أن المرحلة الراهنة لا تزال مرحلة التحرر الوطني وأن المهمة المركزية هي التخلص نهائياً من الاحتلال، لكن الجديد هو التداخل العميق بين المهام الوطنية والاجتماعية، الأمر الذي يملئ ضرورة مواجهة تأثير وخطر بعض شرائح البرجوازية البيروقراطية - الكومبرادورية على مستقبل القضية الوطنية وهدف الاستقلال الوطني.

³³ حزب الشعب الفلسطيني (١٩٩٨): البرنامج السياسي والنظام الداخلي، الطبعة الأولى. رام الله. ص ١.

³⁴ المصدر نفسه. ص ٦.

³⁵ المصدر نفسه. ص ٤.

ومن منطلق هذه الرؤية وجه الحزب في نضاله الوطني والاجتماعي انتقادات منهجية لأداء السلطة الفلسطينية على صعيد المفاوضات وتهميش دور مؤسسات (م.ت.ف) وعلى صعيد أدائها الداخلي وبخاصة فيما يتعلق بسياساتها الاقتصادية والاجتماعية وتجاوز بعض الأجهزة الأمنية لاختصاصاتها والتي باتت تهدد باستمرار قدرة وجاهزية الشعب الفلسطيني على مواجهة التحديات الوطنية الخطرة، الأمر الذي يتطلب معالجة جذرية لأداء السلطة على المستوى الداخلي وإعادة الاعتبار لمكانة ودور الجماهير الشعبية وإشراكها في صنع القرار السياسي عبر الاستفتاء الشعبي وإشاعة الديمقراطية.

ويرى حزب الشعب في السلطة الوطنية محطة أساسية لقيام الدولة المستقلة باعتبارها أول سلطة وطنية على الطريق نحو الدولة المستقلة وحليفه الوطني في معركة التحرر والاستقلال وحذر من الهوة الناشئة بين السلطة والقاعدة الشعبية جراء العديد من الممارسات، ودعا إلى بناء صف وطني ديمقراطي واسع يضم كافة القوى والفئات والمنظمات المخلصة لاستقلال الوطن لمجابهة المآزق الراهن المتمثل في استمرار الاحتلال والتعنّت الإسرائيلي والميل للتنازلات من الجهة الأخرى³⁶.

من هنا يمكن القول:

- أن حزب الشعب الفلسطيني وكوريث للحزب الشيوعي الفلسطيني، لعب دوراً بارزاً في توعية الجماهير وتنظيم صفوف الطبقة العاملة ضمن نقابات جماهيرية، فقد كان ولفترة طويلة يقود هذه النقابات وعمل باتجاه توحيدها.
- استطاع الحزب أن يقيم علاقات مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي راجح، والأحزاب الشيوعية العربية، إضافة إلى علاقاته التاريخية مع الإتحاد السوفيتي السابق.
- منذ انطلاخته في العشرينات من القرن الماضي ورغم التغييرات التي لحقت باسمه فقد أيد الحزب معظم القرارات الدولية بشأن القضية الفلسطينية، فقد أيد قرار التقسيم تأثراً بموقف الإتحاد السوفيتي في ذلك الوقت.
- لعب الحزب دوراً متميزاً في التأثير في الحركة الوطنية الفلسطينية في الداخل والخارج.

³⁶ المصدر نفسه. ص ١٩.

II. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

التكوين والتنظيم

يرتبط تأسيس الجبهة الشعبية بحركة القوميين العرب وتنظيمها الفلسطيني وتجربتها النضالية بعد نكبة عام ١٩٤٨م، وبالدروس التي اكتسبتها من تلك التجربة التي قادت منذ بداية الستينات إلى الإعداد للبدء بالكفاح المسلح، كما يرتبط تأسيس الجبهة ارتباطاً وثيقاً بهزيمة حزيران والدروس النظرية والسياسية والتنظيمية التي أفرزتها وبلورتها تلك الهزيمة^{٣٧}.

وتحكمت ثلاثة عوامل سياسية في تطور الأحداث في المشرق العربي بعد تقسيم فلسطين:
أولاً- المعارضة الشديدة التي أبدتها الجماهير العربية لقيام دولة إسرائيل، والعداء المتزايد للغرب حيث اتخذ هذا العداء صوراً سلبية غير نشطة من خلال مظاهرات طافت شوارع المدن الرئيسية.
ثانياً- الاضمحلال التدريجي لنفوذ الصفوة الحاكمة التي لم تقم بأي دور فعال خلال الحرب العربية – الإسرائيلية عام ١٩٤٨م.

ثالثاً- نشوء حركة جديدة وواعية تقوم على أساس تصميم الشباب العربي وتحركه لمواجهة التحدي^{٣٨}.

وغدت البداية لحركة القوميين العرب* بشخصها ومن ثم خلاياها تعبر عن نفسها إزاء القضية

³⁷ الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الثاني. الطبعة الأولى، ص ١٤.

³⁸ باسل الكبيسي. (١٩٨٥): حركة القوميين العرب. تعريب نادرة الكبيسي. الطبعة الرابعة. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت. ص ٥٧.

* حركة القوميين العرب، هي منظمة قومية جاءت أساساً كرد عربي على أحداث ١٩٤٨م (وبثقل فلسطيني واضح) وكان مؤسسوها من أعضاء اللجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى من طلبة الجامعة الأميركية المشاركين في الحلقات الدراسية التي كان يعفدها أساتذة وعلماء قوميون وحنويون وعلى رأسهم الدكتور قسطنطين زريق أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات للتعريف بنشوء الحركة القومية وتطورها وتنمية وعي خاص بالخطر الصهيوني. ونجح هؤلاء في بناء نواتهم التنظيمية الأولى على هيئة حلقات سرية في صفوف طلبة الجامعة الأميركية حيث كان المناخ السياسي عام ١٩٥١م ملائماً، وكان من أبرزهم أحد طلبة كلية الطب جورج حبش (نائب رئيس ثم رئيس اللجنة التنفيذية في جمعية العروة الوثقى). وانضم إليه آخرون أبدوا اهتماماً بشؤون المخيمات وأوضاع اللاجئين وتقديم خدمات طبية لهم وتنظيم تبرعات عينية وتدريب فرق كشفية في المدارس. وأقام جورج حبش علاقات تنسيقية بين زملائه في الجامعة من جهة وبعض التشكيلات في المخيمات الفلسطينية من جهة أخرى. هذا وكانت الحركة منذ بدايتها عقائدية مبنية على عقيدة القومية وهي تؤكد على أولوية الوحدة كشرط مسبق للتحرير وتكرس نفسها للوحدة العربية وتحرير فلسطين. كما يوحى شعارها (وحدة، تحرر، ثأر)، ومع أن حركة القوميين العرب تتشابه من حيث الأفكار مع حزب البعث، وخاصة في المناداة بالوحدة العربية ومعاداة الإمبريالية فإن هناك تمايزاً ينطلق أولاً من القضية الفلسطينية حيث أراد القوميون العرب إعطاء الأولوية لقضية الوحدة لأن فلسطين ضاعت بسبب ضعف الدول العربية وتجزئتها، فيما أكد البعثيون قضية الاشتراكية ودعوا إلى توجيه ضربة مزدوجة للنفوذ الأجنبي والاستغلال المحلي، ويضاف إلى ذلك أن قادة الحركة كانوا فلسطينيين وبالنسبة

الأساسية (فلسطين) من خلال:

١. جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأمريكية

٢. كتائب الفداء العربي التي تشكلت من ثلاث مجموعات

٣. هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل (نشرة الثأر)

٤. لجنة كل مواطن خفير لمقاومة التطبيع

٥. النادي الثقافي والعربي في بيروت

٦. المنتدى العربي والنادي القومي في عمان

٧. نادي الاستقلال في الكويت

٨. الشباب العربي الفلسطيني في لبنان

٩. رابطة الطلبة النازحين العربي في لبنان

فقد كانت تلك المؤسسات عناوين لنشوء الحركة.

وحال توقف الحرب بين العرب وإسرائيل عند النهاية المشؤومة عبر الشعب العربي عن غضبه من حكوماته العربية بالاضطرابات والمظاهرات، كما أخذ الشباب العربي وخاصة في أوساط اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم بالبحث عن تغيير في البلدان العربية، وتبادت إلى العمل مجموعة من الشباب العربي كانت ترتاب في النهج التدريجي للأحزاب القومية والمعارضة للأنظمة تلتقي في دمشق وبيروت وعمان لوضع حجر الأساس لمنظمة سرية.

لهم فقد كان النضال أمراً جوهرياً، أما التمايز الثاني فهو في البرنامج السياسي الذي وضعه قادة الحركة القومية على مرحلتين: الأولى تهتم بالنضال السياسي، والثانية تهتم بالإصلاح الاقتصادي والاجتماعي أكثر من الاشتراكية الثورية. وأدخل القوميون العرب بعض التعديلات على فكرهم بعد عام ١٩٥٤م وأوضحوا أن برنامجهم يقوم على تشابك العلاقة بين المرحلتين السياسية والاجتماعية وأصبح شعار الحركة (وحدة، تحرر، اشتراكية) وأيدوا توجه عبد الناصر نحو التغيير الاقتصادي والاجتماعي ولكن ليس على خطوط ماركسية بل ظلوا كعبد الناصر يؤكدون على الحاجة إلى التحديث مع الحفاظ على الوحدة الوطنية. وأبدت الحركة نشاطاً سياسياً بارزاً في الأردن في منتصف الخمسينات وقدمت بعض عناصرها القيادية خدمات طبية في المخيمات، إلا أن زعماء الحركة ومنهم جورج حبش اضطروا إلى الخروج من الأردن بعد التغيير الحكومي في نيسان/ أبريل ١٩٥٧م وإعلان الأحكام العرفية وحل الأحزاب. وأعاد حبش تأسيس الحركة في دمشق بمساعدة غسان كنفاني، حيث ساندت الحركة عبد الناصر في فترة الوحدة، وتلقت دعماً من الجمهورية العربية المتحدة، وبعد وقوع الانفصال اضطر جورج حبش إلى الانتقال إلى لبنان. واستمر في تنظيم فئمة معتدلة موالية للناصرية وأصبحت فكرة الاشتراكية مقبولة على نطاق واسع بعد تحول عبد الناصر إلى اليسار. وبعد توتر الأجواء مع عبد الناصر في منتصف الستينات اتجهت الحركة نحو تطوير إيديولوجية أكثر تشدداً وفقاً لمبادئ الاشتراكية العلمية، وكان تبني هذا الاتجاه نذيراً بافتراق الحركة عن الناصرية وظهور اتجاه جناح يساري داخل صفوف الحركة. المصدر: الموسوعة الفلسطينية (١٩٩٠): "دراسات القضية الفلسطينية". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. الدراسات الخاصة. القسم الثاني. المجلد الخامس. الطبعة الأولى. ص ص ١٢٠-١٢١.

وعلى صعيد آخر تشكلت خلال هذه السنوات الحاسمة وبمحض الصدفة ثلاث مجموعات صغيرة ضمت كل واحدة منها عدداً قليلاً من الشباب العربي المتطرف وانهمكت في ممارسة نشاطات ثورية سرية، وضمت المجموعة الأولى في صفوفها عدداً من المثقفين الثوريين من بين طلاب وخريجي الجامعة الأميركية ببيروت، كما استقطبت مناضلين من عدد من الأقطار العربية، وكان هؤلاء برجوازيين في نشأتهم وثوريين في معتقداتهم، ومن بين هؤلاء جورج حبش وهاني الهندي القائدان البارزان لهذه المجموعة، حيث نجحوا في تكوين الكتائب بالشكل الذي ارتأياه³⁹.

وفي الجامعة العربية الأميركية التي كان يدرس فيها جورج حبش الطب بدأ هو ورفيقه الهندي بوضع الخطط لتنظيم مجموعة سرية، تضمن الحد الأدنى لبرنامجهم الهادف إلى اغتيال القادة العرب الذين أبدوا آنذاك استعداداً للصلح مع إسرائيل كملك الأردن عبد الله، ورئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، إلى جانب ضرب المصالح الغربية والصهيونية ونسف الهدنة مع إسرائيل. وينظران إلى نفسيهما كطليعة ثورية أخذت على عاتقها توعية الرأي العام من خلال أعمال بطولية وتضحية بالنفس لتسليط الاهتمام على المشكلة الفلسطينية.

ووسط خيبة أمل الشباب العربي بالأنظمة العربية وفشل جامعة الدول العربية في جمع شمل الدول الأعضاء في مواجهة التهديد الصهيوني، وفي هذه الظروف بدأ جورج حبش وهاني الهندي بتجنيد أعضاء منظماتهم السرية التي كانت مهياًة للعمل مع انتهاء العام ١٩٤٨م، واكتشف الهندي من خلال اتصالاته في سورية وجود مجموعتين مماثلتين في دمشق: ضمت الأولى جهاد ضاحي صديق الهندي وزميله في الكلية الأميركية بحلب، والثانية ضمت عدد من اللاجئين السياسيين المصريين، ورأت مجموعة بيروت أنه من الحكمة عدم البدء بأية أعمال مقاومة إلا بعد أن تجتمع المجموعات الثلاث، حيث كلف هاني الهندي الدخول في محادثات مع المجموعتين الأخريين في سبيل تنسيق الأعمال وتوحيد المجموعات الثلاث في منظمة واحدة.

ولم يجد الهندي أية فوارق جوهرية بين مجموعته والمجموعة السورية التي كانت تضم عدداً من المناضلين الشباب الذين صادف مولد معتقداتهم الثورية مع مولد إسرائيل، حيث أعربت المجموعة عن استعدادها التام للاندماج مع مجموعة بيروت، أما المجموعة المصرية فقد واجه الهندي صعوبة في التعامل معها، فقد كانوا مقاومين محترفين لهم تجربتهم في مصر، وكان أبرزهم حسين توفيق - المتهم باغتيال عثمان أمين الوزير المصري السابق - وكان تفكيره منصب في اتجاه واحد هو

³⁹ باسل الكبيسي. (١٩٨٥): حركة القوميين العرب. مصدر سبق ذكره. ص ص ٥٩ - ٦٤.

المقاومة، وقد عانى الهندي أثناء محاولته إقناعه بضرورة وضع برنامج سياسي للمنظمة، واقترح توفير بدلاً من ذلك سلسلة من المخططات تقوم بتنفيذها قوى مشتركة من المجموعات الثلاث.

والتقى الممثلون في مارس/ آذار ١٩٤٢م حيث مثل كل من جورج حبش وهاني الهندي مجموعة بيروت، وحسين توفيق مثل المجموعة المصرية، وجهاد ضاحي المجموعة السورية، وحلت كافة القضايا العالقة، وتم انتخاب قيادة ثلاثية جديدة من هاني الهندي، وجهاد ضاحي، وحسين توفيق، وأعطيت لها الصلاحيات باتخاذ الخطوات لتوحيد المجموعات الثلاث تحت اسم "كتائب الفداء العربي" واتسعت القيادة بعد ذلك لتشمل جورج حبش وعبد القادر عامر.

وكان أول نشاط لمجموعة الكتائب في ٦ آب/ أغسطس ١٩٤٩م حين هاجم المقاتلون معبداً لليهود في دمشق وأسفر عن مقتل (١٢) شخصاً وجرح (٢٧) آخرين، وجاء ذلك الهجوم لعرقلة مفاوضات السلم الفلسطينية تحت إشراف "لجنة الصلح" التابعة للأمم المتحدة في لوزان بسويسرا، وإفشال مفاوضات سوريا القطرية فيما يتعلق بتوطين اللاجئين الفلسطينيين^{٤٠}.

ونفذت مجموعة الكتائب سلسلة من العمليات بموافقة أعضاء القيادة باعتبارها أهداف شرعية تقع ضمن مجال عمل المنظمة، إلا أنه بحلول صيف ١٩٥٠م قام صراع داخل المنظمة حول دور العنف في النضال القومي، وبلغت حدة الصراع بين الكتائب ككل والجزء المصري ذروته عندما قبل هذا الأخير التعاون مع بعض السياسيين لوضع خطة لاغتيال الزعيم أديب الشيشكلي وأكرم الحوراني، وقد اعترض معظم قادة الكتائب على هذا التوجه الخاطيء ورفضوا الاقتراح كلية وطالبوا بمحاسبة من قاموا بالتعامل مع السياسيين السوريين ورأوا أن مثل هذه الأعمال قد تضر بقضيتهم وتجعل منظماتهم مهددة من الداخل.

وفي وجه هذه المعارضة قررت المجموعة المصرية الانفصال عن المنظمة الأم لتصبح حرة في تطبيق فلسفتها الداعية إلى العنف من أجل العنف^{٤١} وبعد عدة شهور قليلة نفذت المجموعة خطتها لاغتيال الزعيم الشيشكلي، وأدت هذه المحاولة الفاشلة على حياة معاون رئيس أركان الجيش السوري إلى كشف المنظمة السرية وضربها^{٤٢}.

⁴⁰ المصدر نفسه. ص ٦٦-٦٩.

⁴¹ المصدر نفسه. ص ٧١.

وعلى الرغم من الدور الذي لعبته الكتائب في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية، فإن محاولة اغتيال الزعيم الشيشكلي كانت مغامرة انتحارية ليست للمجموعة المنشقة فحسب، وإنما للمنظمة الأم التي تعرضت لملاحقة الشرطة على إثر اعترافات حسين توفيق الذي اعتقل لاثامه بمحاولة الاغتيال. وكان على القادة القلائل الذي نجحوا في الهرب بعد هذه التجربة المؤلمة أن يواجهوا الموقف الجديد ويتغلبوا على المشاكل التي تجابههم بعد أن أصبح من العسير عليهم التحرك بسهولة بعد انكشاف جهاز المنظمة أمام الشرطة فكانوا أمام خيارين: الأول إعادة بناء المنظمة من جديد، والثاني التحول من سياسة الإرهاب إلى النضال الجماهيري، وجاء القرار في النهاية هو الخيار الثاني.

وأخذ جورج حبش يعيد النظر في جدوى وجود عمل الكتائب منذ العام ١٩٥٠م، حيث إن الحركة لم تشق طريقها في صفوف الجماهير بالشكل المطلوب وتساءل عما يمكن عمله؟. ولم يحظ التحول في موقف جورج حبش بالتحول إلى النضال الجماهيري بتأييد كافة الكتائبين وحاول بعضهم دفع المنظمة باتجاه مغاير، وتوقفت كافة نشاطات الكتائب وحلت المنظمة قبل نهاية العام ١٩٥٠م. وانصرف حبش بعدها لبناء منظمة للنضال الجماهيري، وأصبحت الجامعة الأميركية ببيروت مرة ثانية مجالاً لنشاطه، حيث نجح في الدخول في معركة انتخاب اللجنة التنفيذية " لجمعية العروة الوثقى" التي فاز فيها ومجموعة من القوميين العرب على الشيوعيين والقوميين السوريين، حيث كانت الجامعة الأميركية مسرحاً لعدد من المجموعات المهمة.

وقد أخذ جورج حبش زمام المبادرة في أوائل العام ١٩٥١م عندما تقدم باقتراح إلى أعضاء اللجنة التنفيذية " للعروة الوثقى" دعا بموجبه إلى قيام منظمة سرية قومية جديدة تكون اللجنة التنفيذية للعروة نواة لها، وحظي هذا الاقتراح بالاستجابة من قبل كافة الأعضاء الذين شعروا بالحاجة إلى تأسيس منظمة ثورية سرية تواصل النضال ضد الأنظمة القائمة وخارج إطارها لتحقيق الأهداف القومية^{٤٢}. وتحت ضغط الظروف جرى الإسراع في تكوين برنامج سياسي على مرحلتين:

المرحلة الأولى: تهتم بالنضال السياسي للتخلص من الصهيونية والإمبريالية في الوطن العربي وإلى خلق دولة عربية موحدة تضم الشعب العربي من الخليج إلى المحيط الأطلسي.

المرحلة الثانية: تهتم بالنضال الاقتصادي الذي يمهد الطريق للاشتراكية العربية والديمقراطية، إلا أن هذا البرنامج البسيط فشل في سد الحاجة إلى "فكر عربي" وأظهر ضعف الحركة وعدم نضجها، وحيث لا يمكن تحقيق الأهداف كلاً على حدة، بل يجب أن يسير الصراع على الجبهتين في آن

⁴² المصدر نفسه. ص ٧٦-٧٧.

واحد، على الجبهة الخارجية ضد الصهيونية والاستعمار، وعلى الجبهة الداخلية ضد السياسة التقليدية والتركيب الاجتماعي والمدافعين عنها.

وبعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧م سعى الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب إلى إيجاد إطار جبهة تضم مختلف الفصائل الوطنية، ونتج عن ذلك إقامة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" التي أذاعت بيانها السياسي التأسيسي في ١١ كانون أول/ ديسمبر ١٩٦٧م والذي اعتبر تاريخ انطلاق الجبهة الشعبية*.

وأوضحت الجبهة الشعبية في بيانها فلسفتها النضالية وفق المبادئ التالية^{٤٣}:

- إن اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو هي لغة العنف الثوري.
- القتال العنيف ضد العدو وفي كل أرض تطوَّرها أقدام جنوده هو النهج التاريخي الذي نسير فيه، حتى نصل على مرحلة نفتح فيها أوسع جبهة ضد العدو، وتتحوّل من خلالها الأرض الفلسطينية إلى جحيم يحترق بنيرانه.
- المقاومة المسلحة لا يجب أن تقتصر على المناضلين وحدهم، بل لكل إنسان فلسطيني دوره في مقاومة العدو وعلى كل مستوى.
- إن المقاومة المسلحة هي الأسلوب الوحيد والفعال والذي لا بد أن تلجأ إليه الجماهير الشعبية في تصديها للعدو الصهيوني وكل مصالحه ووجوده.
- إن الجماهير هي مادة المقاومة وقيادتها وان تعبئة قواها لا يمكن أن تتم إلا من خلال التنظيم الثوري الشعبي.

ونفذت الجبهة الشعبية العديد من الأعمال الفدائية ضد العدو الصهيوني، وبشكل بارز اختطاف وتدمير الطائرات الإسرائيلية في أواخر الستينات والسبعينات، كما اشتهرت بعملياتها الخارجية التي كان أولها خطف طائرة "العال" الإسرائيلية من مطار روما في ١٥/٧/١٩٦٨م، كما كان لها نشاطها الهام والملحوظ في الأراضي العربية المحتلة ولاسيما في قطاع غزة في الفترة من (١٩٦٨-١٩٧٢م)^{٤٤}.

هذا وتؤمن الجبهة بضرورة العمل الجبهوي الموحد الديمقراطي الذي يشمل كافة القوى الطبقة

* تكونت الجبهة الشعبية من لقاء ثلاث قوى: "منظمة أبطال العودة" "شباب الثار" المرتبطتين بحركة القوميين العرب، و"جبهة التحرير الفلسطينية".

⁴³ بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية، الطبعة الأولى. دار الشعلة فلسطين. ص ٤-٥.

⁴⁴ عبد الوهاب الكيالي. (١٩٨٩): موسوعة السياسة. مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

السياسية والاجتماعية صاحبة المصلحة في إنجاز مرحلة التحرر الوطني وتوسعي لتمكين الطبقة العاملة وعموم الكادحين وممثليهم للقيام بدورهم القيادي، وتعتبر الجبهة " أن نضال الشعب الفلسطيني والأمة العربية جزء لا يتجزأ من نضال قوى التحرر والتقدم والديمقراطية والاشتراكية في العالم، كما تؤمن بالترابط العضوي بين النضال الوطني والقومي وتناضل جنباً إلى جنب مع سائر القوى والأحزاب الوطنية والديمقراطية العربية لتحرير فلسطين والأراضي العربية المحتلة^{٤٥}. ومن المحطات الرئيسية في مسيرة الجبهة انسحاب جبهة التحرير الفلسطينية من الجبهة الشعبية لتشكل فيما بعد، ما أصبح يعرف باسم الجبهة الشعبية/ القيادة العامة، وبهذا فإن الجبهة الشعبية أصبحت بشكل أو بآخر هي الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وكذلك انشقاق الجبهة الديمقراطية عنها، حيث دخلت بعدها الجبهة الشعبية مرحلة التحول إلى فصيل شيوعي، إلى حزب ماركسي لينيني، إلى فصيل للطبقة العاملة^{٤٦}.

ويتمثل الخط السياسي الذي سارت على أساسه الجبهة الشعبية بأربعة مفاصل رئيسية كما يراها أمينها العام الأسبق د.جورج حبش في كلمته أمام المؤتمر الوطني السادس، والمفاصل هي^{٤٧}:

١. امتلاك الجبهة لرؤية علمية واقعية للعدو وتحالفاته، حيث طرحت الجبهة فهمها ورؤيتها لمعسكر الأعداء، وكشفت الأسس الاقتصادية والسياسية التي تكمن وراء الحلف المعادي، وبينت خصائص المشروع الصهيوني كمشروع إمبريالي استيطاني، يستهدف الهيمنة السياسية والاقتصادية على فلسطين والأمة العربية تحت مظلة عسكرية تستند إلى تفوقها المطلق سواء في الأسلحة التقليدية أو النووية. وقد ركزت الجبهة في سنواتها الأولى على رؤيتها الاستراتيجية، ولكن من خلال التجربة توصلت إلى أهمية وضرورة الربط ما بين الاستراتيجية والتكتيك السليم.

٢. رؤية وقناعة الجبهة بضرورة حشد الجماهير الفلسطينية دون استثناء (الفئات، الشرائح، الطبقات) وذلك استجابة لطبيعة ومهمات مرحلة التحرر الوطني، وكانت الجبهة تحرص دوماً على أن تكون قيادة الثورة قادرة على حشد وتعبئة طبقات الشعب كون هدفها هو المصلحة الوطنية العليا لعموم الطبقات.

٣. ترابط العمل الوطني الفلسطيني مع العمل القومي العربي، والذي يعكس رؤية الجبهة لخصوصية الصراع وموازين القوى والبعد القومي كحاضنة للبعد الوطني، وقد شهدت الصيغة التنظيمية لهذا الترابط حراكاً دائماً امتد على مساحة التجربة النضالية: (حركة

⁴⁵ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (١٩٩٧): المؤتمر الوطني السادس، الطبعة الأولى. ص ص ٢٨٦-٢٨٧.

⁴⁶ بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية، مصدر سبق ذكره. ص ١١.

⁴⁷ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين/ اللجنة المركزية العامة. (٢٠٠٠): ملحق لوثائق المؤتمر الوطني السادس. ص ص ٥-٧.

القوميين العرب، حزب العمل، التفكير في جبهات قومية متعددة).

٤. البعد الدولي، حيث سعت الجبهة نظرياً وعملياً لحشد أوسع إطار دولي لنصرة القضية الفلسطينية إلى جانب بعديها الفلسطيني والعربي، وذلك إدراكاً منها لحجم معسكر العدو وما يملكه من إمكانيات. هذا الخط يعكس أيضاً رؤيتها لوحدة معسكر الثورة على المستوى العالمي، ونتيجة لهذا الخط شكلت الجبهة وعلى مدار سنوات عنواناً جذاباً حيث التحق بها المناضلون من مختلف الجنسيات والبلدان، وكانت مدرسة ثورية استطاعت إقامة شبكة علاقات تحالفية واسعة النطاق، تتبادل العون والمساعدة مع حركات التحرر والقوى التقدمية والديمقراطية على المستوى العالمي.

من جهة ثانية تعتمد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تشكيلها التنظيمي على مفهوم الحزب اللينيني الذي يتخذ الشكل الهرمي من القمة إلى القاعدة والمتكون من: الأمين العام، نائب الأمين العام، أعضاء المكتب السياسي، أعضاء اللجنة المركزية، قيادة الفروع، قيادة المنطقة، قيادة القطاع، قيادة الرابطة، الخلية، والحلقة.

وقد بقي د. جورج حبش المؤسس والأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ الإعلان عن تأسيسها في العام ١٩٦٧م اثنين وثلاثين عاماً حتى أعلن عن تنحيه عن منصبه ليتفرغ للأبحاث والدراسات ويعطي الفرصة للشباب لتولي المراتب العليا في الحزب^{٤٨}.

وانتخب مصطفى الزبري الملقب بـ "أبو علي مصطفى" في تموز/ يوليو ٢٠٠٠م أميناً عاماً للجبهة إلى أن اغتالته إسرائيل في ٢٧ آب/ أغسطس ٢٠٠١^{٤٩}، وانتخبت اللجنة المركزية للجبهة الشعبية بعد اغتيال الزبري أميناً عاماً جديداً لها يدعى أحمد سعادات^{٥٠}، حيث اعتقل فيما بعد من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية في سجن بمدينة أريحا تحت حراسة بريطانية وأمريكية بحجة حمايته من أي عملية اغتيال محتمل القيام بها من قبل إسرائيل، إلى أن اختطفته قوات الاحتلال مع أربعة آخرين من رفاقه من الجبهة لاتهامهم بقتل وزير السياحة الإسرائيلي ربيع زئيفي وكذلك العميد فؤاد الشوبكي، خلال عملية عسكرية واسعة استهدفت مبنى المقاطعة وسجن أريحا المركزي نفذتها في ١٤/ آذار/ مارس ٢٠٠٦م، وذلك بعد انسحاب المراقبين الأميركيين والأوروبيين من المكان ضمن تخطيط مسبق مع الاحتلال^{٥١}.

⁴⁸ المصدر نفسه. ص ٢-١ .

⁴⁹ أبو علي مصطفى.. نهاية خاطفة .
www.aljazeera.net/News/archive?ArchiveId=14885.23/4/1426 .

⁵⁰ سعادات يخلف مصطفى في قيادة الجبهة الشعبية
www.aljazeera.net/News/archive?ArchiveId=17297.23/4/1426.

⁵¹ إسرائيل تقتحم سجن أريحا وتعتقل سعادات والشوبكي و٤ آخرين.(٢٠٠٦، ١٥ آذار) القدس، ص ١، ٢٩.

مؤتمرات الجبهة الشعبية

المؤتمر "التأسيسي" الأول

عقدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مؤتمرها التأسيسي الأول في آب/ أغسطس ١٩٦٨م في الأردن، وصدر في ختامه التقرير الأساسي متضمناً مواقف الجبهة الشعبية من مختلف القضايا المطروحة. وتبنت الجبهة الشعبية رسمياً في هذا المؤتمر الاشتراكية العلمية كدليل عمل تسترشد به من خلال مسيرتها النضالية.

وتضمن التقرير الصادر عن المؤتمر مدخلاً تحليلياً حول تاريخ القضية الفلسطينية والعلاقة الجدلية الفلسطينية العربية مؤكداً " منذ بداية التاريخ الحديث لفلسطين، بات واضحاً أن مصير فلسطين تقررته حركة الصراع الوطني، والذي هو في حقيقته المادية الملموسة صراع طبقي بين معسكر قوى التحرر الوطني على الأرض الفلسطينية والعربية، وبين معسكر أعداء التحرر الوطني، من استعمار وأنظمة عربية رجعية متحالفة معه ومع الصهيونية العالمية"^{٥٢}.

المؤتمر الوطني الثاني

عقدت الجبهة الشعبية مؤتمرها الثاني في شباط/ فبراير ١٩٦٩م في الأردن، وأقرت خلاله وثيقة "الاستراتيجية السياسية والتنظيمية" التي شكلت محطة هامة في مسيرة الجبهة وتطلعها إلى تحول التنظيم القائم إلى تنظيم ماركسي - لينيني مقاتل.

وأكدت الاستراتيجية السياسية على أهمية الفكر السياسي فاعتبرت أن " شرطاً من شروط النجاح هو الرؤية الواضحة للأمور والرؤية الواضحة للعدو، والرؤية الواضحة لقوى الثورة، وعلى ضوء هذه الرؤية تتحدد استراتيجية المعركة وبدونها يكون العمل الوطني عفويًا ومرتبلاً لا يلبث أن ينتهي إلى الفشل"^{٥٣}.

وفي المجال التنظيمي صاغت الوثيقة الخطوط التنظيمية الأساسية التي ستعتمدها الجبهة الشعبية في بناء الحزب الثوري "شرط أساسي لكل ثورة جذرية حقيقية في عصرنا"^{٥٤}. وأقرت الوثيقة مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها العلاقات داخل الحزب الثوري، ويأتي في مقدمتها مبدأ الديمقراطية المركزية، وهو المبدأ الأساسي الذي قامت عليه كافة الأحزاب الثورية في قيادتها لثورات هذا

⁵² بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية، مصدر سبق ذكره. ص ٦.

⁵³ المصدر نفسه. ص ٤٣.

⁵⁴ المصدر نفسه. ص ١٢٣.

العصر"^{٥٥}.

وأقامت الجبهة الشعبية مدرسة لبناء الكادر الحزبي في الأردن، وأصدرت "مجلة الهدف" التي ترأس تحريرها الشهيد غسان كنفاني - عضو المكتب السياسي للجبهة-، لكن انغماس قيادة الجبهة في العمل لتصعيد فعالية الجبهة ونشاطها السياسي والعسكري وال جماهيري ضد العدو الصهيوني كان له أثره في تأخير عملية التحول^{٥٦}.

المؤتمر الوطني الثالث

شهدت الفترة الفاصلة بين المؤتمرين الثاني والثالث للجبهة سلسلة من التطورات على الصعيدين الفلسطيني والعربي، منها انتقال قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى فصائل حركة المقاومة، وسلسلة من الصدمات بين القوات الأردنية ومنظمات الثورة عامي ١٩٦٩م، و١٩٧٠م، وقبول جمال عبد الناصر لمشروع وزير الخارجية الأميركي روجرز في تموز/ يوليو ١٩٧٠م، والخلافات التي تلت ذلك بين فصائل المقاومة الفلسطينية والقيادة المصرية. إلا أن أخطر هذه التطورات كانت معارك أيلول/سبتمبر ١٩٧٠م، بين السلطة الأردنية وحركة المقاومة التي أدت إلى خروج المقاومة من مدينة عمان، ثم معارك أحراش جرش وعجلون في تموز/ يوليو ١٩٧١م، وكان من نتائجها انتهاء النشاط العلني للمقاومة الفلسطينية في الأردن، وبذلك وجدت الثورة الفلسطينية نفسها، أمام واقع سياسي في غاية الصعوبة طرح العديد من الأسئلة حول مستقبل الثورة ومصيرها^{٥٧}.

وفي ظل هذه الأوضاع انعقد المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في آذار/مارس ١٩٧٢م في لبنان، حيث أقر وثيقة "مهمات المرحلة الجديدة" والنظام الداخلي الجديد، وأعطى عملية التحول وبناء الحزب الثوري، أيديولوجياً وتنظيماً وسياسياً الصدارة، إيماناً منه بأن قدرة الثورة على الصمود والاستمرار تتوقف على صلابة التنظيم.

ونص النظام الداخلي الجديد على أن المبادئ الأساسية للجبهة الشعبية هي المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية ووحدة الحزب، والنقد الذاتي وجماهير الحزب والثورة، وعلى أن كل عضو

⁵⁵ المصدر نفسه. ص ١٥٦.

⁵⁶ الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين". مصدر سبق ذكره. ص ١٥.

⁵⁷ ماهر الطاهر. (٢٠٠٤): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. في: فيصل دراج، محمد جمال باروت (معد). الأحزاب والحركات اليسارية. المركز العربي للدراسات الإستراتيجية. الإمارات. الجزء الثاني. ص ٥٥٤.

سياسي في الجبهة مقاتل وكل مقاتل سياسي، وحدد النظام الداخلي شروط العضوية وواجباتها وحقوقها ورسم الهيكل التنظيمي للحزبي فهناك الهيئات المركزية التي تضم المؤتمر الوطني، واللجنة المركزية والمكتب السياسي تليها الهيئات القيادية للساحة كمؤتمر الساحة، ولجنة الساحة المركزية وقيادة الساحة، ويأتي بعد ذلك مؤتمر المنطقة وقيادة المنطقة، ثم مؤتمر القطاع وقيادة القطاع، ومؤتمر الرابطة وقيادة الرابطة، ثم الخلايا والحلقات.⁵⁸

المؤتمر الوطني الرابع

انعقد المؤتمر الرابع في نيسان/ أبريل ١٩٨١م في بيروت تحت شعار " المؤتمر الوطني الرابع خطوة هامة على طريق استكمال عملية التحول لبناء الحزب الماركسي اللينيني، والجبهة الوطنية الفلسطينية المتحدة، وتصعيد الكفاح المسلح، وحماية وجود الثورة وتعزيز مواقعها النضالية، ودحر نهج التسوية والاستسلام، وتعميق الروابط الكفاحية العربية والأممية"، وشكل هذا المؤتمر معلماً بارزاً في مسيرة الجبهة وقفزة نوعية على طريق التحول من الديمقراطية الثورية إلى الاشتراكية العلمية، وتجلّى ذلك في الوثائق السياسية والتنظيمية الصادرة عن المؤتمر.⁵⁹

وارتكز المؤتمر على أساس الفهم الماركسي الأممي لطبيعة الصراع الدولي باعتباره حركة انتقال المجتمع البشري من الرأسمالية إلى الاشتراكية، مدلاً على ذلك بتفاهم الأزمة العامة للرأسمالية والنجاحات التي حققتها دول المنظومة الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي، وانتقد المؤتمر رؤية الجبهة في فهم وتحليل الوضع الدولي الذي أوقعها في العديد من الأخطاء والثغرات النظرية السياسية كمقولة التطور الرأسمالي واللقاء الاستراتيجي مع الصين باعتبارها الصديق الأول للشعوب المضطهدة مما ترك الجبهة في سنواتها الأولى تحت تأثير "الماوية".⁶⁰

كما تناول المؤتمر بالبحث العميق والدقيق ظاهرة استعداد بعض الأنظمة العربية للاعتراف بالعدو

⁵⁸ محمد أبو لبة. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

⁵⁹ ماهر الطاهر. (٢٠٠٤): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره. ص ص ٥٦٣ - ٥٦٤.

* "الماوية": هي المحصلة النظرية للتجربة الاستراتيجية والتكتيكية للثورة الصينية كما استخلصها زعيم هذه الثورة الأول ماوتسي - تونغ، محصلة حملت بصمة رؤية واضعها، وهي رؤية عكست ثقافة مميزة وتفاعلت مع أحداث غربية. إلى حد كبير - عن التراث الماركسي الغربي وقد نتجت عن هذه المحصلة وعن هذه الرؤيا أيديولوجيا قدر لها إبان الثورة الثقافية الكبرى في أواخر الستينات على وجه الخصوص أن تمارس تأثيراً عظيماً تخطى حدود الصين والعالم الثالث ليشمل القارة الأوروبية أيضاً. للمزيد مكن الرجوع إلى: عبد الوهاب الكيالي. (معد). (١٩٨٧): موسوعة السياسة. الطبعة الأولى. دار الهدى للنشر والتوزيع. كفر قرع. ص ٧٠٣.

الصهيوني وشرعية وجوده في فلسطين والتي تمثلت باتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية، وتطرق إلى أزمة حركة التحرر العربية الناشئة عن سيطرة شرائح البرجوازية على قيادتها، وقضايا أخرى⁶⁰.

المؤتمر الوطني الخامس

انعقد المؤتمر الوطني الخامس للجبهة في شباط/فبراير ١٩٩٣م في دمشق تحت شعار " المؤتمر الوطني الخامس انطلاقة للتجديد وتصليب البنية التنظيمية والكفاحية، وتعميق الديمقراطية، وتعزيز الطابع الجماهيري للحزب، وحماية الانتفاضة واستمرارها، على طرق تحقيق البرنامج الوطني الفلسطيني، والتصدي لنهج ومخططات التصفية والاستسلام"، وعالج التقرير السياسي للمؤتمر الوضع الفلسطيني وطبيعة المرحلة التي تعيشها الثورة الفلسطينية بوصفها مرحلة تحرر وطني يناضل من خلالها الشعب الفلسطيني بمختلف طبقاته وفئاته الاجتماعية والوطنية وقواه السياسية من أجل العودة وإقامة الدولة المستقلة.

وتناول المؤتمر مفهوم التحول الذي طرحته الجبهة منذ السنوات الأولى للتأسيس والذي يعني إمكانية الانتقال علمياً من تنظيم ديمقراطي ثوري إلى حزب يسترشد بالماركسية-اللينينية في مجمل نشاطاته، حيث شهدت الجبهة جدلاً واسعاً حول مفهوم التحول ومضامينه وصاغت الجبهة الشعبية ما اعتبرته فهماً علمياً مركباً لعملية التحول والنظر إليها كعملية تاريخية ومعقدة تشمل كافة الميادين النظرية والسياسية والتنظيمية.

ورأت الجبهة في تشخيصها لأزمة الماركسية أن سقوط النموذج الاشتراكي لا يعني سقوط الاشتراكية والمنهج المادي الجدلي، ولا سقوط الحاجة إليهما، وضرورة تعميق الرؤية حولهما، وأن المطلوب اليوم هو تجديد الماركسية من الموقع الوطني والقومي، والعمل على إعادة إنتاجها للحفاظ على الطابع العلمي والثوري للماركسية⁶¹.

المؤتمر الوطني السادس

عقدت الجبهة مؤتمرها الوطني السادس في تموز/يوليو ٢٠٠٠م في دمشق، وللمرة الأولى في

⁶⁰ المصدر نفسه، ص - ص ٥٦٤-٥٦٧

⁶¹ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (١٩٩٣): التقرير العام الصادر عن المؤتمر الوطني الخامس. رام الله.

مسيرتها الطويلة انعقد هذا المؤتمر على شكل ثلاث حلقات متكاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة والخارج، وقد حتم هذا الإجراء الوضع السياسي الناشئ عن اتفاقيات أوسلو، وإقامة السلطة الفلسطينية على أجزاء من الأرض المحتلة عام ١٩٦٧م^{٦٢}.

تضمن المؤتمر ثلاثة أقسام الوثيقة المنهجية الفكرية، الوثيقة السياسية- التنظيمية والنظام الداخلي الذي أكد على أن الجبهة " حزب سياسي كفاحي يعمل على توعية وتنظيم وقيادة الجماهير الفلسطينية لاستعادة الحقوق الوطنية الفلسطينية، مسترشدة بالمنهج المادي الجدلي التاريخي وبكل ما هو ديمقراطي وتقدمي وإنساني في التراث الفكري والثقافي"^{٦٣}.

من هنا يمكن القول:

- أنه قد تطور فكري وتنظيمي على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ففي البداية كانت تحمل الفكر القومي، ثم الفكر الماركسي، وبعدها تطورت إلى حزب ماركسي لينيني مقاتل يعتمد في نظامه الداخلي على تركيبة الحزب اللينيني ومبادئه المتمثلة في المركزية الديمقراطية، النقد والنقد الذاتي، الدقة والانضباط، والتقييم.
- رغم تبني الجبهة الشعبية للفكر الماركسي اللينيني، إلا أنها لم تتأثر في مواقفها بمواقف الاتحاد السوفيتي كما حصل مع الحزب الشيوعي الفلسطيني، وإنما كانت مواقفها ثابتة ومناهضة للعدو الصهيوني.
- استطاعت الجبهة أن تنسج علاقات مع قوى الأحزاب اليسارية على المستوى العربي والدولي.
- تؤمن الجبهة الشعبية وبقوة بالكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وقامت بعدة عمليات عسكرية - خطف الطائرات - استطاعت من خلالها إبراز القضية الفلسطينية أمام العالم.
- إن للجبهة دورها البارز في أوساط الجماهير فعملت على تأطير الجماهير واستقطابها، فقد كان لها امتداد في النقابات العمالية والجماهيرية وطلبة الجامعات، ولعلها كانت تنافس في مرحلة من المراحل حركة فتح.

⁶² ماهر الطاهر. (٢٠٠٤): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره. ص ص ٥٨٣-٥٨٤.

⁶³ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (١٩٧٧): المؤتمر الوطني السادس. مصدر سبق ذكره. ص ١١٥.

III. الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

النشأة والتأسيس

تأسست الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في ٢٢/شباط - فبراير/١٩٦٩م كفصيل يساري مستقل فكرياً، سياسياً وتنظيماً من فصائل حركة المقاومة الفلسطينية، حيث ارتبط تأسيسها بالتحويلات اليسارية التي شهدتها حركة التحرير الوطني العربية عامة وحركة القوميين العرب خاصة منذ الستينات، وتحديداً بعد انفصال وحدة الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا والتحويلات الطبقية والأيدولوجية الديمقراطية بعد ١٩٦١م في مصر، حيث شهدت الحركة في تلك الفترة صراعاً فكرياً وسياسياً بين أجنحتها انتهت إلى تشتيت شمل مختلف فروع حركة القوميين العرب على امتداد الأقطار العربية، بما في ذلك الفرع الفلسطيني^{٦٤}.

وارتبطت انطلاقة الجبهة الديمقراطية بالتقرير السياسي الأساسي الصادر عن مؤتمر آب/ أغسطس ١٩٦٨م للجبهة الشعبية استقلالها الأيدولوجي والسياسي والتنظيمي، إذ استطاع الجناح اليساري آنذاك أن يحقق انحيازاً أكثرية المؤتمر إلى جانب موضوعات هذا التقرير، واتخذت الجبهة لنفسها في السنوات الأولى للتأسيس اسم "الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين"، ولاحقاً "الجبهة الديمقراطية للشعبية لتحرير فلسطين" تعبيراً عن استمرارية التراث الكفاحي لمناضليها الذين أسهموا في تأسيس الجبهة الشعبية، وناضلوا في صفوف أحزاب الحركة القومية والحركة الوطنية الفلسطينية في الضفة والقطاع والأردن وتجمعات اللجوء والشتات، وتأكيداً على الهوية الأيدولوجية الديمقراطية التي كانت الأساس والقاعدة في انطلاقتها كمنظمة يسارية مستقلة وجماعية مسلحة^{٦٥}.

واستمرت الجبهة تعمل تحت هذا الاسم إلى أن أقرت اللجنة المركزية الثانية البرنامج السياسي الجديد " للجبهة الديمقراطية في العام ١٩٧٥م تعبيراً عن التحويلات البرنامجية الطبقية والأيدولوجية التي وصلت إليها الجبهة، والتي تجمع بين الفكر اليساري والديمقراطي وخصوصية القضية

⁶⁴ الموسوعة الفلسطينية. (١٩٨٤): "الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الثاني. الطبعة الأولى

ص ١١.

⁶⁵ علي بدوان. (٢٠٠٤): الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. في: فيصل دراج، محمد جمال باروت (معد). الأحزاب والحركات اليسارية.

المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، الإمارات. الجزء الأول. ص- ص ٦٠٤-٦٠٥.

والحقوق الوطنية الفلسطينية في مرحلة التحرر الوطني التي تستوجب وفق الجبهة التقاء جميع الطبقات والتيارات السياسية في ائتلاف وطني عريض محكوم ببرنامج القواسم المشتركة.

وقدمت الجبهة الديمقراطية نفسها عند التأسيس كجبهة يسارية متحدة⁶⁶، ودعت في وقت مبكر لإقامة تحالف ديمقراطي ثوري (بين العمال وسائر الكادحين والمتقنين الثوريين) فقد استقطبت سريعاً قطاعات ديمقراطية ويسارية ذات اتجاهات مختلفة تنتسب إلى تنظيم بعينه، كما جذبت فئات موزعة على صفوف الحركة الوطنية والديمقراطية وحركات الشباب بشكل عام، وانضمت إليها على قاعدة هذه السياسة بعد شهور قليلة من التأسيس في حزيران ١٩٦٩م منظماتان يساريتان هما "عصبة اليسار الثوري الفلسطيني" و"المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين" ولاحقاً في العام ١٩٧٢م أقسام من "الجبهة الشعبية الثورية"⁶⁷.

المواقف الفكرية والسياسية

امتازت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بطرح مواقف فكرية وسياسية أهمها⁶⁸:

- دعوتها لشرح وتطوير شعار "دولة فلسطين الديمقراطية" الذي طرحته حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح) للتعبير عن التعايش المشترك للمسلمين والمسيحيين واليهود في فلسطين، في الوقت الذي كانت الجبهة الديمقراطية تدعو فيه إلى ضرورة علمنة هذا الشعار وتسعى إلى تطويره وجعله قراراً رسمياً من قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية.
- دعوتها في آب/أغسطس ١٩٧٣م لتبني البرنامج الوطني المرحلي لحل القضية القومية تحت شعار "العودة وتقرير المصير وإنشاء السلطة الفلسطينية" الذي أصبح بعد حرب ١٩٧٣م شعاراً عاماً لجميع فصائل حركة المقاومة الفلسطينية، عدا فصائل جبهة الرفض آنذاك.

وبعد حرب تشرين طورت الجبهة الديمقراطية هذا البرنامج المرحلي باتجاه أوضح هو برنامج العودة وتقرير المصير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وأصبح هذا البرنامج المرحلي في يونيو/حزيران ١٩٧٤م

⁶⁶ قيس عبد الكريم، وفهد سليمان. (٢٠٠١): الجبهة الديمقراطية .. النشأة والمسار، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت. بيان تأسيس الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، ص ٢٢١.

⁶⁷ المصدر نفسه. بيان انضمام عصبة اليسار الثوري الفلسطيني، وبيان انضمام المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين إلى الجبهة الديمقراطية. ص ٤٧-٤٩.

⁶⁸ الموسوعة الفلسطينية. (١٩٨٤): الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره. ص ١٢-١٣.

(دورة المجلس الوطني الفلسطيني) برنامجاً وطنياً عاماً لمنظمة التحرير، ثم أصبح برنامجاً رسمياً عربياً عام ١٩٧٤م في (قمة الرباط)، ثم تبنته جميع فصائل الثورة الفلسطينية في المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في كانون ثاني/ يناير عام ١٩٧٩م فأصبح بذلك البرنامج المرهلي للشعب الفلسطيني وثورته ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وللجبهة الديمقراطية علاقات عربية ودولية واسعة فهي تحتفظ منذ عام ١٩٧٤م بعلاقات ثابتة ومتطورة مع الأنظمة العربية الوطنية ومع الأحزاب الحاكمة في البلدان الرأسمالية، ومع حركات التحرر الوطني.^{٦٩}

يتكون تنظيم الجبهة الديمقراطية الذي يقوم على أساس هرمي من منظماتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م (الضفة الفلسطينية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة) وفي أقطار اللجوء العربية والبلدان الأجنبية التي تقيم فيها جاليات فلسطينية لأغراض العمل أو الدراسة.^{٧٠}

مؤتمرات الجبهة الديمقراطية

في الفترة الممتدة من آب/ أغسطس ١٩٧٠م - آيار/مايو ١٩٩٨م أنجزت الجبهة الديمقراطية (سبعة) مؤتمرات وكونفرنسات وطنية عامة.^{٧١}

المؤتمر التأسيسي

انعقد المؤتمر التأسيسي الذي أطلقت عليه الجبهة الديمقراطية تسمية "المؤتمر الوطني العام الأول" في آب/ أغسطس ١٩٧٠م في أوج حالة التعبئة والاحتقان التي سبقت أحداث أيلول الدامية في الأردن^{٧٢}، حيث ناقش المؤتمر تقريراً سياسياً عسكرياً تناول فيه الأوضاع العربية والعالمية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي وحركة المقاومة بتركيبها الذاتي وعلاقاتها الموضوعية.

وأقر المؤتمر وثيقة سياسية برنامجية بعنوان "البرنامج العام" وصادق على "اللائحة الداخلية المؤقتة"

⁶⁹ المصدر نفسه. ص ١٣.

⁷⁰ قيس عبد الكريم، وفهد سليمان. (٢٠٠١): الجبهة الديمقراطية .. النشأة والمسار . مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

⁷¹ المصدر نفسه. ص ١٤.

⁷² يمكن الرجوع إلى مصدر: عماد دنذاف. (١٩٩٦): "نايف حواتمة يتحدث". دار الكاتب. دمشق. ص ٩١-١٠٧.

وتم انتخاب اللجنة المركزية الأولى للجبهة وخولها صلاحيات المؤتمر العام، وكلفها بشكل مباشر بإدخال التعديلات على اللائحة الداخلية المؤقتة، والعمل على إعداد لائحة تعزز الطبيعة الجبهوية للتنظيم على أن يكون ذلك مترافقاً مع الخطوات العملية التي تتخذ لتشكيل الحزب رسمياً وتعزيز موقعه داخل الجبهة.

الكونفرانس الوطني العام الأول

انعقد الكونفرانس الوطني الأول في تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٧١م، وذلك بعد أحداث جرش عجلون في تموز/ يوليو، التي وقعت في نفس العام ووضعت نهاية لثلاث سنوات من العمل العلني في الأردن، وأدى إلى انتقال الثورة الفلسطينية إلى سوريا ولبنان وإعادة تمركزها فيها، وصدر عن الكونفرانس "أول نظام داخلي في حياة الجبهة الديمقراطية" وضع في التداول ابتداء من العام ١٩٧٢م، وكانت الجبهة قد قطعت شوطاً في تطورها الفكري والسياسي والتنظيمي، وبلغت درجة من الانسجام والتوحد الداخلي أكسبها مواصفات الجبهة اليسارية الموحدة (أي المنظمة الديمقراطية الثورية الموحدة) ومكنها من تعريف نفسها بهذه الصفة، ومع النظام الداخلي صدرت وثيقة سياسية برنامجية "الموضوعات السياسية" قدمت خطأ عاماً على مختلف الصعد الفلسطينية والتحالفية والعربية والأممية استندت إليه السياسة اليومية للجبهة، ولعبت عملياً دور البرنامج السياسي وأدت بحدود معينة وظيفته.

وانتخب الكونفرانس الوطني العام اللجنة المركزية الثانية للجبهة الديمقراطية وخولها بصلاحيات المؤتمر الوطني العام^{٧٣}، ولعبت اللجنة المركزية الثانية بين تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٧١م وحتى آيار/مايو ١٩٨١م دوراً فائق الأهمية في حياة الجبهة الديمقراطية على مختلف الصعد الفكرية والسياسية، وفي إنضاج خط العمل التنظيمي الحزبي وال جماهيري والعسكري، وفي هذا الإطار أقرت الدورة الرابعة للجنة في آب/أغسطس ١٩٧٣م- أي قبل اندلاع حرب تشرين أول/أكتوبر ١٩٧٣م-الخطوط العامة للبرنامج المحلي على يد وثيقة^{٧٤} بعنوان "عشر موضوعات حول الخط العام للبرنامج الوطني المرحلي في المناطق المحتلة والأردن" الذي تحول لاحقاً وبالتحديد في الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني الفلسطيني في حزيران/يونيو ١٩٧٤م تحت عنوان "برنامج النقاط العشر"^{٧٥} إلى الخط السياسي الموجه لسياسة منظمة التحرير الفلسطينية، وتطور ليصبح

⁷³ قيس عبد الكريم، وفهد سليمان. (٢٠٠١): الجبهة الديمقراطية .. النشأة والمسار مصدر سبق ذكره، ص-ص ١٤-١٥.

⁷⁴ المصدر السابق، الخط العام للبرنامج المحلي في المناطق المحتلة والأردن آب/أغسطس ١٩٧٣م. ص-ص ٥٢-٥٥.

⁷⁵ المصدر السابق، البرنامج السياسي المرحلي "النقاط العشر" المقر من المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشر، القاهرة، ١-

"برنامج الإجماع الوطني" العام ١٩٧٩م إبان انعقاد الدورة الرابعة عشر للمجلس الوطني.

بعد هذا التطور توفرت عناصر صياغة برنامج سياسي متكامل للجبهة الديمقراطية حيث تم في الدورة الخامسة للجنة المركزية في تشرين أول/أكتوبر ١٩٧٤م إجازة ورقة أساس لصياغة البرنامج السياسي وتعديل النظام الداخلي، وهذا ما تحقق في الربع الأخير من العام ١٩٧٥م، وإقرار هاتين الوثيقتين استكملت الجبهة الديمقراطية إرساء الأسس الإيديولوجية والبرنامجية السياسية والتنظيمية لإنجاز تحولها إلى حزب ديمقراطي ثوري وتنظيم حياتها الداخلية وعلاقتها مع الجماهير على أساس متين من المركزية الديمقراطية ولتوطيد وحدتها الفكرية والتنظيمية .

وأقر النظام الداخلي لعام ١٩٧٥م منح منظمات الأقاليم درجة من الاستقلال في صياغة برامجها النضالية المحلية على أن تتسجم مع الاستراتيجية الموحدة والخط السياسي العام للجبهة ككل، كما كرس النظام الداخلي الاستقلالية الشخصية المتميزة لمنظمة الجبهة الديمقراطية في الأردن (مجد) كنتظيم ديمقراطي ثوري يشكل فصيلاً طليعياً من الطبقة العاملة وسائر الجماهير الكادحة من أبناء الشعبين الأردني والفلسطيني في الأردن، وباعتبارها جزءاً عضويّاً من الحركة الوطنية الموحدة لجماهير الشعب في البلاد، وأجاز لها وضع برنامجها السياسي ونظامها الداخلي الخاص وفقاً لمتطلبات النضال الوطني الديمقراطي في الأردن، بما ينسجم مع المبادئ الرئيسية لبرنامج الجبهة العام^{٧٦}.

المؤتمر الوطني العام الثاني

انعقد المؤتمر الوطني العام الثاني في مايو/ أيار ١٩٨١م في أوج تجربة الثورة الفلسطينية في الشتات قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان في حزيران/ يونيو ١٩٨٢م، وفي سياق تنامي الدور السياسي الوطني للجبهة الديمقراطية وتعاضم طاقاتها التنظيمية وفعاليتها النضالية في مختلف ساحات العمل الوطني، حيث أجاز المؤتمر صيغة معدلة للبرنامج السياسي والنظام الداخلي لم تخرج كثيراً عن نطاق وثيقتي العام ١٩٧٥م، وجرى انتخاب اللجنة المركزية الثالثة للجبهة.

كما صدرت وثيقة سياسية تنظيمية هامة عن أعمال هذا المؤتمر تعتبر مساهمة بارزة في تحليل وتشخيص أعمق للمسألة الوطنية الفلسطينية ولبرنامج النضال الوطني المرهلي ولمعضلات حركة

١٩٧٤/٦/٩، ص ٦٨-٦٩.

⁷⁶ علي بدوان. (٢٠٠٤): الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره، ص ٦٤٦.

التحرر الوطني العربية لاجتراح "إيجاد" خط عمل فلسطيني وعربي ضمن أفق مهام التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية على المستوى القطري وفي إطار تداعياتها على المستوى القومي^{٧٧}.

الكونغرس الوطني العام الثاني

يأتي انعقاد الكونغرس الوطني العام الثاني من ٢٣-٢٧ تموز/ يوليو ١٩٩١م بعد حرب الخليج الثانية وقبل انطلاق مؤتمر مدريد للسلام في ٣٠ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩١م، حيث ناقش الكونغرس تقريراً سياسياً تضمن تحليلاً لمجرى تطور الانتفاضة والظروف العربية والدولية المحيطة، ونتائج حرب الخليج الثانية، وتطور الجهود السياسية المبذولة للتوصل إلى تسوية للصراع العربي - الإسرائيلي والقضية الفلسطينية والمقترحات الأميركية المطروحة لعقد مؤتمر للسلام في الشرق الأوسط، ودعا الكونغرس إلى تصعيد الانتفاضة والارتقاء بسبل دعمها وإسنادها إلى التمسك بحق التمثيل المستقل والإصرار على حق منظمة التحرير في تمثيل الشعب الفلسطيني.

وتناول الكونغرس الوطني الثاني تقرير اللجنة المركزية حول الأزمة الداخلية التي عانت منها الجبهة الديمقراطية ابتداءً من منتصف العام ١٩٨٨م. وتضمن التقرير تحليلاً موضوعياً لجذورها وعناصرها، وأبرز الدروس المستخلصة منها واتجاهات التجديد الديمقراطي في حياة الحزب وعلاقته بال جماهير، كما تناول سلسلة من المقترحات التطويرية الواسعة على النظام الداخلي انطلقت من ضرورة تفعيل دور القاعدة الحزبية في صوغ سياسات الجبهة والرقابة على هيئاتها وتحسين التكوين الطبقي للحزب وتجديد بنيته وبرامجه النضالية، وما يستتبعه ذلك من تدقيق في الصلاحيات والمسؤوليات في إطار التوجه لتكريس إشاعة الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية وعلاقته بالمنظمات الديمقراطية والحركة الجماهيرية عموماً^{٧٨}.

المؤتمر الوطني العام الثالث

انتخب المؤتمر الوطني العام الثالث الذي انعقد في الفترة من ٢٩ أيلول/ سبتمبر - ٣ أكتوبر/تشرين أول ١٩٩٤م اللجنة المركزية الخامسة للجبهة و أقر الصيغة الجديدة للبرنامج السياسي تحت عنوان

⁷⁷ قيس عبد الكريم، وفهد سليمان. (٢٠٠١): الجبهة الديمقراطية .. النشأة والمسار. مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

♦ سمي "بالكونغرس" لمحدودية جدول أعماله، ولكنه في الواقع كان مؤتمراً منتخباً بصورة ديمقراطية من مؤتمرات الأقاليم والفروع التي تشكلت بالانتخابات من المنظمات القاعدية صعوداً على امتداد عام ١٩٩٠م.

⁷⁸ قيس عبد الكريم، وفهد سليمان. (٢٠٠١): مصدر سبق ذكره، ص- ص ١٧.

"من أجل حق شعبنا في الاستقلال والعودة على طرق حل ديمقراطي جذري للمسألة الوطنية الفلسطينية"، ومن أبرز التطورات التي أحدثتها البرنامج السياسي المقر اعتماد مبدأ "المساواة بين الشعبين" العربي الفلسطيني واليهودي الإسرائيلي كعنصر رئيس من عناصر الحل الديمقراطي الجذري للمسألة الوطنية.

وأجاز المؤتمر الثالث الصيغة الجديدة للنظام الداخلي على قاعدة تجديد مضامين المركزية الديمقراطية بتعميق الممارسة الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية وعلاقته بال جماهير، حيث جرى تضمين هذا النظام تطويراً نوعياً لآليات ممارسة الديمقراطية الداخلية، أبرزها إلغاء من العضوية التلقائية في المؤتمرات لأعضاء الهيئات الإدارية، وإقرار مبدأ الخضوع للانتخاب من المنظمات الأدنى، واعتماد آلية تقييم للمرشح لعضوية اللجنة المركزية من خلال انتخابات تمهيدية يجريها مندوبو أقاليمهم، وتطوير نظام الرقابة الحزبية بتشكيل لجان رقابة في الأقاليم والفروع.

وناقش المؤتمر تقريراً حول خط العمل التنظيمي بعنوان "تحو حزب طليعي جماهيري متجدد" تضمن عرضاً لأبرز التحولات التنظيمية التي شهدتها الجبهة الديمقراطية منذ المؤتمر الوطني العام الثاني ١٩٨١م والصعوبات التي تواجهها وما زالت في تطبيق اتجاهات التجديد وتعميق الديمقراطية في الحزب التي أطلقها الكونغرس الثاني عام ١٩٩١م واعتمدها خطأً رئيسياً للعمل من أجل التوصل إلى كيفية تجاوز هذه الصعوبات التي تعترض سبيل التطبيق^{٧٩}.

وأجرى المؤتمر الثالث مراجعة سياسية شاملة لسياسة الجبهة، كما ناقش المؤتمر التقرير السياسي حول الأوضاع المستجدة بعد التوقيع على اتفاق إعلان المبادئ "أوسلو" في ١٣/٩/١٩٩٣م، واتفاق القاهرة في ٤/٥/١٩٩٤م، وتضمن هذا التقرير تحليلاً وتقييماً لهذا الاتفاق وتطبيقاته على الأرض، كما ناقش الأزمة في الحركة الثورية العالمية واتجاهات التغيير في عالمنا المعاصر^{٨٠}.

الكونغرس الوطني العام الثالث من ٧ - ٩ كانون ثاني/يناير ١٩٩٨م

للمرة الأولى منذ تأسيس الجبهة الديمقراطية تتعدّد فعالية مؤتمرية موحدة لا تقتصر على تمثيل رمزي لمنظمات الحزب في الوطن أو على تمثيل يفصل بين المشاركة والحضور في الجلسة العامة بل على تمثيل مباشر يطابق بين المشاركة والحضور.

⁷⁹ المصدر السابق، ص ١٩.

⁸⁰ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٤): البرنامج السياسي والنظام الداخلي الصادر عن المؤتمر الوطني العام الثالث. رام الله.

وناقش الكونغرس الوطني تقريراً بعنوان " المرحلة الانتقالية على أبواب عامها الأخير " الذي يعالج المسيرة المتعثرة لاتفاق أوسلو بعد دخول عامه الخامس وأوضاع السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير والتطور في مسار الحركة الجماهيرية في ضوء دروس هبة أيلول/ سبتمبر ١٩٩٦م، وهبة آذار/ نيسان ١٩٩٧م.

ودعا البرنامج للرد على تعنت إسرائيل وتصلها من استحقاقات السلام بالإعلان عن وقف المفاوضات وتجميد الالتزامات التي يملئها الاتفاق على الجانب الفلسطيني^{٨١}، كما طرح التقرير برنامج عمل بديل للخروج من المأزق الراهن الذي زجت فيه قضية الشعب الفلسطيني بفعل الطريق المسدود الذي انتهت إليه مسيرة أوسلو، وبرنامج يقوم على استراتيجية نضالية جديدة عمادها التعبئة الجماهيرية لاستئناف الانتفاضة واستراتيجية تفاوضية جديدة أساسها قرارات الشرعية الدولية (٢٤٢، ٣٣٨، ٢٣٧، ١٩٤) ومبدأ الأرض مقابل السلام^{٨٢}.

المؤتمر الوطني العام الرابع

عقدت الجبهة الديمقراطية المؤتمر الرابع في الفترة (٢٤ و ٢٦/أبريل- نيسان و ٨/مايو- أيار/١٩٩٨م) على ثلاث حلقات في الداخل - بما فيها القدس وغزة- والخارج. وناقش المؤتمر التقرير السياسي وأجاز المبادرة الوطنية الشاملة حول بسط السيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة بعدوان ١٩٦٧م، وتوقفت أعمال المؤتمر مطولاً أمام الاستحقاق التاريخي المقبل من القضية الفلسطينية بانتهاء المرحلة الانتقالية لاتفاق أوسلو في ٤/٥/١٩٩٩م، وبما يملئ هذا الاستحقاق على الصعيد الوطني من واجبات ومهام مفصلية وتاريخية أساسها التحرر من إملاءات أوسلو والعمل لبناء البرنامج الوطني المشترك، وتوصل المؤتمر الوطني إلى بلورة مبادرة سياسية وطنية شاملة لمواجهة هذا الاستحقاق التاريخي بتجسيد قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، كما أقر عناصر هذه المبادرة السياسية ومقومات نجاحها والخطوات المباشرة في تنفيذها^{٨٣}.

من هنا يمكن القول:

- على الصعيد الفكري والتنظيمي، كانت الجبهة الديمقراطية تؤمن بالماركسية اللينينية، واتخذت من الحزب اللينيني شكلاً لنظامها الحزبي الداخلي.

⁸¹ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٨): مأزق التسوية وأفاق النهوض الوطني. وثائق الكونغرس الوطني العام الثالث. ص ٥.

⁸² قيس عبد الكريم، وفهد سليمان. (٢٠٠١): مصدر سبق ذكره. ص ٢١.

⁸³ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٨): الدولة المستقلة والسيادة الوطنية. وثائق المؤتمر الوطني العام الرابع.

- استطاعت الجبهة الديمقراطية أن تنسج علاقات مع دول المنظومة الاشتراكية.
- تؤمن الجبهة الديمقراطية كباقي فصائل المقاومة بالكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني، وفي هذا الإطار قامت بالعديد من العمليات العسكرية ضد الاحتلال.
- لعبت الجبهة الديمقراطية منذ تأسيسها دور في تأطير الطبقة العاملة وأيدت نضالاتها، وعملت على إيجاد امتداد جماهيري لها في داخل الأراضي الفلسطينية، غير أن هذا الامتداد لم يكن مثابهاً لامتداد حركة فتح، والجبهة الشعبية، وحزب الشعب.

في الختام يمكن القول إن هذا الفصل قدم ملخصاً حول نشأة ثلاثة من كبرى الأحزاب اليسارية على الساحة الفلسطينية، من حيث تأثيرها على مجرى النضال الفلسطيني ومقاومة الاحتلال، وتوعية الجماهير الشعبية للقيام بدورها في مواجهة الاحتلال، لإفشال مخططاته في تصفية القضية الفلسطينية بالتعاون مع القوى الإمبريالية والرجعية العربية والعالمية.

وقد كان لهذه الأحزاب دورها الكبير في إبراز القضية الفلسطينية أمام الرأي العام العالمي، من خلال العمليات العسكرية التي قامت بها ضد الاحتلال الإسرائيلي وكشفت حقيقته العدوانية ومجازره بحق أبناء شعبنا الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى.

كما كان لهذه الأحزاب دوراً مميزاً على الساحة الفلسطينية، وخاصة الجبهتين الشعبية والديمقراطية، حيث رفضتا أي انتقاص من حقوق الشعب الفلسطيني، وفي هذا الشأن رفضتا اتفاق أوسلو وأي اتفاق آخر يضر بالمصلحة الوطنية الفلسطينية.

من جهة ثانية لعبت الأحزاب اليسارية الفلسطينية الثلاثة دوراً كبيراً في طرح الفكر اليساري أمام الجماهير الفلسطينية كبديل للفكر البرجوازي الإقطاعي الذي لديه الاستعداد للمساومة على حقوق الشعب الفلسطيني، واستغلال الطبقات الفقيرة من هذا الشعب، فقد استطاعت أن توجد لها امتداد جماهيري مؤيد لهذا الفكر خاصة في فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي رغم تراجعها في الآونة الأخيرة، وعلى صعيد آخر كان لليسار دوره الكبير في تأطير الطبقة العاملة وتوعيتها لحقوقها، واعتبارها رافداً من روافد النضال الوطني الفلسطيني وذلك من خلال وسائلها الإعلامية من صحف ومجلات أصدرتها بهذا الخصوص.

الفصل الثاني

موقف ودور اليسار الفلسطيني

المقدمة

لعب اليسار الفلسطيني قبل توقيع اتفاقيات أوسلو دوراً قوياً وطاغياً، فلم يكن أي قرار يتخذ في الساحة الفلسطينية دون الرجوع إليه ذلك أنه يتألف من قواعد هامة في حركة فتح ومن قادتها ومن فصائل تقول أنها تتبنى الماركسية منها: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، جبهة النضال الشعبي، وفصيل الصاعقة التي كانت تصنف بأنها يسارية، وجبهة التحرير العربية التي تصنف أنها قومية يسارية، وبهذا يمكن القول أن اليسار كان قوة أساسية ومركزية في الساحة الفلسطينية⁸⁴.

وفي أواسط السبعينات ولفترة طويلة تميز دور اليسار الفلسطيني بالقدرة على بلورة التوجهات الوطنية الواقعية التي لها طابع برنامجي، واستطاع جزء متقدم منه أن يؤثر تأثيراً ملموساً على السياسات والاستراتيجيات التي تبنتها الحركة الوطنية الفلسطينية⁸⁵.

وبلغت تأثيرات "اليسار الديمقراطي" الذروة في العام ١٩٨٨م عند إعادة توحيد مختلف القوى السياسية الفلسطينية على قاعدة برنامج سياسي واقعي، قدم للعالم باعتباره برنامج السلام الفلسطيني تم فيه الإقرار العملي بوجود دولة إسرائيل وحددت الأهداف الوطنية الفلسطينية بإبراز حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس على الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م وإيجاد حل عادل لقضية اللاجئين على أساس قرارات الشرعية الدولية خاصة قرار (١٩٤).

بعد اتفاقية أوسلو وانتقال جزء من حركة فتح إلى الوطن اختلفت المعادلة⁸⁶، فقد بدأ اليسار يعزل نفسه أكثر فأكثر وبات مكشوفاً من حيث تبلور مظاهر التفكك بين فصائله، وباتت التيارات الوطنية

⁸⁴ سمح شبيب/ أستاذ محاضر في دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): أزمة اليسار الفلسطيني. جامعة بيرزيت.

⁸⁵ ساجي سلامة/ عضو المجلس الوطني الفلسطيني، مدير عام دائرة شؤون اللاجئين في م.ت.ف، عضو سابق في المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): مقابلة. أزمة اليسار الفلسطيني. مقر دائرة اللاجئين الفلسطينيين. البيرة.

⁸⁶ سمح شبيب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

الفلسطينية غير العفائية تحديداً حركة "فتح" أكثر تفرداً وقدرة على التأثر بالقرار وتوجيه الحركة الوطنية الفلسطينية أكثر من السابق، وبدأ الإسلام السياسي يشق طريقه، وبدأت تظهر على الملأ إشكاليات اليسار الداخلية.

ولم يتمكن اليسار الفلسطيني من قراءة أهمية التطور الذي وقع في أوسلو وتعامل معه باعتباره "وثيقة سياسية" سرعان ما أظهرت التناقضات عدم قدرتها على الحياة⁸⁷، ولم يجر التعامل مع هذا التطور باعتباره حدثاً تاريخياً سلباً أم إيجاباً، مما زاد من عزلة اليسار عن الحركة العامة للأحداث، حيث لم يستطع أن يوقف هذا الحدث والتأثير في اتجاهاته، بل عزل نفسه وانشغل في إثبات سلبيات ما وقع، وفي الجدالات النظرية حول خروج التيار الوطني العام "فتح" على قرارات الإجماع الوطني، وتبع ذلك إجماع اليسار عن المشاركة في بناء الحياة السياسية الفلسطينية بعد الانتخابات التشريعية والرئاسية الأولى[♦]، والانخراط في الأجهزة التي تكونت عام ١٩٩٦م، وانعزاله عن الأطر التي أفرزتها الانتخابات التشريعية وتشكيل الحكومة، واستكمل اليسار هذه الممارسة الانعزالية بمقاطعة اجتماعات اللجنة التنفيذية⁸⁸.

وقد جاءت اتفاقية أوسلو في ظروف صعبة جداً بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية بكافة فصائلها وللقضية الفلسطينية أيضاً، فقد انهار الاتحاد السوفيتي وانهارت معه التجربة الاشتراكية التي كانت التجسيد الأقوى والأكثر حضوراً وتمثيلاً للفكر الماركسي اللينيني، وأعلن جورج بوش الأب بعد حرب الخليج الأولى عن قيام النظام الدولي الجديد بزعامة الولايات المتحدة، وإلى حد كبير بدأ الانهيار العربي الرسمي على خلفية الانقسام إزاء الاجتياح العراقي للكويت، وانضمام جزء مهم من الدول العربية إلى التحالف الثلاثيني الذي أنشأته الولايات المتحدة لتحرير الكويت، فقد فقدت القضية الفلسطينية ومعها م. ت. ف السند الدولي الكبير الذي كانت تمثله الكتلة الاشتراكية، وبدأت تفقد البعد العربي رغم هشاشته، وخضعت المنظمة من موقع اتهامها بموالاته العراق لضغوطات هائلة وضعتها أمام أحد خيارين: إما الشطب وإما التكيف مع الرغبة الأميركية في إحلال السلام في المنطقة، وفق شروط مجحفة جاءت اتفاقية أوسلو لتعبر عنها وعن الواقع الصعب الذي سبقها

⁸⁷ ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

♦ جرت الانتخابات الرئاسية والتشريعية الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية للمرة الأولى في ٢٠ كانون ثاني/يناير ١٩٩٦م، حيث تنافس عليها الرئيس ياسر عرفات عن حركة فتح، وحصل على ٨٧,٢٨% من الأصوات، وحصلت سميحة خليل كمستقلة على ٩,٨%، كما فاز في الانتخابات التشريعية ٨٨ مرشحاً جميعهم من حركة فتح ومستقلين، باستثناء عزمي الشيبيني عن حزب فدا، وحيدر عبد الشافي عن الائتلاف الوطني والديمقراطي، فيما امتنعت القوى الإسلامية واليسارية عن المشاركة في الانتخابات. يمكن الرجوع إلى موقع لجنة الانتخابات المركزية لمعرفة المزيد من التفاصيل على موقعها الإلكتروني، www.elections.ps

⁸⁸ ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره..

وأنتجها، وزاد الأمور تعقيداً أن الاتفاقية أدت إلى انقسام عمودي وأقوي بين الفلسطينيين مما عمق الأزمة بين من تبناها ووقع عليها، ومن عارضها ومنهم قوى اليسار⁸⁹، فجزء من اليسار ممثلاً بـ"حزب الشعب والجبهة الديمقراطية" كان مع المشاركة في عملية أوسلو والجزء الثاني الذي يقوده نايف حواتمة كان ضد المشاركة بل كان يحرض عليها وتقريباً موقفه مشابه لموقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المعارض بشكل تام⁹⁰.

وهناك جزء محدود من اليسار الفلسطيني ممثلاً بحركة "فدا" يمثلته ياسر عبد ربه قبل المشاركة في الانخراط في السلطة ساعياً لتصحيح أوضاعها من الداخل ولتأكيد دوره ومواقفه وأفكاره وأطروحاته من خلالها، أو من خلال مواقع عمله، ويقول عبد ربه "حاولنا - إلى جانب أعضاء داخل فتح وغيرها يشاطروننا نفس التوجه - أن يكون لنا دور في المفاوضات للتأثير على مسارها، أما حزب الشعب فقد بقي متردداً إلى حين خسارته في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٦م، إلا أنه بعد ذلك وافق على دخول السلطة".

وفي الأسطر التالية عرضاً للوضع الذي كانت عليه الأحزاب اليسارية قبل اتفاقيات أوسلو:

■ حزب الشعب الفلسطيني

كان "حزب الشعب الفلسطيني" يتمتع بنفوذ جيد داخل الساحة الفلسطينية في الأرض المحتلة، كما لعب في الخارج - وكان ما يزال يحمل اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني - دوراً فاعلاً وهاماً في استعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية، وبخاصة في الدورة الثامنة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر في ربيع ١٩٨٧م، وتقديراً لنشاطه ضد الاحتلال في الداخل، دخل الحزب وللمرة الأولى في منظمة التحرير الفلسطينية كفصيل مستقل وتمثل في مختلف مؤسساتها، ولعب دوراً مميزاً في الدورة التاسعة عشر التي انعقدت في الجزائر في خريف ١٩٨٨م أثناء الانتفاضة الأولى، ولا سيما في صياغة قراراتها التي تبنت إلى جانب إعلان الاستقلال، قرارات الشرعية الدولية وتحولت هذه القرارات منذئذ إلى سلاح هام في مواجهة الاحتلال⁹¹.

⁸⁹ طلال عوكل/ صحفي ومحلل سياسي، شخصية يسارية ديمقراطية (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): مقابلة. اليسار الفلسطيني. وزارة الإعلام. غزة.

⁹⁰ ياسر عبد ربه/ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): مقابلة. أزمة اليسار الفلسطيني بعد أوسلو. مركز تحالف السلام. البيرة.

⁹¹ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

وحظي حزب الشعب بموقع طليعي ومميز في الحركة الجماهيرية وفي إطار القوى الوطنية الفلسطينية، فهو في مقدمة القوى الأكثر تأثيراً وقيادة للحركة العمالية ونقاباتهما، بالإضافة إلى المنظمات الجماهيرية الأهلية وغير الأهلية، وكان ركناً أساسياً في قيادة القوى الأساسية التي أسهمت بفعالية في تفجير الانتفاضات (الهبات) المتتابعة ضد الاحتلال منذ منتصف ١٩٦٧م، ويحظى أعضاء الحزب باحترام الجماهير الشعبية، وهو يرى بأنه "القوة السياسية الوحيدة التي لم تلوث يديها بدم أي إنسان فلسطيني أو تطاول على أحد أو على مصالح الناس أو فرض القوة عليها، ولم يحاول أن يخدعها بل كان صادقاً معها"^{٩٢}.

و شارك الحزب قبيل توقيع اتفاقيات أوسلو في المفاوضات الجارية وفي تمثيل الوفد الفلسطيني الذي تشكل بقيادة الدكتور حيدر عبد الشافي، واقترح خطة تفاوضية من ثلاث نقاط تقوم على: وقف الاستيطان، توفير الحماية الدولية، وضع آليات وضمانات دولية لتنفيذ أي اتفاق مع الإسرائيليين باتجاه الانسحاب الشامل من المناطق الفلسطينية المحتلة، وفي تلك الفترة قام الحزب بنشاط جماهيري وتعبوي كبير من أجل شرح أهمية تبني المفاوضات لهذه الخطة^{٩٣}.

■ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

حسب ما يرى بعض المراقبين وحسب توажدها في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية كانت الجبهة الشعبية في السبعينات والثمانينات تشكل القوة الثانية بعد حركة فتح في المنظمة وفي غالبية ساحات التواجد الفلسطينية، كما شكلت البرنامج الآخر "البديل" لبرنامج حركة "فتح" الذي شكل المظهر الرئيسي في برنامج العمل الرسمي الفلسطيني، وفي سنوات القطبين والمعسكرين: معسكر الثورة العالمية وحركات التحرر، ومعسكر رأس المال العالمي وقوى الاستعمار القديم والإمبريالية^{٩٤}.

ومرت مسيرة الجبهة الشعبية في الوطن المحتل بعدة أطوار بدءاً بالعمل الفدائي وصولاً إلى العمل الحزبي، حيث طغى على الأول المجموعات الفدائية الصغيرة التي تتلقى تنقيفاً سياسياً محدوداً، فيما

⁹² عبد الرحمن عوض الله/ عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): اتصال شخصي. حزب الشعب الفلسطيني. غزة.

⁹³ حنا عميرة/ عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): اتصال شخصي. حزب الشعب الفلسطيني. القدس.

⁹⁴ جميل مجدلاوي/ عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن قائمة الشهيد أبو علي مصطفى (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): اتصال شخصي. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. غزة.

طغى العمل المركزي في الطور الأخير بين أعوام ١٩٧٦م حتى ١٩٩٣م حيث القيادة الواحدة والامتدادات التنظيمية في كل مكان والتربية الفكرية اليسارية والسياسية وانتظام التقاليد الحزبية بين اجتماعات وتقارير ومحاسبات ، حيث لم تحبط عمليات الملاحقة والاعتقال والاستشهاد دينامية هذه العملية التراكمية^{٩٥}.

وأسهمت الجبهة في كافة مراحل النضال الفلسطيني، سواء في مرحلة تكريس الهوية الوطنية التحررية بين أعوام ١٩٦٧ حتى ١٩٧٢م لتأكيد وجود شعبنا على الخارطة السياسية بأبعاده الكفاحية. وتأثرت مسيرة الجبهة الشعبية كما سواها من فصائل المقاومة بالضربات الأمنية والعسكرية والسياسية وعلى الرغم من ذلك حافظت الجبهة على إرادتها الوطنية وثقافتها اليسارية الثورية، وتبني سياسة المراحل في تحقيق الأهداف التحررية بدءاً ببناء المقاومة والصمود المجتمعي مروراً بنبذ السياسات التنازلية ومحاصرتها مروراً بالاشتباك مع الاحتلال وذلك كله في إطار الوصول للهدف المرحلي بالعودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس^{٩٦}.

وترى الجبهة في اتفاق أوسلو بأنه الزلزال الذي كسر سياق تطورها وتطور المسيرة الوطنية، حيث فرض مشروعاً سياسياً أمريكياً وإسرائيلياً نتج عن تجويف الممثل السياسي للشعب، وتفكيك المجتمعات الفلسطينية التي تباينت أولوياتها وتقهقرت القوى المنظمة النقابية والحزبية، والذي شمل الجبهة الشعبية وتزامن مع انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي الحليف الاستراتيجي الأول للمقاومة الفلسطينية^{٩٧}.

وشكلت الجبهة الشعبية عنوان اليسار الأبرز في الساحة الفلسطينية إلى جانب القوى الأخرى التي تعتبر نفسها جزءاً من هذا المعسكر كالجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والحزب الشيوعي الفلسطيني (حزب الشعب الآن)، كما شكلت الجبهة الشعبية رافداً خاصاً ومميزاً من روافد اليسار العربي في الفكر والممارسة إلى الحد الذي جعل الشهيد جورج حاوي الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني يقول: "إن الجبهة أعادت الاعتبار للقوى الماركسية في الساحة العربية، وهذا ليس انتقاصاً من مكانة ودور أي من القوى الفلسطينية أو العربية اليسارية"^{٩٨}.

^{٩٥} أحمد قطامش مقابلة. مصدر سبق ذكره.

^{٩٦} المصدر نفسه.

^{٩٧} المصدر نفسه.

^{٩٨} جميل مجدلاوي، اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

هذا وقد ترك اتفاق أوسلو والتبدلات القيادية السلبية وضربات الاحتلال وانهيار المعسكر الاشتراكي كل بصماته على الجبهة الشعبية حيث تقلص دورها ووظيفتها التاريخية إلى مجرد ٧-٨% كقوة ثالثة بعد حركتي فتح وحماس، وفي الوقت الذي استنهضت فيه كافة القوى والتيارات الفلسطينية قواها خلال العامين الأخيرين، إلا أن التناقضات الداخلية والموضوعية للجبهة لم تساعد على استنهاض قواها الكامنة^{٩٩}.

■ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

لعبت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين دوراً مهماً في صياغة "مقدمات البرنامج الوطني الفلسطيني" التي عرفت بـ "النقاط العشر" التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشر في يونيو/ حزيران ١٩٧٤م^{١٠٠}، كما كان لها دورها بعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان حينما أعلنت من شأن العمل الجماهيري على اعتبار أن العمل المسلح هو أحد أشكال النضال وليس الشكل الوحيد^{١٠١}.

وحتى السنة الثانية من الانتفاضة الأولى كانت الجبهة الديمقراطية في حالة صعود متواصل في قوتها الجماهيرية والمادية، وكادت توشك أن تشكل بديلاً ديمقراطياً للقيادة الفتاوية التي تفردت بقرار منظمة التحرير الفلسطينية، وتعزز هذا الوضع بفعل ما عليه من نجاح الجبهة في بناء قوتها العسكرية والجماهيرية في لبنان حتى بعد العدوان الإسرائيلي والاشتباكات الداخلية في هذا البلد. وبقيت الجبهة الديمقراطية من أبرز القوى في المخيمات الفلسطينية هناك، ولعبت خلال حرب المخيمات الأولى عامي ١٩٨٥-١٩٨٦م دوراً ملموساً في صد محاولات حركة أمل اللبنانية في السيطرة على المخيمات^{١٠٢}.

و شأنها شأن فصائل اليسار الأخرى توقعت الجبهة الديمقراطية اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى،

⁹⁹ المصدر نفسه.

¹⁰⁰ لمعرفة النقاط العشر يمكن الرجوع إلى قيس عبد الكريم وفهد سليمان. (٢٠٠١): الجبهة الديمقراطية النشأة والمسار. مصدر سبق ذكره.

ص ص ٦٨-٦٩.

¹⁰¹ ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹⁰² قيس عبد الكريم/ عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن قائمة البديل (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): مقابلة. الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. مركز المسار للدراسات، رام الله.

حيث توقعت هذه الانتفاضة منذ العام ١٩٧٤م وعملت من أجلها على امتداد اثني عشر عاماً حيث كان تنظيم الجبهة معبئاً بما ينبغي للعب دور هام في هذه الظروف، ولعبت دوراً في صياغة بيان رقم (٢) للقيادة الموحدة وبيان القوى والمؤسسات الفلسطينية الذي حدد منذ أواخر كانون أول/ديسمبر ١٩٨٧م أهداف الانتفاضة المباشرة وبعيدة الأمد، وكان للجبهة دور في عملية صياغة الأطر الجماهيرية الضرورية للانتفاضة، وتحديد الشعارات ومطالبها الرئيسية في تحديد الأطر الجماهيرية المطلوبة لديمومة العمل، وبرز دورها في طرح فكرة القوى الضاربة، وتعزيز دورها في عملية صنع القرار.

وبعد قيام الأردن في العام ١٩٨٨م بفك الارتباط بينها وبين الضفة الغربية، باتت الانتفاضة ومنظمة التحرير على مفترق طرق حيث نشب في ذلك الحين جدال داخل صفوف فصائل الثورة الفلسطينية، وانعكس الجدل داخل الجبهة الديمقراطية إلى اتجاهين: الأول التقليدي، الذي يرفض التعامل مع أي تورط لمنظمة التحرير في أي شكل من أشكال المفاوضات والتسوية، والاتجاه الآخر يرى في الانتفاضة الفرصة الأخيرة التي يجب اغتنامها ضمن المعادلات الدولية القائمة، لذلك كان رأي الجبهة الديمقراطية بأن إشراك منظمة التحرير في المفاوضات هو مطلب وليس ضرورة، لذلك اقترحت صيغة تقوم على ثلاثة عناصر^{١٠٣}:

١. إعلان دولة فلسطينية

٢. تحرك هذه الدولة وحكومتها المؤقتة على الصعيد الدولي لعقد مؤتمر دولي على أساس قرارات الشرعية الدولية.

٣. الاحتفاظ بخيار الكفاح المسلح باعتباره حق مشروع للشعب الفلسطيني تكفله الشرعية الدولية.

ولدى نشوب الأزمة الداخلية للمكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وتصاعد حداثها حتى أواخر مطلع العام ١٩٩٠م وصلت إلى درجة التعقيد لم يكن ممكن حلها، ولدى طرح النقاش القاعدي تبين أن الأغلبية الكادرية والقاعدية ليست مع وجهة نظر الأقلية، فبدأ الأعضاء وعلى رأسهم ياسر عبد ربه بعملية انشقاق في ٩/٣/١٩٩٠م^{١٠٤}.

وعالج الكونغرس الوطني الثاني في تموز/يوليو ١٩٩١م لدى انعقاده جوهر الأزمة التي تعاني منها الجبهة الديمقراطية باعتبارها أزمة ناجمة عن احتكار القرار من قبل قلة سواء من المكتب السياسي

¹⁰³ المصدر نفسه.

¹⁰⁴ المصدر نفسه.

للجنة المركزية وتحول الديمقراطية لممارسة شكلية، لذلك كان لا بد من تعميق الديمقراطية، وضرورة اتخاذ موقف حاسم من الأزمة التي يمر فيها" المعسكر الاشتراكي"^{١٠٥}، العامل الذي ساهم في تغذية الأزمة الداخلية للجبهة. ولدى انعقاد الكونغرس وامتناع عدد من الأعضاء عن الحضور، اتخذ القرار بأنهم خارج الحزب، وبذلك أصبح قرار الانشقاق أمراً واقعاً وأصبحوا فيما بعد يعرفون بحزب "قدا".

وشكلت هذه التطورات هزة قوية داخل الوطن المحتل خاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد انضمام القيادة السابقة للجبهة في الداخل إلى جانب المنشقين بقيادة ياسر عبد ربه، رغم أن أغلبية المنظمات والكوادر الوسيطة اتخذت موقف مساند للجبهة المركزية، كما كان لهذه الأزمة تأثيراً بالغاً على نمو الجبهة الديمقراطية داخل الوطن، حيث استمرت حتى منتصف التسعينيات، وخلال الأعوام ١٩٩٤-١٩٩٦م بدأت الأزمة تتحصر، وتم استعادة الوضع الطبيعي في العام ١٩٩٧م بانعقاد المؤتمر الإقليمي للجبهة وإجراء انتخابات في الضفة الغربية وغزة للمرة الأولى على أساس ديمقراطي، وفي العام ١٩٩٨م انعقد المؤتمر الوطني العام الرابع ليتوج ذبول الأزمة.

وجرى كل ذلك في ظروف تراجع عام للحركة الوطنية الفلسطينية بفعل نتائج عملية أوسلو، الأمر الذي أسهم في استعادة تماسك الصف الداخلي للجبهة، ولكنه لم ينعكس كدور لاستنهاض الجماهير^{١٠٥}.

ونستعرض فيما يلي موقف اليسار في عدد من القضايا:

أولاً: موقف اليسار من العملية السلمية

ثانياً: موقف اليسار من السلطة الوطنية الفلسطينية

ثالثاً: اليسار ووسائل النضال "المقاومة"

رابعاً: علاقة اليسار مع الجمهور الفلسطيني.

أولاً: موقف اليسار من العملية السلمية

وقعت القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية مع الحكومة الإسرائيلية في الثالث عشر من

^{١٠٥} تجدر الإشارة إلى أنه سبق انعقاد الكونغرس الوطني الثاني انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية مما كان له بالغ الأثر في تعميق الأزمة داخل الجبهة الديمقراطية، فقد أصبح رموز الجبهة وعلى رأسهم ياسر عبد ربه يدعون إلى ضرورة التغيير ليس في التوجه السياسي وإنما في الأيدولوجيا باتجاه ما يسمى بالاشتراكية الديمقراطية وفق ما تطرحه أحزاب المنظومة الاشتراكية السابقة.

^{١٠٥} قيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره

أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣م في واشنطن اتفاق إعلان المبادئ الذاتي- الإداري الذي شكل تحولاً نوعياً في الصراع العربي- الإسرائيلي عامة والفلسطيني- الإسرائيلي خاصة، ويعد هذا الاتفاق بحق منعطفاً تاريخياً في مسار القضية الفلسطينية فهو أول اتفاق يوقعه الفلسطينيون والإسرائيليون ويتم بموجبه تنفيذ تسوية سلمية^{١٠٦}.

وقد اختلفت مواقف الأحزاب من هذه الاتفاقية وما تبعها من اتفاقيات أخرى على النحو التالي:

- حزب الشعب الفلسطيني يعد أهم تنظيم امتلك رؤية للعمل السياسي حيث يعتبر أن الحل السلمي جزء من إستراتيجيته القائمة على أساس إقامة دولتين فلسطينية وأخرى يهودية، وهو الفصيل الوحيد الذي لم يبذل جهداً خاصاً ليقنع نفسه بالعملية السلمية، وقد كان مع المشاركة في مؤتمر مدريد وما تبعه، ويرى الأمين العام السابق للحزب بشير البرغوثي بأن الخيار مع المشاركة في المؤتمر هو خيار واقعي وحكيم ويوفر ساحة إضافية وهامة للنضال من أجل الأسس التي وضعها المجلس الوطني في دورتيه التاسعة عشر والعشرين كشرط للذهاب للمؤتمر لتحقيق الأهداف الوطنية و في مقدمتها حق تقرير المصير، واعتبر البرغوثي أن القرار بعدم الذهاب سينجم عنه عزلة على المستويين العربي والدولي، خاصة بعد ما نتج عن حرب الخليج^{١٠٧}.

- الجبهة الشعبية التي اعترضت على مبدأ الحل ورفضت المشاركة في العملية السلمية، رأت أن هذا الاتفاق يمثل حالة انهيار من القيادة المهيمنة في منظمة التحرير الفلسطينية أمام الشروط الأميركية- الإسرائيلية، وتتويجاً لسياسة قيادة المنظمة في تقديم التنازلات، ونهاية منطقية للطريق التصفوي الذي انخرطت في مساراته، حسب تعبيراتها^{١٠٨}.

- الجبهة الديمقراطية رأت أن قرار المشاركة في مؤتمر مدريد وفق الصيغة الأميركية يلحق ضرراً فادحاً بنضال الشعب الفلسطيني من أجل حقوقه الوطنية، معتبراً أن مجرد انعقاد هذا المؤتمر والمفاوضات التي يطلقها يهدد بتسوية مجحفة للقضية الفلسطينية، وأن مؤتمر مدريد ليس نهاية المطاف بل هو إيذان ببداية مرحلة جديدة من النضال الوطني الفلسطيني أكثر صعوبة

¹⁰⁶ محسن محمد صالح. (٢٠٠٣): فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية. مصدر سبق ذكره. ص. ٤٧١-٤٧٣.

يمكن الرجوع إلى مقدمة الرسالة ص .

¹⁰⁷ من كتابات بشير برغوثي مقالات في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية. (٢٠٠٣) : مركز فؤاد نصار، رام الله . ص ص ٣٩-٤٠.

¹⁰⁸ ماهر الطاهر. (٢٠٠٤): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره . ص٥٧٩.

وتعقيداً من المرحلة السابقة^{١٠٩}.

وفيما يلي مواقف كل حزب من العملية السلمية:

■ حزب الشعب الفلسطيني

انسجماً مع موقف حزب الشعب الفلسطيني من العملية السلمية فهو يعد في مقدمة من أيدوا المشاركة في مؤتمر مدريد الدولي، فمع انطلاق العملية السلمية ومؤتمر مدريد وتواصلاً مع رؤية الحزب بضرورة حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي حلاً سياسياً طبقاً لقرارات الشرعية الدولية^{١١٠}، حدد أن المفاوضات يجب أن تكون تحت إشراف دولي، بهدف تنفيذ قرارات الشرعية الدولية وليس التفاوض حولها^{١١١}، لأن قاعدة هذا المؤتمر كانت تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي (٢٤٢)، (٣٣٨)، ومبدأ الأرض مقابل السلام وهي مبادئ كان الحزب قد قبلها لدى صدورها باعتبارها مبادئ واقعية تعكس توازن القوى الذي تشكل في المنطقة عقب هزيمة ١٩٦٧م، علاوة على الوضع الذي نشأ عقب حرب الخليج الثانية وانهيار المعسكر الشرقي الذي أدخل من جديد بموازن القوى وحدد الخيارات أمام الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية، وبذلك يرى قادة الحزب أنهم نجحوا في تشخيص الوضع الفلسطيني عام ١٩٩١م تشخيصاً صائباً ودقيقاً^{١١٢}، واعتبروا أن تأييده للعملية السياسية والمشاركة فيها كان صائباً شأنه شأن القرارات التي سبقته مثل الموافقة على قرار التقسيم عام ١٩٤٧م وقبول قرار مجلس الأمن (٢٤٢) عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧م^{١١٣}.

و يدرك الحزب في تأييده للعملية السلمية من خلال تجربته وتحليله العملي للواقع المحلي والعربي والدولي الموضوعي وموازن القوى وفي ظل الوضع الراهن - أن الرفض والمقاومة لن يجلب إلا مزيداً من الخسائر والمعاناة للشعب الفلسطيني^{١١٤}. ويعتقد أن أدوات الصراع مهما كانت عنيفة أو لا في هذه الفترة أو تلك لا بد في النهاية أن يتحدد مصير هذا الصراع من خلال عملية تفاوضية،

¹⁰⁹ قيس عبد الكريم وآخرون. (١٩٩٧): الطريق الوعر نظرة على المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية من مدريد إلى أوسلو، الطبعة الأولى.

دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت. ص ١٦.

¹¹⁰ عبد الرحمن عوض الله. (٢٠٠٠): الحركة الشيوعية الفلسطينية وحزب الشعب. مصدر سبق ذكره. ص ١٢٢.

¹¹¹ حنا عميرة. اتصال شخصي، مصدر سبق ذكره.

¹¹² تيسير العاروري. (تشرين أول ١٩٩٨): أزمة حزب الشعب الفلسطيني. في: المؤتمر الثالث للحزب. حزب الشعب الفلسطيني. رام الله.

¹¹³ المصدر نفسه.

¹¹⁴ عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

فالعملية السياسية هي شكل من أشكال الصراع يضع كل طرف أسلحته التي تدعم الحق في وجه الاحتلال على طاولة المفاوضات^{١١٥}.

■ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

وانسجاماً مع موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الراض للعملية السلمية والمشاركة فيها فإن الجبهة لا ترى أنه كان مفروضاً على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التعامل مع المبادرة الأميركية حول عملية المفاوضات التي أطلقتها ضمن الشروط المجحفة للغاية التي قبلت على أساسها الدخول في هذه العملية، لأن القبول بهذه الشروط يعد قبولاً بالنتائج المترتبة عليها، وتؤكد الجبهة على لسان د. جورج حبش/ أمينها العام الأسبق على أن قيادة المنظمة لم تكن مجبرة على التعامل مع المبادرة الأميركية وفق الشروط الإسرائيلية المتعلقة بالتمثيل وأساس المفاوضات واستبعاد الأمم المتحدة وأوروبا وقرارات الشرعية الدولية ويقول^{١١٦}:

"لقد كان أمام قيادة المنظمة فرصة معقولة وممكنة لتجنب الوقوع في الفخ الأميركي، رغم المصاعب والتعقيدات الهائلة التي واجهتها المنظمة - بعد حرب الخليج وانهار الاتحاد السوفيتي- فأنا لا أتفق مع الرأي القائل بأنه لم يكن أمام قيادة المنظمة أي خيار سوى المرور في هذا الممر الإجباري المفروض عليها سياسياً لقد كان بإمكان، بل من واجب، القيادة المعنية التثبيت بالثوابت الوطنية المتفق عليها في الساحة الفلسطينية".

وعلى الرغم من تفهم الجبهة الشعبية للسلام والتسويات كآليات لتحقيق الأهداف الوطنية إلا أنها تعتبر أن ما يدور منذ اتفاق أوسلو ليس "عملية سلمية" وإنما "تسوية سياسية" لإدارة الأزمة وليس حلها مما جعلها غطاء لتوسيع المستوطنات والدعم الأميركي لاجتياح مدن الضفة الغربية عام ٢٠٠٠م، والتواطؤ مع بناء الجدار العنصري التوسعي الذي يحول الأراضي الفلسطينية إلى سجن كبير، لهذا تجد نفسها خارج المشروع التسوي الذي حسب رأيها " مشروع أميركي إسرائيلي" يلجأ للقوة والضغط لتمريره فلسطينياً وتجنيد قوى اجتماعية سياسية للتعاطي معه لأن ذلك لن يقود إلى السلام وسيصطدم بإرادة الشعب التحررية ومطالبه الحياتية^{١١٧}.

وحسب الأمين العام الحالي للجبهة الشعبية أحمد سعادات فإن موقف الجبهة من العملية السلمية

¹¹⁵ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹¹⁶ جورج حبش. (١٩٩٢): "فلنحتكم إلى الشعب قبل الإقدام على حلول وخطوات سياسية". صوت الوطن. ٣٨. ص ص ١٦-١٧.

¹¹⁷ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

يتلخص بالنقاط التالية¹¹⁸:

- إن طبيعة المفاوضات على أساس مرجعية أوصلو ومشتقاتها الراهنة (خارطة الطريق) تحدها موازين القوى المحتلة لصالح إسرائيل محلياً، إقليمياً ودولياً، وعليه فإن الطرف المحدد لنتائجها هو إسرائيل فقط.
- إن المشاريع الأميركية الإسرائيلية المطروحة مدخلها أمني وتتطلب من تجريم الشعب الفلسطيني وخضوعه للاحتياجات الأمنية الإسرائيلية المبالغ فيها، وهذا يعكس نفسه على كل مفردات التفاوض.
- إن المطروح هو مشاريع إطارات لإدارة "الأزمة" وليس لحلها، وتكريس الأمر الواقع وفق المقاس الإسرائيلي وفرضه على شعبنا وعلى المجتمع الدولي، فهي مشاريع للتفاوض تحت العصا الأميركية - الإسرائيلية والجزرة الأوروبية وليس مشاريع للحل، أي فرض التفاوض على قرارات الشرعية الدولية، وليس حول آليات تنفيذها من قبل إسرائيل.

وبناءً على هذه المنطلقات تؤكد الجبهة أن البديل يتمثل في الارتكاز على إنجازات شعبنا السياسية في إدارة نضالنا السياسي وعلى المقاومة في مواجهة العدوان الصهيوني المستمر على شعبنا، وفي الدعوة لعقد مؤتمر دولي للسلام تحت مرجعية الأمم المتحدة وقراراتها بديلاً للمشاريع المقامة بمرجعيتها الأميركية¹¹⁹.

▪ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

تعتبر الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين أول فصيل فلسطيني دعا إلى حل تفاوضي للصراع الفلسطيني _ الإسرائيلي يقوم على أساس إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م وإقامة دولة فلسطينية مستقلة في حدود الرابع من حزيران وضمن حق العودة للاجئين وفق قرار (١٩٤)♦، وقد دعت الجبهة منذ العام ١٩٧٣م وحتى مطلع ١٩٧٤م إلى ضرورة تمكين م.ت.ف باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني من المشاركة في مؤتمر جنيف الذي دُعي له لبحث الصراع العربي الإسرائيلي في أعقاب حرب تشرين أول/ أكتوبر، كما دعت إلى اعتراف عربي ودولي بمنظمة التحرير باعتبارها الطرف المخول بتمثيل الشعب الفلسطيني في

¹¹⁸ أحمد سعدات/ الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن قائمة الشهيد أبو علي مصطفى (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): اتصال شخصي. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. سجن أريحا.

¹¹⁹ المصدر نفسه.

♦ وذلك وفقاً لقادة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

أي مفاوضات تتعلق بالقضية الوطنية^{١٢٠}.

إلا أن الجبهة الديمقراطية وقفت موقف الرفض والمقاومة لاتفاقيات كامب ديفيد وبشكل خاص الفصل الفلسطيني لهذه الاتفاقيات الذي يقوم على فكرة الحكم الذاتي المؤقت، معتبرة أن ذلك يعزز استمرار الهيمنة الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية، ودعت الجبهة عند بدء الحوار الأميركي الفلسطيني في أواخر ١٩٨٨م إلى التأكيد على ضرورة قيام الولايات المتحدة الأميركية بدورها كطرف يسعى لمفاوضات شاملة لحل الصراع على أساس قرارات الشرعية الدولية، كما عارضت المفاوضات التي جرت في إطار مدريد، لأنها قرمت المسار الفلسطيني للتفاوض في إطار مشروع الحكم الذاتي الذي جاءت به في اتفاقيات كامب ديفيد بشقها الفلسطيني^{١٢١}، وعارضت الجبهة اتفاقيات أوسلو^{١٢٢} لأنها تقيم حالة سلام بين الطرفين دون ضمان الانسحاب الإسرائيلي الكامل إلى حدود الرابع من حزيران، ودون أن تضمن حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وحق اللاجئين والعودة، وتؤكد على أن الصيغة التفاوضية الملائمة هي صيغة المؤتمر الدولي الذي ينعقد تحت إشراف دولي جماعي بعيداً عن التفرد الأميركي في إطار الأمم المتحدة وعلى أساس قراراتها الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية^{١٢٣}.

ورأت الجبهة أن اتفاقيات أوسلو - التي اعتبرت أن الأراضي الفلسطينية أرض متنازع عليها - أدت إلى إعادة انتشار جزئية للجيش الإسرائيلي وإلى تشكيل سلطة فلسطينية، حيث أثبتت الوقائع أن اتفاقيات أوسلو وصلت إلى استعصاء محكم، ولم تفتح الطريق لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، فالاستيطان لم يتوقف بل تسارع، وتضاعفت وتيرة نهب الأرض، والسياسة الإسرائيلية تجاه تهويد القدس، وبلغت مستوى التطهير العرقي المنهجي، وازداد الوضع الأمني تدهوراً وتفاقت العقوبات الجماعية على شعبنا، ولم تصدق الوعود بإنهاء المعاناة الاقتصادية^{١٢٣}.

ومن هنا فإن السلام المتوازن شيء، وسلام قائم على جمع الحلول الثنائية شيء آخر لا يرتبط

¹²⁰ قيس عبد الكريم. مقابلة مصدر سبق ذكره.

¹²¹ المصدر نفسه.

♦ يعتقد كثير من المراقبين أن الموقف الحقيقي للجبهة الديمقراطية من اتفاقيات أوسلو يعود إلى طبيعة الاصطفاف الذي تشكل بعد انشقاق حزب فدا عنها وخروجه من صفوفها، كما يرى قادة فدا أنفسهم أن الجبهة الديمقراطية اتخذت الموقف المعارض على العكس من حزب فدا التي أيدت الحل والسلطة الفلسطينية، ويعود ذلك لموقف تنظيمي أكثر منه سياسي.

¹²² قيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹²³ صالح زيدان/ عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥): اتصال شخصي. الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. غزة.

بسلام الشرعية الدولية، السلام الشامل القائم على انسحاب المحتلين إلى ما وراء خطوط الرابع من حزيران/يونيو ١٩٦٧م من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة بما فيها القدس الشرقية وحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة واستعادة السيادة على أرضه وفق قرار الأمم المتحدة (١٨١) عام ١٩٤٧م^{١٢٤}.

وفي هذا السياق يرى نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية^{١٢٥}:

"أن سلام أوسلو و تجميع الحلول الثنائية" لا يقود إلى السلام العربي - الإسرائيلي الذي دعت إليه قرارات القمم العربية من الرباط ١٩٧٤م إلى القاهرة ١٩٩٦م والتزام معادلة الشرعية، إن الذي تم حتى الآن يشير إلى سلام آخر يقوم على تهويد القدس وتشطير مدينة الخليل وفق بروتوكول الخليل مع نتتياهو وشطر قلب المدينة بالبور الاستيطانية وغور الأردن وأراضي أخرى في الضفة ونهر الأردن حدود سياسية وأمنية للدولة الإسرائيلية"

فشعار الأرض مقابل السلام غير صحيح من أساسه، فهذا بنيامين نتتياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق يقول^{١٢٦}:

"معظم الجمهور الإسرائيلي يؤمن بأن إسرائيل لا يحق لها التقريط بالسيطرة الإستراتيجية على الجولان ومناطق يهودا والسامرة وسيطرة إسرائيل على هذه المناطق ليست عائقاً أمام السلام، إنما عائق أمام الحرب وإن وجود إسرائيل في هذه المناطق هو الذي ردع العرب وزاد احتمالات تحقيق سلام حقيقي في المستقبل".

ويرى حواتمة: "أن أوسلو ظالم، أوسلو أمر واقع كما الاحتلال للقدس والضفة والقطاع أمر واقع، كما زحف الاستيطان في وطننا أمر واقع"^{١٢٧}

من جهة أخرى فقد ترك التفرد الأميركي " عملية السلام الشامل المتوازن" متعثرة تترنح في مهب الريح منذ ١٩٧٣^{١٢٨}.

¹²⁴ نايف حواتمة. (١٩٩٨): أوسلو والسلام الآخر المتوازن، الطبعة الأولى. دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ص ص ١١٦-١١٧.

¹²⁵ المصدر نفسه ص ١١٧.

¹²⁶ بنيامين نتتياهو. (١٩٩٦): مكان بين الأمم، الطبعة الثانية. دار عمان الأهلية للطباعة والنشر، عمان. ص ٣١٠.

¹²⁷ نايف حواتمة. (١٩٩٨): أوسلو والسلام الآخر المتوازن. مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

¹²⁸ المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

ولتجاوز اتفاق أوسلو وإبطال مفاعيله وفتح الطريق للسلام الشامل المتوازن فإن ذلك يتطلب وحسب رأي الجبهة:¹²⁹

١. مواصلة وتصعيد المقاومة ضد الاحتلال والاستيطان في إطار انتفاضة متجددة على أساس برنامج نضالي يأخذ بعين الاعتبار الوضع الجديد الناجم عن بدء تنفيذ الاتفاق.
٢. صون وحدة الشعب الفلسطيني وحماية شخصيته الوطنية في أراضي ال ٤٨ وفي بلدان الشتات وتعبئة الجماهير لمواجهة انعكاسات الاتفاق.
٣. بناء جبهة وطنية عريضة تصون وحدة الشعب وتقود نضاله في المرحلة الجديدة وتعمل على إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف على أسس جديدة.

وتعتبر الجبهة أن أحد جوانب الخلل الرئيسية لاتفاق أوسلو يكمن في كشف الجانب الفلسطيني على كل أشكال الضغط والابتزاز الإسرائيلي وتجريده بالمقابل من عنصر القوة الأساس المتمثل بالانتفاضة الشعبية التي لم تنطلق بقرار سياسي فوقي كي تستأنف بقرار، لذا يجب استعادة النصاب السياسي والاجتماعي عليها كخيار، ونضج الحركة الجماهيرية ذاتها من خلال الصراع الذي تخوضه، ومن هنا فإن دور القوى السياسية يكتسي أهمية كبيرة في تأمين التوافق السياسي والاجتماعي حولها والمشاركة بتأطيرها وصياغة مطالبها وشعاراتها، وفي الظرف الحالي فإن اتفاقيات أوسلو والتزاماتها الثقيلة تجعل من حسم هذا الخيار بالنسبة لبعض القوى السياسية والاجتماعية مسألة قد لا تقوى عليها راهناً^{١٣٠}، خاصة وأن الأعرام التي أعقبت اتفاق أوسلو حملت معها المزيد من المعاناة لغالبية قطاعات الشعب على مختلف الأصعدة الأمنية والاقتصادية، علاوة على عجزها في تحقيق أي تقدم جدي باتجاه تلبية حقوق شعبنا الوطنية، كما زالت الكثير من الأوهام التي تفشت لدى بعض الأوساط الشعبية حول إمكانية نيل الاستقلال خلال مسيرة تطبيق الاتفاق، وإن التعنت المتزايد لحكومة التطرف اليميني الإسرائيلية يقود لمزيد من القوى الاجتماعية الفاعلة إلى الانفضاض المضطرد من حول مسيرة الاتفاق، مما يعزز الشروط الموضوعية لاستعادة الإجماع الوطني على ضرورة استئناف الانتفاضة^{١٣١}.

¹²⁹ قيس عبد الكريم وآخرون.(١٩٩٨): سلام أوسلو بين الوهم والحقيقة، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت. ص ٢٧.

¹³⁰ قيس عبد الكريم وآخرون.(١٩٩٩): نظرة على المفاوضات والحركة الجماهيرية من مجيء ننتياهو إلى بروتوكول الخليل، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت. ص ص ١٦٣-١٦٤.

¹³¹ قيس عبد الكريم وآخرون.(١٩٩٩): خمس سنوات على اتفاق أوسلو، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت. ص ص ٩٣-٩٤.

ثانياً: موقف اليسار من السلطة الوطنية الفلسطينية.

تعتبر السلطة الفلسطينية نتاجاً لعملية السلام الإسرائيلية - الفلسطينية التي بدأت في أوسلو عام ١٩٩٣م، وما سبقها من مفاوضات علنية وسرية، حيث تم إنشاء السلطة الفلسطينية في أعقاب التوصل إلى اتفاق القاهرة حول قطاع غزة ومنطقة أريحا في ٤ أيار/ مايو ١٩٩٤م، وأعقب هذا الاتفاق في ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥م الاتفاق المرحلي الإسرائيلي - الفلسطيني حول الضفة وقطاع غزة، والذي مهد لامتداد ولاية السلطة الفلسطينية على مناطق إضافية بما فيها مراكز سكانية فلسطينية في الضفة^{١٣٢}.

وأدخل اتفاق أوسلو تحولاً مهماً في تضاريس الحقل السياسي الفلسطيني وكان من أبرز التغييرات التي أدخلت بعد الاتفاق، كان انتهاء دور م.ت.ف التي هيمنت على الحقل السياسي، وتولي السلطة الفلسطينية التي قامت وفقاً للاتفاق بدور محوري في ترتيب الأوضاع الداخلية*، ومع العلم أن المنظمة بقيت قائمة، إلا أنها بقيت عنواناً، واقتصر دورها على مشاركة إحدى هيئاتها (اللجنة التنفيذية) في اجتماعات المجلس الوزاري في إطار تشكيلة "القيادة الفلسطينية"، كما بقي المجلس الوطني الفلسطيني ولكن كهيئة احتياطية^{١٣٣}.

¹³² يزيد صايغ، خليل الشقاقي، تقرير فريق العمل المستقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، www.pcpsr.org/Arabic/cfr/full2.html (15/1/1427).

* لم تعد م.ت.ف. بفصائلها المسلحة المتعددة ومقراتها في الخارج" هي التي تهيمن على الحقل السياسي الفلسطيني، وإنما سلطة جديدة تحتكر شرعية " العنف" الداخلي وصناعة القرار السياسي، وتقيم على إقليمها وتتفاوض مع إسرائيل، وبات يحكم سلوك السلطة الوطنية الفلسطينية اعتباران أساسيان: الأول، فرض سلطتها الوحيدة على إقليمها في مناطق الضفة الغربية والقطاع، والثاني توسيع رقعة هذا الإقليم وتوسيع مجالات صلاحياتها كي تأخذ شكل دولة حديثة عبر قنوات التفاوض الثنائي، بإشراف أميركي، وتنظم علاقات بمحيطها الإقليمي والدولي على هذا الأساس، ونجم عن هذا تهميش تأثير ودور التجمعات الفلسطينية في الخارج ووضعها في حالة قلق شديد على مصيرها، وربما كان أخطر ما تحمله تفاعلات الحقل السياسي المتكون الوقع المحتمل على الهوية الوطنية الفلسطينية، كما صاغت م.ت.ف. بفصائلها ونضالاتها وبعدها التحرري ومضمونها الموحد لشعب شرد وألحق واحتلت أرضه وحُرم من حقه في تقرير المصير، واعتمدت السلطة الفلسطينية في فرض سلطتها على إقليمها على أساليب ووسائل وبنى متعددة: أهمها: بناء قوة أمنية مسلحة كبيرة وفرض احتكار شرعية استخدامها للعنف، الاعتماد على حركة فتح كقاعدة تنظيمية، الاستخدام السياسي لتوزيع الموارد في حيازتها، استمالة بعض تشكيلات المجتمع المحلي والسعي للهيمنة على المنظمات الأهلية وتقليص استقلاليتها، استخدام الصراع المستمر في إسرائيل لتوطيد شرعيتها، السعي لاحتواء وتحييد المعارضة، وإيواء شريحة واسعة من " الائتليجنسيا" الإعداد والتحضير لفوز قاعدتها التنظيمية في الانتخابات العامة والهيئات المحلية، والسيطرة على جزء مهم من وسائل الإعلام المحلية. للمزيد أنظر، جميل هلال. (١٩٩٨): النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، مصدر سبق ذكره. ص ص ٧٥-

وفيما يلي نستعرض موقف اليسار من السلطة الوطنية الفلسطينية وبالعكس.

• موقف اليسار من السلطة الوطنية الفلسطينية

▪ حزب الشعب الفلسطيني

يرى حزب الشعب الفلسطيني في السلطة الوطنية - التي انبثقت عن منظمة التحرير الفلسطينية - أنها إحدى أدوات النضال لتحقيق الهدف الوطني الفلسطيني في التحرير وبناء الدولة المستقلة في حدود الرابع من حزيران/ يونيو ١٩٦٧م^{١٣٤}، ويعتبر أن قيام هذه السلطة كأول سلطة على جزء من الأراضي الفلسطينية لم يغير من طبيعة المهمة المركزية أمام الشعب ولا من أهدافها، لكنه عمق وعزز سمات التداخل بين مهام النضال التحرري الفلسطيني بما فيها مهام البناء والتنمية^{١٣٥}. وفي الوقت الذي يميز فيه حزب الشعب الفلسطيني بين السلطة الوطنية كمشروع وطني وبين الحكومة الفلسطينية باعتبارها الأداة للتنفيذ، يعتبر أن السلطة هي ملك للجميع، وأنها النواة للدولة الفلسطينية القادمة وأن مهامها بحكم الاتفاقيات الموقعة تقتصر على المناطق الفلسطينية المحتلة، وأن مرجعيتها هي منظمة التحرير الفلسطينية، وعليه قرر الحزب التعامل مع السلطة بصورة إيجابية، وعلى قاعدة المعارضة الديمقراطية^{١٣٦}.

وشارك حزب الشعب في حكومة السلطة باعتبار ذلك واجباً وطنياً حتى إنجاز مهمة الاستقلال، معتبراً أن هذا الموقف العام من السلطة لا يعني الرضا ولا القبول بما يعترى هذه السلطة من مظاهر الوهن والفساد والفلتان الأمني وغيره من العيوب الخطيرة، لذلك فإن الحزب يرى أن ما يحكم علاقته بالسلطة هي معادلة تحالف- صراع - تحالف^{١٣٧}. وطالب الحزب من خلال مشاركته

¹³⁴ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹³⁵ حزب الشعب الفلسطيني. (١٩٩٨): مشروع البرنامج السياسي لحزب الشعب المقدم من اللجنة المركزية في إطار التحضير للمؤتمر

الثالث. رام الله. ص ٤.

¹³⁶ حنا عميرة. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹³⁷ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

في السلطة بتصحيح الأداء السياسي وتوسيع القاعدة الاجتماعية للسلطة بإشراك ممثلي القوى في اتخاذ القرار، وأكد على أهمية الإصلاح الداخلي ومحاربة الفساد وفرض سيادة القانون، حيث جاءت مشاركة الحزب في الحكومات الفلسطينية المتعاقبة على قاعدة تلك المبادئ^{١٣٨}.

■ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في السلطة الوطنية أنها نتاج لاتفاق أوسلو الذي ترفضه وتعارضه، حيث جاءت السلطة كمعطى لعملية مفاوضات على أساس مشاريع غامضة وملتبسة تحدد إسرائيل مسارها، ذلك المعطى الذي شكل من السلطة أداة للسيادة وتكريس الاستقلال وليس تخليد الحكم الذاتي أو أي شكل شبيه به أو مشتق منه^{١٣٩}.

وبعد أن حلت السلطة محل م.ت.ف واستحوذت على الكثير من قياداتها وأجهزتها بقيت الجبهة بعيدةً عن نسقها السياسي القيادي ومراكزها المقررة، وبقيت تطالب بإعادة بناء م.ت.ف والتمسك بميثاقها^{١٤٠}، مؤكدة أن المنظمة ستبقى البناء والبيت الفلسطيني الأشمل كله داخل الوطن وفي الشتات وقبل السلطة وبعدها وبعد إقامة الدولة الفلسطينية أيضاً^{١٤١}، فمنظمة التحرير الفلسطينية هي التي أعادت للشعب الفلسطيني هويته وشخصيته ووحدته، وهي التي حددت وبلورت أهدافه المرحلية والاستراتيجية في سياق عملية نضالية دعوية قدمت خلالها أكبر التضحيات بعد أن اعترفت الأغلبية الساحقة من شعوب وحكومات العالم بحقوق الشعب الفلسطيني وبجملة القرارات الصادرة عن الهيئات الدولية، التي تؤكد على حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة واعترفت ب م.ت.ف ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وأقرت له الحق في محاربة الاحتلال ومقاومته بكل الوسائل^{١٤٢}.

ومن جهة أخرى تحكم علاقة الجبهة الشعبية مع السلطة الوطنية الوحدة والتناقض في آن معاً، الوحدة في مواجهة العدوان الصهيوني، والتناقض مع مضمون وظيفتها كأداة لإدارة المفاوضات

¹³⁸ المصدر نفسه.

¹³⁹ أحمد سعادات. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹⁴⁰ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹⁴¹ جميل المجدلوي. (٢٠٠٠): استشراف المستقبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. في: ناهض زقوت (محرر)، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، ٢-٤ حزيران (٢٠٠٠). المركز القومي للدراسات والتوثيق ومنندى الفكر الديمقراطي الفلسطيني. غزة. ص ص

٥٥٠-٥٤٩.

¹⁴² جورج حبش. (بلا سنة): الواقع الراهن الطموح والمسؤولية. بلا طبعة. دار الفداء للنشر. بلا مكان للنشر. ص ٥.

على أساس مشاريع بئسة وتنفيذ الاملاءات الأمنية الأميركية الصهيونية، إلا أن التناقض يطغى على هذه العلاقة سواء على النهج السياسي أو بنود إنفاق الموازنة، أو النظام السياسي وعدم فصل السلطات وهيمنة السلطة على المجتمع المدني بل وتفككها بعد اتفاق أوسلو (سيما الحركات: النقابية العمالية، النسوية، الثقافية و...) والسماح للتمويل الأجنبي باختراق المجتمع الفلسطيني¹⁴³.

ودعت الجبهة الشعبية السلطة الوطنية للاعتراف بعجزها بأن تكون بديلاً عن الحركة الجماهيرية في مواجهة إسرائيل خلال السنوات الماضية، مطالبة السلطة بإعادة النظر في بنيتها، فالسلطة إما أن تعطى أولوية للتفاوض مع الاحتلال وحل العديد من القضايا، أو أن تعيد الاعتبار للقضايا الرئيسية مثل الأرض والقدس والاستقلال، وغيرها.. حيث أن العمل على تحقيق كل ذلك يتطلب آلية تتمثل في الحوار الوطني¹⁴⁴.

■ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

تري الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين أن السلطة الوطنية - كسلطة حكم ذاتي - مقيدة بالقيود التي نظمها اتفاق أوسلو، والتي تملي عليها وظيفة رئيسية هي قمع المقاومة وضمان الأمن لإسرائيل دون أن يكون هناك بالمقابل ضمان للانسحاب الإسرائيلي وقيام الدولة المستقلة، ومن هذا المنطلق فإن الجبهة الديمقراطية رفضت هذه التسوية المجحفة ورفضت معها المشاركة في السلطة طالما بقيت مقيدة بقيود اتفاقيات أوسلو¹⁴⁵.

وفي الوقت نفسه لم تنزلق الجبهة الديمقراطية إلى مواقع تخوين الأطراف التي شاركت في السلطة الوطنية من اتفاقات أوسلو، بل حافظت على موقفها في دعوة الأطراف للعودة إلى أرضية الوحدة الوطنية وفقاً لبرنامج السلام الفلسطيني المقرر عام ١٩٨٨م، وهي ترجمة هذه الموقف في أواخر الخمس سنوات المفترضة كمرحلة انتقالية كاتفاقية أوسلو بالدعوة عام ١٩٩٨م:

- إعلان سيادة دولة فلسطينية على جميع الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م مع انتهاء الفترة الانتقالية.

- اتفاق وطني عام يضع الضوابط لتعزيز الموقف الفلسطيني في اتفاقات الوضع الدائم.

¹⁴³ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹⁴⁴ عبد الرحيم ملوح.(١٩٩٧): " حوار ". السياسة الفلسطينية. ١٥، ١٦. ص ١٠٨.

¹⁴⁵ قيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

وكان هذا الموقف هو الذي مكن من إبرام الاتفاق بين الجبهة الديمقراطية وحركة فتح التي حددت فيه النقاط الخمس التي باتت معروفة لاحقاً باسم الثوابت الوطنية الخمسة بعد أن تبنها المجلس المركزي في العام ١٩٩٩م، والمتعلقة بالعودة إلى حدود ١٩٦٧م، إقامة الدولة الفلسطينية، القدس عاصمة الدولة الفلسطينية، تفكيك المستوطنات، وعودة اللاجئين.

وفي إطار هذا الاتفاق أعادت الجبهة الديمقراطية تفعيل مشاركتها في اللجنة التنفيذية ل م.ت.ف. عام ١٩٩٩م، ومع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية بشكل خاص بعد أن اتخذت الحكومة الإسرائيلية موقفاً صارماً يهدف إلى تدمير مؤسسات السلطة الوطنية وإجبارها بوسائل الضغط العسكري والدبلوماسي الأميركي على العودة إلى القيام بوظيفتها المحددة باتفاقات أوسلو وذلك تحت عنوان "إصلاح السلطة وتطهيرها مما يسمى بالإرهاب"، تبنت الجبهة موقفاً يعتبر أن النضال ضروري لإعادة بناء السلطة الوطنية على أساس وظيفة جديدة جوهرها تعزيز صمود المجتمع الفلسطيني وتمكينه من مواجهة تحديات المعركة ضد الاحتلال.

ويرى عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية صالح زيدان أن أوضح تعبير للعلاقة بين السلطة الوطنية والجبهة يكمن في الموقف من إصلاح السلطة الفلسطينية من جانب والدعوة إلى حكومة اتحاد وطني من جانب آخر ويقول^{٤٦}:

" نحن نمر في ظل الانتفاضة الثانية بمرحلة انتقالية جديدة تختلف عن تلك التي أطرت لها اتفاقيات أوسلو، مرحلة تنقلنا من سلطة الحكم الذاتي المقيدة بأوسلو إلى دولة مستقلة ذات سيادة وبقدر ما تتخرب القوى المكونة للسلطة الفلسطينية في دائرة الإجماع الوطني على خيار الانتفاضة وتشكل جزءاً رئيساً من معسكرها، بقدر ما تتطوي الانتفاضة على آفاق تغيير في بنية السلطة ووظائفها وبات هذا التغيير يشكل محوراً رئيسياً من محاور العملية الانتفاضية نفسها".

وتعتبر الجبهة أن من أبرز مقومات المفهوم الوطني للدعوة إلى الإصلاح والتغيير الديمقراطي هي وجود سلطة تشريعية قوية وفعالة وقادرة على التشريع والمراقبة والمساءلة للسلطة التنفيذية، طالما لم تتعقد بعد شروط قيام الدولة لهذا فإن وجود مجلس تشريعي للسلطة الوطنية يؤدي الدور بكفاءة يعد ضرورة وطنية ديمقراطية ملحة تملّي على جميع القوى الوطنية والإسلامية المتمسكة براية الانتفاضة والإصلاح أن تشارك بفعالية في عملية انتخاب هذا المجلس التشريعي، إلى جانب الدعوة

¹⁴⁶ صالح زيدان، مقابلة. مصدر سبق ذكره.

لتشكيل حكومة اتحاد وطني تنطلق من مفهوم المرحلة الراهنة باعتبارها مرحلة تحرر وطني وبالتالي فإن أبرز عناصر قوتنا في مناهضة الاحتلال وتوفير مقومات الصمود لشعبنا والقدرة على اجتثاث الفساد يكمن في وحدتنا الوطنية التي أدرز آلياتها هي "حكومة الوحدة الوطنية"^{١٤٧}.

من جهة ثانية ترى الجبهة الديمقراطية أن الأزمة العميقة التي تعيشها منظمة التحرير الفلسطينية وعلى كافة المستويات السياسية والتنظيمية بمؤسساتها وعلاقاتها مع شعبنا الفلسطيني وضعف مكانتها في صفوفه وعلى المستويات العربية والدولية - تقتضي بقاء منظمة التحرير وتفعيل دورها من خلال إعادة بنائها على أسس ديمقراطية وطنية وهي حاجة ماسة باعتبارها تجسيدا لوحدة الشعب وتمثيله والإطار الأمثل لبناء وتعزيز الوحدة الوطنية لشعبنا وأبرز عناصر تصحيح ميزان القوى والكيان المعبر عن هويته وشخصيته الوطنية، إلا أن إعادة الاعتبار للمنظمة تتطلب انتظام عمل هذه المؤسسات ووقف التطاول على صلاحياتها وتمكينها من القيام بمسئولياتها ودورها في صنع القرار وإعادة بنائها على أسس ديمقراطية تتسع لجميع ألوان الطيف السياسي الفلسطيني^{١٤٨}.

• موقف السلطة الوطنية الفلسطينية من اليسار

تعتبر السلطة الوطنية الفلسطينية نفسها أنها امتداداً ل. م. ت. ف، ويشير المسؤولون في السلطة إلى أن السلطة تعددية وائتلاف واسع ولا تمنع بزيادة المشاركة السياسية في أطرها حيث أن هناك أعضاء من اليسار رغم أنهم لم يكونوا أعضاء في المجلس التشريعي الفلسطيني فهم وزراء ♦.

ويعتبر د. أحمد صبح وكيل وزارة الإعلام في السلطة الوطنية أن سلطته ♦♦ تتعامل مع اليسار كشريك وذلك امتداداً للتعددية السياسية التي تدعو لها السلطة والتي شكلت أسس الجبهة العريضة في منظمة التحرير، مضيفاً أن السلطة ليس لها موقف نظري أو أيديولوجي، فهي نتاج ديمقراطي

¹⁴⁷ المصدر نفسه.

¹⁴⁸ صالح زيدان. (٢٠٠٠): استشراف المستقبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. في : ناهض زقوت (محرر)، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، ٢-٤ حزيران ٢٠٠٠). المركز القومي للدراسات والتوثيق ومنتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني. غزة، ص ٥٧٥-٥٧٦.

♦ ياسر عبد ربه- حركة فدا/ وزير الثقافة والإعلام، بشير البرغوثي- حزب الشعب/ وزير الصناعة، د. غسان الخطيب- حزب الشعب/ وزير التخطيط ثم العمل، د. أحمد مجدلاوي- جبهة النضال الشعبي/ وزير دولة مقابلة د. أحمد صبح، وكيل وزارة الإعلام في السلطة الوطنية. ١٩/١١/٢٠٠٥م رام الله.

♦♦ السلطة الوطنية الفلسطينية التي يغلب عليها الطابع الفتاوي، قبل إجراء الانتخابات التشريعية الثانية في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٦م وانقلاب ميزان القوى وسيطرة حركة حماس على السلطة فأصبحت فتح هي الفصيل الثاني بعد حماس.

لما يريد الشارع الفلسطيني من خلال صندوق الاقتراع^{١٤٩}.

كما ترى السلطة أن اليسار هو شريك في العملية السياسية وعملية البناء، ويؤكد أحمد عبد الرحمن مستشار الرئيس الفلسطيني محمود عباس للشؤون السياسية، الناطق الرسمي بإسم حركة فتح، أن للييسار حق المشاركة الكاملة في الحياة السياسية الديمقراطية وفي هيئات القيادة، فالأطر القيادية لها الحق في إبداء الرأي، فالسلطة تعترف بشرعية التنظيمات الفلسطينية، وتتعامل معها كتتنظيمات لها استقلالها السيكلوجي والتنظيمي، فبرنامجها المشترك هو حصيلة اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني، والمجلس التنظيمي، كما أن القوى جميعها تلتزم بالبرنامج الوطني ولها الحق في الترويج لأفكارها وأيديولوجيتها دون اعتراض^{١٥٠}.

ثالثاً: اليسار ووسائل النضال "المقاومة"

لقد بدأ الكفاح المسلح في حركة القوميين العرب قبل عام ١٩٦٧م وتبلور واغتنى زخماً واتخذ بعداً جديداً مع تشكيل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٧م، إلا أن قيام حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" بإطلاق الرصاصة الأولى في الثورة الفلسطينية المعاصرة في ١/١/١٩٦٥م وإعلانها عن ذلك منحها مكانة تاريخية، وشكل عاملاً من عوامل قوتها ونفوذها فلسطينياً وعربياً، غير أن هزيمة حزيران عام ١٩٦٧م قدمت لجميع المنظمات الفلسطينية فرصة مواتية وظرفاً موضوعياً ساعد على انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني بزخم كبير في ظل أوضاع سياسية ونفسية^{١٥١}.

وتقف المقاومة المسلحة والحركة السياسية الفلسطينية بعد أوسلو أمام مأزق سواء في الداخل أم في الخارج، ففي الداخل تقف شرطة السلطة الفلسطينية في مواجهة مع قوى المقاومة المسلحة والسياسية إلى جانب العدو الصهيوني، حيث استطاعت السلطة أن تجري معها أجزاء أساسية من حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" وقسماً من الجبهة الديمقراطية وأن توحد معها ووراءها كل السائرين على خط التسوية التي تنتقص من الحقوق الوطنية الفلسطينية.

¹⁴⁹ مقابلة. (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): موقف السلطة الوطنية الفلسطينية من اليسار. وزارة الإعلام، البيرة.

¹⁵⁰ اتصال شخصي. (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): موقف السلطة الوطنية الفلسطينية من اليسار. البيرة.

¹⁵¹ بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية. مصدر سبق ذكره. ص ١٧٥.

أما في الخارج فإن فصائل المقاومة تخضع إلى عاملين آخرين:

١. الترهل الذي أصابها منذ عام ١٩٨٢م نتيجة عدم تجديد شبابها والابتعاد عن ميادين القتال، وعدم المشاركة الجدية في العمل السياسي والشعبي.
٢. إجراءات الأنظمة العربية في دول الطوق والاتجاه نحو التسوية السياسية الرئيسية في هذه الدول سواء وقعت اتفاقيات مع العدو أم لم توقع.

وهذا المأزق الذي تعيشه المقاومة الفلسطينية يتفاقم لأن قوى الداخل يهددها العدو الصهيوني بإجراءاته القمعية من جهة، ويتهدها دور السلطة الفلسطينية وإجراءات السلام العربية من جهة أخرى، أما قوى الخارج فتعاني من الإشكالات التي تم ذكرها للتو^{١٥٢}.

وتختلف مواقف اليسار من المقاومة فحزب الشعب رغم تأييده للنضال ضد الاحتلال وتأكيداته بأن النضال الشعبي يجب أن يستند إلى قاعدة جماهيرية واسعة، فهو يعارض أي وسيلة تؤدي إلى العنف ويدعو إلى النضال الجماهيري السلمي لأنه الأفضل والأسلم حسب وجهة نظره^{١٥٣}.

أما الجبهة الشعبية فهي تؤيد الكفاح المسلح بكافة أشكاله وأساليبه في مقاومة الاحتلال دون أن تخضع لأي من الاعتبارات أو الظروف الجارية، وتمتاز بلهجتها الحادة والعنيفة في المقاومة، واعتبرت منذ البداية أن الاختطاف معياراً لحيويتها وقوتها.

والجبهة الديمقراطية تقف موقف الوسط، فهي من جانب تؤيد المقاومة المدنية كالمسيرات والمظاهرات والمقاطعة الاقتصادية ومن جانب آخر تؤيد المقاومة المسلحة.

وفيما يلي موقف ودور هذه الأحزاب في المقاومة:

■ حزب الشعب الفلسطيني

يعتبر حزب الشعب الفلسطيني - وريث الحزب الشيوعي الفلسطيني - من أكثر التنظيمات عراقية وخبرة في مجال العمل الجماهيري والسياسي حيث تمتد جذوره إلى العشرينات من أول القرن العشرين، حيث خاض منذ بداية الاحتلال نضالاً بمختلف الوسائل لتحقيق الحقوق الوطنية

¹⁵² رمش العين، بوابة فلسطين، "المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني على مدار قرن (١٨٩٧-٢٠٠٠).

www.eyelash.ps/palgate/ages-bresistance.htm

¹⁵³ عبد الرحمن عضو الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

المشروع للشعب الفلسطيني^{١٥٤}.

وتميز الشيوعيون بوقوفهم في كل مكان في مقدمة الصفوف المكافحة من أجل تحسين معيشة الجمهور والحصول على الحقوق الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية، لذا كان عليهم مواجهة تتكامل السلطات ومعارضة القوى الرجعية وتردد القوى الأخرى التي لا تستطيع أن تجاريهم في هذا المجال، وأصبح الشيوعيون جزءاً لا يمكن إهماله في بنين الحركة الوطنية وجزء عميق التأثير في الأوساط التقدمية^{١٥٥}.

ووقف حزب الشعب موقفاً معادياً من الاحتلال باعتباره شكلاً من أشكال الاستعمار من خلال مقاومته فكرياً، سياسياً ونضالياً كواجب وطني مشروع، وظل يناضل مستخدماً كافة الأساليب وخاصة الجماهيرية من: مظاهرات، مسيرات، منشورات وأدبيات تحريضية سياسية وفكرية عديدة، إلى جانب توسيع الحزب علاقاته الدولية مع القوى الشيوعية والديمقراطية العالمية وحشدها ضد الاحتلال ومخططاته^{١٥٦}.

وعند وقوع عدوان الخامس من حزيران/ يونيو ١٩٦٧م اتخذ الشيوعيون الفلسطينيون موقفاً متحفظاً من ظاهرة العمل الفدائي الفلسطيني التي برزت في الأردن* منطلقين في ذلك من نظرة ضيقة كانت ترى أن إسرائيل قد استغلت العمليات العسكرية التي قامت بها بعض المنظمات الفدائية الفلسطينية قبل العدوان الأخير وبالغت في تهويلها كثيراً "التبرير تهديداتها واعتداءاتها ولتهيئ الجو لعدوانها الأخير"^{١٥٧}.

¹⁵⁴ صالح عبد الجواد. (١٩٩١): "فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة وشعارات الجدران". الدراسات الفلسطينية، ٧ ص.

٩٥

¹⁵⁵ فيصل الحوراني. (١٩٩٢): محور اليسار الفلسطيني: صوت الوطن. ٣٨، ص ص ٤٦ - ٤٧.

¹⁵⁶ عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

* برز هناك فراغ في قيادة الحزب حيث وجد تباران: الأول ضد العمل المسلح يعتقد أن هزيمة حزيران كانت خطيرة إلى حد لا يمكن معه تصفية آثار العدوان إلا عبر تسوية دولية في ظل وجود معسكرين، والتيار الآخر يؤمن بضرورة المشاركة في العمل المسلح بالخارج، حيث كان يرى أن العمل الجماهيري في حال تصاعده في الداخل يمكن أن يصل إلى مستوى انتفاضة مسلحة، وفي أواخر عام ١٩٦٩ انهزم التيار الأول، مع بداية تشكيل فصيل مسلح للحزب الشيوعي سمي "قوات الأنصار". نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره. ولمعرفة مزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: يزيد صايغ. (٢٠٠٢): الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الطبعة الأولى. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت. ص ص ٣٧٠-٣٧٣.

¹⁵⁷ ماهر الشريف. (١٩٨١): الشيوعيون وقضايا النضال الوطني الراهن، الطبعة الأولى. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم

العربي، بيروت. ص ١١١.

وعشية العدوان كان يسود في بعض أوساط حركة التحرير العربية ومن ضمنها الأحزاب الشيوعية رأي مفاده أن المنظمات الفدائية الفلسطينية بعملياتها العسكرية ضد إسرائيل كانت تسعى إلى توريث الأنظمة العربية وبخاصة التقدمية منها في مواجهة شاملة مع إسرائيل، وطوال الأشهر الأولى التي أعقبت العدوان ظل الشيوعيون ينظرون إلى العمل الفدائي كظاهرة سياسية غريبة وغير منسجمة مع تصوراتهم ومفاهيمهم المسبقة حول أدوار ومواقع القوى المختلفة في المواجهة العربية للتحالف الإمبريالي - الصهيوني ومشاريعه العدوانية، مشيرين في هذا السياق إلى عقم الأعمال المسلحة الفردية، ومراهنين على توحيد وتنسيق جهود الدول العربية وإمكانياتها وعلى تعزيز التضامن العربي على كافة المستويات الشعبية والرسمية في العمل على تصفية نتائج ذلك العدوان.

ولم يطرأ تحول على موقف الشيوعيين من ظاهرة العمل الفدائي الفلسطيني إلا بعد معركة الكرامة في آذار/ مارس ١٩٦٨م التي خاض خلالها الفدائيون وجنود الجيش الأردني مواجهة بأسلة مع القوات الإسرائيلية المعتدية فأثر على المعركة التي تأكدت فيها فعالية الفدائي الفلسطيني في المواجهة وبدأت ظاهرة العمل الفدائي تتحول إلى حركة مقاومة مسلحة تحظى بدعم وتأييد قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية والعربية^{١٥٨}. وقد أظهرت هذه المعركة أن مقاومة إسرائيل كانت ممكنة وفي إثرها التحق عدد من الشيوعيين ببعض التنظيمات الفدائية^{١٥٩}.

ومنذ وقوع الاحتلال الإسرائيلي لكافة أرض فلسطين في حزيران/ يونيو ١٩٦٧م تميز الحزب عن بقية الفصائل الفلسطينية الأخرى في عدد من الأمور أولها تواجده في الداخل على عكس بقية التنظيمات التي كان ثقل تواجدها وتواجد قياداتها في الخارج^{١٦٠}، كما تميز في تركيزه على أشكال المقاومة الجماهيرية للاحتلال في ضوء إدراكه لخصوصية الصراع مع هذا الاحتلال الكولونيالي الذي يستهدف التوسع الإقليمي آخذاً في الحسبان الوضع السلبي في المحيط العربي عقب هزيمة حزيران الخطيرة والتي لا تزال تداعياتها تدفع نحو مزيد من الترددي، وقد كان للحزب دوره الرائد في تشكيل جبهة وطنية مباشرة بعد الاحتلال لعبت في إيقاف نزيف النزوح باعتبار الصمود في الأرض هو الذي سيحسم المعركة، ثم إعادة تشكيل جبهة وطنية أخرى عشية حرب ١٩٧٣م^{١٦١}.

من جانب آخر ركز الحزب جهوده على تعبئة أقسام أساسية من سكان المناطق المحتلة في منظمات

¹⁵⁸ المصدر نفسه. ص ص ١١١-١١٢.

¹⁵⁹ يزيد صايغ. (٢٠٠٢): الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مصدر سبق ذكره. ص ٣٧١.

¹⁶⁰ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹⁶¹ المصدر نفسه.

نقابية عمالية، مهنية، وفي اتحادات طلابية ونسائية وغيرها، وكان المبادر للقبول بخوض معركة الانتخابات البلدية عام ١٩٧٦م وما أفرزته من مجالس بلدية معادية للاحتلال، وشكل الحزب تنظيمًا مسلحاً في الأرض المحتلة عشية حرب ١٩٧٣م، حيث كانت حالة نهوض وطني كان الحزب يعتقد أن مثل هذا النهوض يمكن أن يتكامل بانتفاضة مسلحة، وأقام في الأردن قبل أيلول الأسود عام ١٩٧٠م تنظيمًا مسلحاً باسم فصيل الأنصار بالتعاون مع أحزاب شيوعية شقيقة من سوريا ولبنان والعراق أسهم في معركة الدفاع عن المقاومة الفلسطينية خلال معارك أيلول الأسود، ثم انتقل بعد ذلك إلى أحرش جرش ثم إلى لبنان*، وعشية حرب تشرين أول ١٩٧٣م تشكل فصيل مسلح جديد للشيوعيين في الأرض المحتلة تحت اسم " الجبهة الوطنية"، وقام هذا الفصيل الذي كان يقوده سليمان النجاب، بعمليات مقاومة ضد الاحتلال الذي وجه ضربات قاسمة لهذا التنظيم في العام ١٩٧٤م^{١٦٢}.

وكان حزب الشعب رائداً ومبادراً في ظاهرة العمل التطوعي التي بلغت أوج عطائها خلال الانتفاضة الأولى، حيث كان أحد الأركان الأربعة التي شكلت القيادة الموحدة للانتفاضة♦♦، وكان أول من استخدم شعارات الجدران منذ عام ١٩٦٧م، وإن كان على نطاق ضيق حيث التزمت شعاراته ودعت إلى الالتزام بالموقف الرسمي ل م.ت.ف من الحل السياسي، وخاض الحزب أكثر من غيره "معركة حوار الجدران" للدفاع عن منهج المنظمة السلمي وعن خطتها للسلام التي تم إقرارها في الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني^{١٦٣}.

في الظروف الجديدة وبعد قيام السلطة الوطنية توقف النزاع حول دور الساحات، حيث كانت الأرض المحتلة هي الساحة الرئيسية والجديد ارتباطها وانصياحها لمواثيق ومعايير دولية كانت المنظمة في حل منها، كما خسر الفلسطينيون جملة من العوامل الضرورية لنجاح أية ثورة مسلحة، فقد خسروا الجبهة العالمية المساندة المتمثلة في القوى الاشتراكية وقوى التحرر العالمي، وخسروا المساندة الإقليمية، والأهم من كل ذلك فقدوا التواصل الإقليمي والاحتكاك اليومي المباشر مع قوات الاحتلال، وصار شكل الفعل الجماهيري كما تمثل في الانتفاضة الأولى بعيداً عن أن يكون الشكل الأمثل للنضال ضد الاحتلال لذلك فخير الكفاح المسلح غداً أقل ملاءمة للظروف الجديدة وبالتالي

* امتنعت قيادة م.ت.ف بقيادة "حركة فتح" عن تمويل وتمويل هذا الفصيل إلا إذا انضمت عناصره إلى مجموعات حركة فتح المقاتلة في جنوب لبنان، وهكذا كان. المصدر نفسه.

¹⁶² المصدر نفسه.

♦♦ القيادة الموحدة تتشكل من: حركة فتح، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وحزب الشعب الفلسطيني.

¹⁶³ صالح عبد الجواد. (١٩٩١): "فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة وشعارات الجدران". مصدر سبق ذكره. ص ٩٥.

وتطلع الحزب أن تحدث الانتفاضة الثانية تغييراً في بنية القوى والفئات الاجتماعية للسلطة الفلسطينية بحيث تتعزز مكانة القوى الأكثر إخلاصاً لأهداف الاستقلال الوطني، وعزل دعوات الحل بأي ثمن والمسؤولين عن الفساد والضعف الملحوظ في أداء السلطة الفلسطينية^{١٦٥}، معتبراً أن الأخطار الكبيرة التي تقف أمام شعبنا ومختلف قواه تمثل تحدياً صارخاً لمستقبل القضية الوطنية وتتطلب نضالاً موحداً وتعزيز الصفوف الفلسطينية وحشد الطاقات المحلية والإقليمية والدولية على أساس خطة فلسطينية واضحة تركز على الشرعية الدولية وعلى برنامج م.ت.ف الذي جسده دورة الوحدة الوطنية للمجلس الوطني عام ١٩٨٨م^{١٦٦}.

هذا وجاء اندلاع الانتفاضة في ٢٨/ أيلول ٢٠٠٠م تعبيراً موضوعياً عن استمرار الاحتلال والتهرب من تنفيذ الاستحقاقات التي تضمنتها اتفاقيات أوسلو وبضمنها تحقيق الحل النهائي للقضية الفلسطينية حيث أرادت إسرائيل أن تفرض هذا الحل وفق رؤيتها الأمر كان يحول عملياً دون قيام دولة فلسطينية حقيقية ذات سيادة ويلتف على الحل العادلة وقضايا الاستيطان والقدس واللاجئين. وعلى هذا التقييم عملت قيادة الحزب على انخراطه في الانتفاضة والمساهمة بأنشطتها الكفاحية والعمل على دفعها إلى الأمام وتطويرها كمحطة هامة من محطات كفاح الشعب الفلسطيني، ودعا الحزب على الصعيد الدولي إلى توفير الحماية لشعبنا وإلى التدخل لتطبيق قرارات الشرعية الدولية، وعلى الصعيد الداخلي دعا إلى تأمين متطلبات صمود شعبنا ومراعاة احتياجات الجماهير، ودعا إلى توحيد الخطاب السياسي للانتفاضة دون تجاهل ضرورة تعزيز العمل الجبهوي المشترك مع قوى م.ت.ف.

ويؤكد الحزب على الحق الفلسطيني في مقاومة الاحتلال بكافة الوسائل، أن المقاومة المسلحة ضد الاحتلال تكتسب دور إسنادي للانتفاضة الشعبية التي هي أرقى أشكال النضال، وقد أثبتت التجربة أن المقاومة كلما كانت ذا طابع شعبي وحازت على مشاركة شعبية واسعة وتعاطف دولي كان لها مردود أفضل للقضية^{١٦٧}، فالحزب الشيوعي الفلسطيني أكد في وقت مضى أنه ليس ضد الكفاح

¹⁶⁴ عبد المجيد حمدان/ منسق أمانة عامة سابق في حزب الشعب الفلسطيني (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): مقابلة. حزب الشعب الفلسطيني. مقر حزب الشعب. رام الله.

¹⁶⁵ حزب الشعب الفلسطيني. (أيلول ٢٠٠٤): الانتفاضة الفلسطينية. من منشورات الحزب.

¹⁶⁶ المصدر نفسه.

¹⁶⁷ يسام الصالحي/ الأمين العام لحزب الشعب الفلسطيني، النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن قائمة البديل (تشرين ثاني/ نوفمبر

المسلح في الخارج، كما استنتج عدم إمكانية قيام ثورة مسلحة في الأراضي المحتلة حيث إن تجربته منذ عام ١٩٦٧م دفعته باتجاه النضال السياسي، مشيراً إلى أن التنظيمات الأخرى وقد وصلت إلى نفس الاستنتاج فالعمليات العسكرية التي تم تنفيذها في الداخل لم يكن لها تأثير يذكر، لذلك للجميع الحق في الكفاح السياسي^{١٦٨}.

وحول موقف الحزب من العمل المسلح كشكل من أشكال النضال لم يتخذ الشيوعيون مطلقاً وعلى عكس ما يشاع أحياناً موقفاً معارضاً للعمل المسلح كشكل من أشكال النضال ضد العدوان الإسرائيلي واحتلاله للأراضي الفلسطينية والعربية، فبعد أيام قليلة على وقوع عدوان الخامس من حزيران/ يونيو، دعا الشيوعيون الجماهير الشعبية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى النضال ضد المحتلين الصهاينة وعملاتهم الخونة بكل الوسائل ومختلف الأساليب التي تراها مناسبة وملائمة للظروف والأحوال السائدة في الأراضي المحتلة.

ومارس الشيوعيون الفلسطينيون شكل الكفاح المسلح في كل ساحات ومواقع النضال الوطني الفلسطيني بما في ذلك داخل المناطق الفلسطينية المحتلة، وفق الامكانيات التي توفرت لديهم وحسب ظروف المكان والزمان، غير أنهم رفضوا تمييز هذا الشكل من النضال عن غيره من أشكال النضال الأخرى أو وضعه في تعارض معها، معتبرين أن الجمع بين مختلف أشكال النضال المتوفر لها الإمكانيات والشروط الموضوعية والذاتية هو ضرورة لا يجوز لأي ماركسي تجاهلها وإغفالها وأن لكل شكل نضالي دوره وفعاليته وان نجاح أشكال النضال في هذه الساحة أو تلك يقاس في نهاية المطاف بالقدرة على ممارستها بالارتباط مع الجماهير ومن خلالها وبمدى فاعليتها في الاقتراب من تحقيق أهداف الكفاح الوطني^{١٦٩}، وقد أكد الحزب من خلال تجاربه النضالية الطويلة أن النضال الجماهيري السلمي الذي تبتدعه الجماهير الشعبية هو الشكل الأجدى والأكثر نجاعة في مواجهة المحتلين.

وقد تعرض العشرات من الشيوعيين للسجن والإبعاد من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، على رأسهم قادة بارزين من بينهم: "سليمان النجاب" الذي اعتقل في أواخر عام ١٩٧٤م وتم تعذيبه بشده دون أن تنتزع منه أية اعترافات وبعد قضائه عدة شهور في السجن أبعده الاحتلال إلى الأردن،

٢٠٠٥: مقابلة. حزب الشعب الفلسطيني. مقر الحزب. رام الله.

١٦٨ آلان غريش. (١٩٨٨): "الحركة الشيوعية والحركة القومية في الشرق الأوسط، التجربة الفلسطينية منذ ١٩٤٨" ترجمة روجر هيوكوك وعادل يحيى. الكاتب، ١٠٤. ص ٦٥.

١٦٩ ماهر الشريف. (١٩٨١): الشيوعيون وقضايا النضال الوطني الراهن. مصدر سبق ذكره. ص ص ١٢٤، ١٢٥.

و"نعيم الأشهب" وهو أحد مؤسسي الحزب الشيوعي اعتقل ٣٨ شهراً وأبعد عن وطنه مدة ٢٢ عاماً، ومن بين من تم إبعادهم أيضاً: خلدون عبد الحق، فايق وراذ، رشدي شاهين، جريس قواس، ضمير حسين، النقابي رشيد حجازي، عبد الله السرياني، والمحامي عدنان بكري، وغيرهم الكثيرين^{١٧٠}.

وللحزب موقف مبكر من العمليات الاستشهادية داخل الخط الأخضر وضد المدنيين الإسرائيليين، حيث طالب بحصر العمليات داخل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، وأكد أن هذه العمليات داخل إسرائيل ضد المدنيين رغم شجاعة وتضحيات منفذها وما ألحقته بالإسرائيليين إلا أنها ألحقت بشعبنا خسائر لا تقدر جراء عمليات التدمير الشامل لكل مناحي الحياة من بشر وشجر وبنى تحتية وهدم منازل واعتقالات وكان آخرها إقامة جدار الفصل العنصري بحجة حماية المدنيين الإسرائيليين^{١٧١}، حيث إن بناء جدار الفصل العنصري وما يمثله من مصادرة للأراضي وتوسيع الاستيطان وتجزئة الأراضي الفلسطينية وتحويلها إلى مناطق معزولة وتقويض الوحدة الجغرافية للدولة الفلسطينية المنشودة ولمقوماتها المادية وقدرتها على تحقيق سيادتها الحقيقية في المستقبل ويمهد لحملة جديدة من توسيع السيطرة والاستيطان على كافة الأراضي الفلسطينية التي تصادر وتعزل لصالح بناء الجدار^{١٧٢}. وكان لهذه العمليات تأثير من جانب آخر بأن تحول الشارع الإسرائيلي نحو اليمين بشكل واضح عند انتخابه لأرائيل شارون رئيساً للوزراء الإسرائيلي، والتأثيرات الدولية لهذه العمليات حيث ساعدت إسرائيل في حصارها للرئيس ياسر عرفات ثم استشهاده، ووصف نضال شعبنا الفلسطيني بالإرهاب^{١٧٣}.

ورأى الحزب أن الانتفاضة الثانية تأتي في سياق سياسي شهد جمود في المفاوضات وفي سياق زمني شهد محاولة لفرض وقائع احتلالية على القدس والحرم القدسي الشريف من جانب واحد^{١٧٤}، مؤكداً أن المرحلة الراهنة في حياة الشعب الفلسطيني هي مرحلة التحرر الوطني وإنجاز أهدافه الوطنية وفي مقدمتها تحرير وطنه من الاحتلال الاستيطاني الإسرائيلي وتأمين حقه في تقرير

¹⁷⁰ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹⁷¹ عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹⁷² حزب الشعب الفلسطيني. (أيلول ٢٠٠٤): "عاشت انتفاضة شعبنا البطل ولتتوحد الجهود لتعزيز الطابع الشعبي للانتفاضة". من منشورات الحزب.

¹⁷³ عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹⁷⁴ حنا عميرة. (٢٠٠٠): الأفق السياسية للانتفاضة، الطبعة الأولى. مؤسسة التنوير للترجمة والطباعة والنشر، رام الله. ص ص ٦٩-٧١.

المصير^{١٧٥}، كما اعتبر أن خروج الاحتلال من قطاع غزة هو ثمرة لمسيرة من النضال الشامل والمتواصل لجماهير الشعب الفلسطيني منذ أول شهيد وجريح ومعتقل^{١٧٦}، مشيراً إلى أن هذا الإنجاز يفتح الطريق نحو إكمال برنامج التحرر والاستقلال الوطني داعياً إلى العمل سوية لضمان نجاح المشروع الوطني الديمقراطي^{١٧٧}.

▪ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

لا تعد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التنظيم السياسي الفلسطيني الذي بدأ بالكفاح المسلح[♦]، لكنها التنظيم السياسي الأول الذي تبني الماركسية - اللينينية ومارس الكفاح المسلح في الثورة الفلسطينية المعاصرة، الأمر الذي أعطاها مكانة مميزة في الساحة الفلسطينية وفي الساحتين العربية والدولية إلى حد ما^{١٧٨}.

وكانت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين السباقة إلى معارضة الحلول الشوفينية الفلسطينية والعربية المطروحة قبل وبعد حزيران/ يونيو ٦٧ "والقائمة على ذبح اليهود ورميهم بالبحر"، لكنها في الوقت نفسه أكدت على "أن العمليات العسكرية ضد المدنيين تشكل جزءاً من كل نضال للتحرر الوطني هدفها إثارة القلق والارتباك وأنها تهدف إلى لفت الأنظار إلى الجرائم التي ارتكبتها الصهيونية بحق اليهود " حسب تعبير الجبهة^{١٧٩}.

من جهة أخرى اعتبرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن الاختطاف[♦] معياراً لديناميتها وحيويتها

¹⁷⁵ حزب الشعب الفلسطيني. (١٩٩٨): البرنامج السياسي والنظام الداخلي، اللجنة المركزية للحزب. مصدر سبق ذكره. ص ص ١٦-١٧.

¹⁷⁶ حزب الشعب الفلسطيني. (٢٠٠٥): "الانسحاب إنجاز هام ولكن على الجميع اليقظة من الأخطار المبيتة" من منشورات الحزب.

¹⁷⁷ المصدر نفسه.

♦ الجبهة الشعبية هي جزء من حركة القوميين العرب التي كانت قد بدأت بالكفاح المسلح عبر تخزين الأسلحة وتدريب الكادر وذلك قبل العام ١٩٦٥م تاريخ انطلاق الثورة الفلسطينية، وكانت حركة القوميين العرب مرتبطة بنظام جمال عبد الناصر، لذا بدأت الكفاح المسلح بعيداً عن التنسيق مع الرئيس عبد الناصر لأن ذلك سيورط النظام في حرب لم يستعد لها بعد، لهذا كان شعارهم "فوق الصفر وتحت التوريط"، مؤكدة أن النضال من أجل فلسطين هو في قلب النضال من أجل تحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة والتحرر، للمزيد أنظر: يزيد صايغ. (٢٠٠٢): الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مصدر سبق ذكره. ص ٢١١.

¹⁷⁸ بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية. مصدر سبق ذكره. ص ١٧٤.

¹⁷⁹ يزيد صايغ. (٢٠٠٢): الكفاح المسلح والبحث عن الدولة. مصدر سبق ذكره. ص ٣٢٢.

♦ يرى مسؤولون في الجبهة أن الاختطاف وسيلة لنقل المعركة من إسرائيل على المسرح الدولي، ففي ٢٣/ يوليو تموز ١٩٦٨م قام عضوان في الجبهة باختطاف طائرة مدنية تابعة لشركة "إل عال" متجهة من روما إلى تل أبيب وبانزها في الجزائر، وصرح المتحدثون باسم الجبهة أن ركاب وطاقم الطائرة سيظلون رهائن إلى أن يتم إطلاق الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، وأكدوا أن عملية الاختطاف ستتمكن من إيصال

لأن السمة المفاجئة بالجرأة والإقدام التي اكتسبتها جذبت الكثيرين من الأعضاء الجدد إليها وقد حققت الجبهة قفزة نوعية لتولي الصدارة بين التنظيمات الفدائية في العمليات الخارجية ضد إسرائيل لإحداث صدمة للمجتمع الدولي وهز سكوته على محنة الفلسطينيين^{١٨٠}.

وتمتاز الجبهة الشعبية عن غيرها من الفصائل بلهجتها الحادة والعنيفة في المقاومة فهي ترى[♦]:

"إن اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو هي لغة العنف الثوري، إن الكفاح المسلح هو المنهج الرئيسي الذي سيجعل من أرضنا ميداناً أساسياً للصراع الطويل الذي نخوضه ضد الاحتلال ومحاولاته لتصفية قضيتنا سواء بمحاولة تشكيل نظام حكم تابع له أو محاولات الاستيطان التي بدأها مجدداً في عدة مناطق عربية واستماتته في فرض حل مشين باحتلاله بعض الأجزاء من الأرض العربية.

إن القتال العنيف ضد العدو في كل أرض تطؤها أقدام جنوده هو النهج التاريخي الذي نسير فيه حتى نصل إلى مرحلة نفتح فيها أوسع جبهة ضد العدو وتتحول إلى جحيم يحترق الغزاة بنيرانه، فالكفاح المسلح لا يعرف له حدوداً .

إن المقاومة المسلحة لا يجب أن تقتصر على المناضلين وحدهم، بل إن لكل إنسان فلسطيني دوره في مقاومة العدو وعلى كل مستوى، فلا تعامل مع العدو بل مقاطعة تامة لكل مؤسساته الاقتصادية والمدنية والسياسية التي يحاول خلقها.

إن شعار كل الجماهير يجب أن يكون الصمود حتى النصر، لنرسخ أقدامنا في الأرض وتمتد جذورها إلى أعماقها فنحن باقون على أرضنا ولن نخرج".

صوت حركة المقاومة الفلسطينية إلى الرأي العام العالمي رغم الحصار الإسرائيلي، إلا أن المحللين فسروا لجوء الجبهة الشعبية إلى عمليات الاختطاف، بأنه يكشف عن إحساس الجبهة بالإحباط فقد كان الأمين العام جورج حبش يقيم في سجن سوري، وكانت فتح تبرز سريعاً على أنها التنظيم الفدائي الأول، وطورت الجبهة الشعبية عدة حجج لتبرير حملتها الخارجية، فشركات الطيران التي تسير رحلاتها من إسرائيل وإليها سواء أكانت محلية أم أجنبية هي جزء من خطوط المواصلات والاتصالات الإسرائيلية، وتكشف عن وضع إسرائيل كمرکز للمصالح الإمبريالية والرأسمالية والعالمية، وأصرت الجبهة على أنه في ضوء الطبيعة العسكرية للمجتمع الإسرائيلي لا يجوز تفسير ضرب الطيران المدني والطرق البحرية بأنها عمليات تستهدف المدنيين، علاوة على أن المرافق المدنية كالموانئ والمطارات تستخدم لأغراض عسكرية، أما الحجة الأخرى التي قدمها جورج حبش فهي: أن الهجمات هي رد على العدوان الإسرائيلي على المدنيين الفلسطينيين وراصد له، كما عبر المحلل العسكري الأول للجبهة " أبو همام" عن وجهة نظر مباشرة وصريحة " أنه لا بد من هز ثقة العدو بقدرته على إحكام إغلاق حدوده بواسطة ضربة تنزل به من كل اتجاه"، ولعل الدافع الرئيس وراء عمليات الاختطاف هذه كان إحداث صدمة للمجتمع الدولي وهز سكوته على محنة الفلسطينيين. ومهما تكن الأهداف فقد حققت هذه العمليات قفزة قوية لتولي الجبهة الصدارة بين التنظيمات الفدائية. للمزيد انظر المصدر السابق. ص ص ٣١٨ - ٣٢٥.

¹⁸⁰ المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

♦ ورقة أعدتها الجبهة الشعبية في عام ١٩٨٩م ولا تزال تكتسب أهمية وراهنية من حيث إلقائها الضوء على فكر وسياسة الجبهة، حسب موقع الجبهة على الانترنت.

(<http://www.pflp.net/articles.php?action=viewArt&cid=1&nid=2001010101093557894> 26/1/1427)

وخلال الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م استخدمت الجبهة الشعارات بكثافة في التحريض والتعبئة حيث واكبت هذه الشعارات التطورات اليومية في محاولة لاستقطاب الجماهير حول مواقفها التي تعتبرها متميزة ضمن الاتجاه الوطني، وتميزت شعاراتها حول الحلول السياسية بالحدة والصرامة حيث عكست هذه الشعارات الرفض التام للحوار مع الإسرائيليين، وفيما يتعلق بالكفاح المسلح فإن شعارات الجبهة التي رحبت بكل قواها لدعم الانتفاضة وضمان استمراريتها نظرت إليه ضمن منظور استراتيجي لا تشكل الانتفاضة ولا أساليبها بديلاً^{١٨١}.

وحرصت الجبهة الشعبية منذ البداية على نقد اتفاقات أوسلو وإظهار نواقصها وأخطارها ووقفت ضد كل المحاولات الإسرائيلية لتحويل هذه الاتفاقيات إلى إنهاء الكفاح الوطني الفلسطيني وسقف للحقوق الوطنية الفلسطينية، كما وقفت في وجه تطبيع العلاقات مع الاحتلال وتوسيع دائرة التعامل معه، وظلت الجبهة تراكم جنباً إلى جنب مع قوى المعارضة الأخرى ومع العديد من منظمات المجتمع الأهلي والشخصيات الوطنية وكل الطلائع والنخب المدركة لخطورة نهج أوسلو والنتائج المترتبة عليها.

واستناداً لقراءة الجبهة لمهام المرحلة قبل أوسلو وبعده وعدم قدرة المشاريع السياسية على إنهاء الصراع مع الاحتلال في محاور الاستيطان والقدس والعودة والحدود، رأت الجبهة أن الخط الناظم لبرنامج يرتكز في الجوهر على مقاومة الاحتلال بكل الأساليب والأشكال، وإن بدا تراجعاً في مقاومتها المسلحة في السنة الثالثة من توقيع اتفاق أوسلو غير أنها واصلت مقاومتها بالأساليب النضالية الأخرى في الانتفاضة الراهنة انخرطت الجبهة في مقاومة الاحتلال منذ اليوم الأول وأعدت تفعيل وتنشيط دور جهازها المسلح^{١٨٢}.

لقد اختلفت إستراتيجية النضال لشعبنا في الوطن خلال سنوات المقاومة التي غلب على مظهرها الرئيس منذ عام ٢٠٠٠م الطابع النخبوي خلافاً لسنوات الانتفاضة الشعبية في أواخر الثمانينات التي تميزت بطابعها الشعبي من خلال المشاركة الجماهيرية العارمة في الإضرابات والتظاهرات والمقاطعة الاقتصادية واللجان الشعبية، والعمل النخبوي المسلح والاستشهادي يحصر النضال في أعداد محدودة الأمر الذي انعكس سلباً على دور الجماهير والقوى السياسية^{١٨٣}.

¹⁸¹ صالح عبد الجواد، (١٩٩١): "فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة وشعارات الجدران" مصدر سبق ذكره، ص-ص

٩٢، ٩٣..

¹⁸² أحمد سعادات. اتصال شخصي، مصدر سبق ذكره.

¹⁸³ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

ولقد لعبت الجبهة ولا تزال دوراً ميدانياً بارزاً على صعيد الانتفاضة وفعاليتها ونشاطاتها النضالية المختلفة، وفي إطار قيادتها الوطنية الموحدة في الداخل وقد رفعت الجبهة شعار "الانتفاضة محور عملنا" وسعت على تطبيقه على صعيد النشاط الوطني، وترى الجبهة أن الانتفاضة شكلت بداية مرحلة جديدة من النضال الوطني الفلسطيني^{١٨٤}.

وكانت الجبهة من بين القوى الأولى التي بلورت إطار لجنة المتابعة العليا للانتفاضة في محافظات غزة والتي بدأت أولى اجتماعاتها في مقر الجبهة في غزة، كما كانت أول من شارك في لجنة القوى الوطنية والإسلامية في الضفة الغربية^{١٨٥}.

وبعد اتساع دائرة النار التي فرضها الاحتلال على شعبنا وسقوط الشهداء والجرحى بالآلاف بادرت الجبهة الشعبية للإعلان عن تشكيلها لقوات المقاومة الشعبية كذراع عسكري لها في مقاومة الاحتلال والعدوان على شعبنا وهي التي أصبحت تسمى فيما بعد كتائب "الشهيد أبو علي مصطفى" بعد اغتيال الأمين العام للجبهة من قبل إسرائيل، ليتواصل دورها في مقاومة الاحتلال، وتوجيه بعض العمليات داخل كيان العدو خاصة عند ارتكاب جرائم ومجازر بحق شعبنا.

وقدمت الجبهة عشرات الشهداء وفي مقدمتهم أمينها العام السابق أبو علي مصطفى وعدد من مفاصلها المركزية والكادرية المتقدمة، وما يزيد على ٧٠٠ أسير لا يزالون يقعون داخل سجون الاحتلال، وفي مقدمتهم أمينها العام الحالي أحمد سعادات المعتقل في أحد السجون الإسرائيلية، كما يخضع نائب الأمين العام عبد الرحيم ملوح لحكم بالسجن سبع سنوات في السجون الإسرائيلية، واعتقال أعضاء مكتب الجبهة السياسي وغالبية لجننتها المركزية في الضفة وأعضاء وقيادات المناطق.^{١٨٦}

وترى الجبهة الشعبية أن الإنجاز الهام والمثمر الذي حققته المقاومة الفلسطينية هو انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من قطاع غزة وتفكيك المستعمرات فيها، وأكد د. جورج حبش الأمين العام الأسبق للجبهة^{١٨٧}:

¹⁸⁴ موقع الجبهة على الانترنت. مصدر سبق ذكره. www.pfip.net

¹⁸⁵ جميل المجدلوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹⁸⁶ أحمد سعادات. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹⁸⁷ "حبش يطالب في ذكرى تأسيس الجبهة الشعبية بضرورة تفعيل مؤسسات م.ت.ف.(٢٠٠٥، ١١ كانون ثاني): الرأي الأردنية، ص ٥.

"أن ذلك كان إحدى ثمرات الانتفاضة، وأنه لولا ضربات المقاومة وعملياتها لما حصل الانسحاب"، وإن هذا الانتصار الوطني يبقى ناقصاً مع وجود إجراءات قمعية إسرائيلية حولت قطاع غزة إلى سجن كبير، وتلك هي إحدى أهداف خطة شارون من انسحابه أي إبقاء السيطرة الإسرائيلية على المعابر والجو والبحر، مما يستدعي استمرار خيار المقاومة باعتباره الطريق الكفيلة بتحقيق الحرية والاستقلال".

وشدد حبش على:

"أن شعبنا ما يزال متمسكاً في مقاومته الباسلة حتى نيل الحرية والعودة وإقامة الدولة كاملة السيادة، مؤكداً على ضرورة العمل من أجل ترسيخ ذلك، وحماية منجزات الانتفاضة والمقاومة من خلال تفعيل مؤسسات م.ت.ف وتأكيد مبدأ الحوار الديمقراطي وتشكيل قيادة وطنية موحدة وجماعية والعمل من أجل تحقيق انتخابات تشريعية* حرة ونزيهة تقوم على الديمقراطية وبرنامج الإصلاح ومحاربة الفساد"¹⁸⁸.

■ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

منذ العام ١٩٧٤م طرحت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين رؤية إستراتيجية لأساليب مقاومة الاحتلال تقوم على التحضير للانتفاضة شعبية شاملة تتمزج فيها وسائل المقاومة المدنية مع الجبهات الجماهيرية ضد الاحتلال، كالمسيرات، المظاهرات والمقاطعة الاقتصادية، والمقاومة المسلحة باعتبارها رافداً من روافد الانتفاضة وليست بديلاً عنها، لذلك انخرطت الجبهة بدور رئيسي في الانتفاضة الأولى التي اندلعت عام ١٩٨٧م وكانت أحد الأطراف الرئيسة الثلاثية في القيادة الموحدة قبل أن ينضم إليها حزب الشعب لتصبح قيادة رابعة¹⁸⁹.

وفي الوقت نفسه استمرت الجبهة في تنفيذ عمليات مسلحة داخل الأرض المحتلة أو من جنوب لبنان، نفس الموقف اتخذته في الفترة التي أعقبت اتفاقات أوسلو وخصوصاً عندما دخلت مسيرة أوسلو استفتاءها الكبير في عام ١٩٩٩م، حين دعت إلى تجديد الانتفاضة باعتبارها البديل حيث كان هذا هو الشعار الرئيس للمؤتمر الوطني الرابع الذي عقدته الجبهة في داخل وخارج الوطن عام ١٩٩٨¹⁹⁰.

وفيما يخص المقاومة المسلحة دعت الجبهة إلى تقادي العمليات الموجهة ضد المدنيين والتزمت

* وقد جرت الانتخابات في وقت لاحق وأسفرت عن فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي.

¹⁸⁸ "حبش يطالب في ذكرى تأسيس الجبهة الشعبية بضرورة تفعيل مؤسسات م.ت.ف.(٢٠٠٥، ١١ كانون ثاني). مصدر سبق ذكره.

¹⁸⁹ قيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

¹⁹⁰ المصدر نفسه.

التزاماً كاملاً بهذا الموقف، وكانت جميع عمليات ذراعها العسكري موجهة ضد الوجود العسكري والاستيطاني للاحتلال داخل الأرض الفلسطينية^{١٩١}.

وقدم الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية منذ تأسيسها حتى العام ٢٠٠٠م ما يزيد عن (١٤٦٦) شهيداً سقطوا خلال العمليات العسكرية، كما سقط ضعفهم من كوادر وعناصر الميليشيات والمنظمات الجماهيرية ومؤسساتها من الأردن إلى تل الزعتر وصبرا وشاتيلا، ليصل عدد شهداء الجبهة الديمقراطية إلى ما يقارب (٥٠٠٠) شهيد، ووقع أثناء هذه العمليات العسكرية نحو (٤٦٢) مقاتلاً أسيراً بيد قوات الاحتلال جرى إطلاق سراح معظمهم في عمليات التبادل، وتم اعتقال المئات من جديد من قيادات ومناضلي الجبهة الديمقراطية قبل وأثناء الانتفاضة^{١٩٢}.

وفي الانتفاضة الثانية نفذ الذراع العسكري المسلح للجبهة الديمقراطية في فلسطين، تحت اسم "كتائب المقاومة الوطنية"، عمليات واسعة في كل من الضفة الغربية وغزة بأساليب مختلفة من اقتحام للمستوطنات والمواقع العسكرية الإسرائيلية^{*}، ونصب الكمائن للدوريات العسكرية وميليشيا المستوطنين، وزرع الألغام والعبوات على طرق العدو، والتصدي للاجتياحات الإسرائيلية للمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية وقصف المستوطنات بالهاونات والصواريخ... الخ^{١٩٣}.

وعن موقف الجبهة الديمقراطية من المقاومة بعد الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة فهو على النحو التالي^{١٩٤}:

١. التحذير من أي محاولة للمساس بسلاح المقاومة لأن خيار المقاومة يجب أن يبقى قائماً طالما الاحتلال مستمر في أي جزء من الأرض عام ١٩٦٧م.
٢. لا بد من تنظيم أو إيجاد صيغة لسلاح المقاومة في قطاع غزة حتى لا يصبح عاملاً إضافياً من عوامل الفلتان الأمني من جهة، وألا ينزلق إلى حالة ازدواجية سلطة من جهة أخرى، الأمر الذي يعني إبعاد سلاح المقاومة عن الصراعات الداخلية والمظاهر الاستعراضية.

¹⁹¹ المصدر نفسه.

¹⁹² صالح زيدان. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

* وحسب مصادر في الجبهة الديمقراطية، فإن العملية التي شنها "النجم الأحمر" الجناح العسكري للجبهة شكلت عملية اقتحام حصن مرغبيت العسكري الإسرائيلي فيما كان يعرف بمستوطنة غاني أور فجر يوم ٢٥/٨/٢٠٠١م، والذي يضم نخبة عسكرية من لواء جفعاتي - تطوراً نوعياً وتكتيكياً كبيراً في سياق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال حيث قتل أربعة من الضباط والجنود الإسرائيليين وجرح ثلاثة آخرون فيما استشهد اثنان من مقاتلي الجبهة. وقد فتح نجاح هذه العملية الطريق للمقاومة الفلسطينية أمام اقتحام المستوطنات والمواقع العسكرية، وسقطت نظرية الأمن الصهيوني للمستوطنات، وأبرزت إمكانية توجيه ضربة موجعة لقوات الاحتلال في قطاع غزة، رغم إجراءاته الصارمة.

¹⁹³ صالح زيدان، اتصال شخصي، مصدر سبق ذكره.

¹⁹⁴ فيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

٣. استمرار الهدنة هو قرار وطني فلسطيني شامل، وانطلاقاً من المصلحة الوطنية العامة ينبغي أن يخضع للتوافق الفلسطيني وليس لوجهة نظر أي من الأطراف.
٤. في حال انهيار الهدنة بسبب العدوان الإسرائيلي يجب الموافقة وطنياً حول مسألة الانطلاق من قطاع غزة في عمليات ضد إسرائيل وما إذا كان هذا مفيداً للمصلحة الوطنية أم لا؟.
٥. المقاومة ضد الاحتلال في الضفة وغزة والقدس هي خيار يبقى دائماً حتى زوال الاحتلال نهائياً.

رابعاً: علاقة اليسار مع الجمهور الفلسطيني

في فترة السبعينات وأوائل الثمانينات كان اليسار ناشطاً بقوة في علاقاته مع الجمهور الفلسطيني، وكان قادراً على غرس نفسه والتفاعل معه^{١٩٥}، ويمكن وصف علاقة فصائل العمل الوطني مع الجمهور بالمتقدمة وذلك قبل توقيع أوسلو وقدم السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث نجحت القوى السياسية في مد جسور علاقاتها عبر العديد من المنظمات والاتحادات والأطر الشعبية التي لعبت دوراً مهماً في تقديم الخدمات للجماهير وفي تأطير وقيادة نضالها الوطني، ولكن بعد أوسلو انعكس هذا الوضع على الأطر المحيطة بالقوى السياسية وأثر على مستوى علاقاتها بالجمهور الفلسطيني حيث انحسر دورها لصالح دور السلطة التي استبدلت العلاقة الكفاحية التي كانت تربط الأطر والاتحادات بالجماهير بالعلاقة النفعية مما أثر على النسيج العام وضعف العلاقة بين القيادة والقاعدة الشعبية الممتدة للقطاعات الاجتماعية^{١٩٦}.

ولم تستطع القوى اليسارية أن تستوعب في إطار مهامها وأشكال التنظيم نضالات مبرمجة تعمل على تثبيت قاعدتها وتوسيعها في صفوف الجماهير الفلسطينية، وبغياب الدور الناظم لمقاومة الاحتلال ظلت هذه الفصائل تراوح على نفس المكان حول شعاراتها وخطابها السياسي والاجتماعي^{١٩٧}، وعلى الرغم من محاولات اليسار عموماً والجيبة الشعبية لتحرير فلسطين خاصة إقامة علاقات صحيحة ووطيدة مع الجماهير الفلسطينية والأردنية إلا أنه لم ينجح في الممارسة العملية نتيجة ضعفه من جهة، وهيمنة البرجوازية على قيادة الثورة من جهة أخرى، وتشير مهمات المرحلة الجديدة في هذا السياق إلى أن يسار المقاومة حتى الآن غير متبلور يسارياً على صعيد الممارسة الفعلية فهو لا يزال يعاني من عدم قدرته على الارتقاء بممارسته إلى مستوى مواقفه

¹⁹⁵ زكريا محمد/ كاتب فلسطيني (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): مقابلة. اليسار الفلسطيني. رام الله.

¹⁹⁶ أحمد سعادت، اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

¹⁹⁷ المصدر نفسه.

النظرية، ولا يزال الفارق كبيراً بين مواقفه النظرية والعملية، ولم يستطع أن يشق بوضوح طريقاً تنظيمياً ونضالياً وعسكرياً وسياسياً آخر أمام الجماهير¹⁹⁸.

وتؤكد كل من انتخابات الرئاسة والمجلس التشريعي وانتخابات البلديات والمجالس المحلية، التي جرت على مدار العامين ٢٠٠٥-٢٠٠٦م إضافة إلى انتخابات مجالس الطلبة واستطلاعات الرأي جميعها - على تراجع شعبية اليسار بشكل ملحوظ، وذلك على النحو التالي:

١. **الانتخابات الرئاسية¹⁹⁹** التي جرت في كانون الثاني/يناير من العام ٢٠٠٥م، حصل مرشح الجبهة الديمقراطية / تيسير خالد على (٣,٣٥%) من مجموع الناخبين، ومرشح حزب الشعب/ بسام الصالحي حصل على (٢,٦٧%) فيما امتنعت الجبهة الشعبية عن المشاركة في الانتخابات لكنها أبدت تأييدها للدكتور مصطفى البرغوثي/سكرتير المبادرة الوطنية الفلسطينية الذي حصل على (١٩,٤٨%)، في الوقت الذي حصل فيه مرشح حركة فتح/ محمود عباس على ٦٢,٥% من أصوات الناخبين وفاز بمقعد الرئاسة♦.

٢. **انتخابات المجلس التشريعي** التي جرت في الخامس والعشرين من كانون ثاني/يناير ٢٠٠٦م، حصلت الجبهة الشعبية ممثلة بقائمة الشهيد أبو على مصطفى على ثلاثة مقاعد من أصل ١٣٢ مقعداً، وحصلت قائمة البديل وهي عبارة عن (ائتلاف الجبهة الديمقراطية وحزب الشعب وفدا ومستقلين) على مقعدين فقط، وحصلت قائمة فلسطين المستقلة ممثلة بالدكتور مصطفى البرغوثي ومستقلين على مقعدين فقط، وحصلت قائمة الطريق الثالث♦♦ على مقعدين أيضاً، وحصلت قائمة حركة فتح على ٤٥ مقعداً، كما فازت حركة المقاومة الإسلامية حماس ضمن قائمة التغيير والإصلاح ب ٧٤ مقعداً، حيث اعتبرت نتائج هذه الانتخابات وما أسفرت عنه من فوز لحماس زلزالاً سياسياً أثر على الساحة الفلسطينية، كما أثر على الوضع إقليمياً ودولياً²⁰⁰.

¹⁹⁸ بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية. مصدر سبق ذكره. ص ١٥٨.

(<http://www.elections.ps>)

¹⁹⁹ الموقع الإلكتروني للجنة الانتخابات المركزية

♦ تجدر الإشارة إلى أن اليسار الفلسطيني امتنع عن المشاركة في انتخابات الرئاسة والمجلس التشريعي التي أجريت للمرة الأولى بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية في ٢٠/١/١٩٩٦م، فقد حصل الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات على ٨٧,٢٨% من أصوات الناخبين مقابل ٩,٨٩% لسميحة خليل التي ترشحت كمستقلة، إلى جانب فوز حركة فتح بجميع مقاعد التشريعي التي بلغ عددها ٨٨ مقعداً.

♦♦ من أهم ممثليها، د.حنان عسراوي/ مديرة مؤسسة المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطي- مفتاح ود. سلام فياض/ وزير المالية الفلسطيني آنذاك.

²⁰⁰ زلزال سياسي يهز المنطقة. (٢٠٠٦، ٢٧ كانون ثاني). القدس. ص ١

٣. انتخابات المجالس البلدية والمحلية، تشير نتائج المرحلتين الأخيرتين الثالثة والرابعة إلى حصول مرشحي اليسار على عدد محدود من المقاعد في المجالس المحلية البلدية والقروية. ففي المرحلة الثالثة ووفقاً للنتائج حصلت الجبهة الشعبية على ٥,٤% من مجموع المقاعد، والجبهة الديمقراطية على ١,٢٨%، وحزب الشعب على ١,٧٧%، فيما فازت حركة فتح ب ٥١ هيئة محلية بواقع ٥٣,٧٣% من مجموع المقاعد، حماس ب ١٣ مقعد بنسبة ٢٦,٣%، كما حصل المستقلون على ٥,٧%، و حركة الجهاد الإسلامي على ٠,٢٩%، وقد جرى التنافس على ١٠١٨ مقعداً، حصلت الجبهة الشعبية على ٥٥ مقعداً، حزب الشعب ١٨ مقعداً، والديمقراطية ١٣ مقعداً، فيما حصلت حركة فتح على ٥٤٧ مقعداً، حماس على ٢٦٥ مقعداً، الجهاد ٣ مقاعد، وحصل المستقلون على ٥٨ مقعداً واستطاعت القوائم العائلية أن تحصد ٥٩ مقعداً^{٢٠١}.

وفي المرحلة الرابعة أظهرت النتائج تفوقاً في كبرى المدن الفلسطينية التي جرت فيها الانتخابات لحركة حماس على حركة فتح فقد حصلت على ١٣ مقعداً من بين ١٥ مقعداً في بلدية نابلس، وفي جنين فازت بتسعة مقاعد، وفاز تحالف حركة فتح مع الجبهة الشعبية بستة مقاعد فقط، كما حققت حماس تفوقاً كبيراً في مدينة البيرة حيث حصلت على تسعة مقاعد مقابل أربعة لفتح، في حين فاز بالمقعدين الآخرين المستقلون الذين تقودهم الجبهة الشعبية^{٢٠٢}. هذا وقد أثر النظام النسبي على بعض المرشحين المستقلين، لدرجة أن المعركة الانتخابية اقتصرت على حركتي حماس وفتح، وأن حجم اليسار والقوى الديمقراطية ضعيف جداً، ما أثر على مشاركتهم وجعلهم يعطون أصواتهم لهذا أو ذاك، لأنهم لا يضمنون الحصول على نسبة ٨% كحد أدنى للحسم، فهي إن عملت وحدها بدت فرصتها ضعيفة، لذلك فإن هذه القوى كانت غائبة أو مغيبة^{٢٠٣}.

٤. انتخابات مجالس الطلبة التي جرت في معظم الجامعات الفلسطينية خلال العام ٢٠٠٥م لم يحصل اليسار سوى على عدد محدود جداً من المقاعد وفي بعض الأحيان لم يحظ بأي مقعد، مقابل حصد حركتي فتح وحماس للنسبة الأعلى من المقاعد^{٢٠٤}.

²⁰¹ جمال الشوبكي/ رئيس اللجنة العليا للانتخابات المحلية. (٢٠٠٥، ١ تشرين أول): مؤتمر صحفي حول نتائج الانتخابات المحلية. مركز الإعلام، البيرة.

²⁰² مجلة الطرق، تحالف السلام الفلسطيني. "نتائج المرحلة الرابعة من الانتخابات المحلية فلسطين.

(<http://www.alttareek.org/details.php 20/2/2006>)

²⁰³ المصدر نفسه.

²⁰⁴ وزارة التعليم العالي في كل من رام الله وغزة.

• في انتخابات جامعة القدس "أبو ديس" التي جرت في ٣/٥/٢٠٠٥م حصلت الجبهة الشعبية ممثلة بكتلة الشهيد أبو على مصطفى على مقعدين من أصل (٥١) مقعداً، ولم يحصل حزب الشعب الفلسطيني ممثلاً بكتلة المنبر الطلابي على أي مقعد رغم تحالفه مع المستقلين وحصوله على (٣٩) صوتاً وهي النسبة التي لم تتجاوز نسبة الحسم، وكذلك الحال بالنسبة إلى الجبهة الديمقراطية التي تمثلت ب "كتلة الوحدة الطلابية" التي حصلت على (٨٢) صوتاً وأيضاً لم تتجاوز نسبة الحسم، وحصلت حركة فتح ممثلة بكتلة الشهيد ياسر عرفات على ٢٦ مقعداً وكتلة تحالف (حماس والجهاد) ممثلة بكتلة الوفاء الإسلامية على ٢٣ مقعداً*. وتجدر الإشارة إلى أن أقطاب اليسار الثلاثة المتمثلة ب (حزب الشعب، والجبهتين الشعبية والديمقراطية) تحالفت مع بعضها في انتخابات العام السابق ممثلة بكتلة الوحدة الطلابية التي حصلت على أربعة مقاعد وذلك على حساب حركة فتح بخسارتها لموقع واحد^{٢٠٥}.

• في انتخابات مجلس طلبة جامعة بيرزيت التي جرت في ١٢/٤/٢٠٠٥م حصل حزب الشعب بعد تحالفه مع المستقلين على مقعدين من أصل (٥١) مقعداً، فيما حصل تحالف الجبهتين الشعبية مع الديمقراطية على ثلاثة مقاعد، وحصلت حركة فتح/ كتلة الشهيد ياسر عرفات على ٢٣ مقعداً، وحركة حماس/ كتلة الوفاء الإسلامية على ٢٢ مقعداً، والجماعة الإسلامية على مقعد واحد♦♦. وفي الانتخابات التي جرت في ٢٤/٣/١٩٩٩م فازت كتلة القطب الطلابي الديمقراطي (كتلة الوحدة الطلابية، كتلة الإتحاد جبهة العمل) بتسعة مقاعد من أصل ٥١ مقعداً من أصوات ٣٥٧٨ طالباً وطالبة يحق لهم الاقتراع، وحصلت كتلة النهضة الطلابية (الكتلة الإسلامية، الجماعة الإسلامية) ٢٣ مقعداً، وكتلة القدس/ حركة الشبيبة ١٩ مقعداً، فيما لم تتجاوز كتلة التغيير (الإطار الطلابي المستقل) نسبة الحسم.

• وفي انتخابات مجلس طلبة جامعة بيت لحم التي جرت في ١٣/٤/٢٠٠٥م، حصل (حزب الشعب بعد تحالفه مع حركة فتح) ممثلين بكتلة القدس والعودة على (١٦) مقعداً من أصل (٣١) مقعداً، وحصلت الجبهة الشعبية المتمثلة بكتلة الحرية والاستقلال على خمسة مقاعد، ولم تحصل الجبهة الديمقراطية المتمثلة بكتلة الشهيد عمر القاسم على أي مقعد بعد حصولها على (٤٤) صوتاً لم تتجاوز نسبة الحسم، فيما حصلت حركتا حماس والجهاد ممثلة بكتلة

♦ شارك في الانتخابات (٥١٦٥) ناخباً بنسبة اقتراع بلغت ٧٤% من مجموع طلبة جامعة القدس ، وحصلت "فتح" ممثلة بكتلة الشهيد ياسر عرفات على (٢٦)، وكتلتي (حماس مع الجهاد الإسلامي) ممثلة بكتلة الوفاء على ٢٣ مقعداً.

²⁰⁵ وزارة التربية والتعليم العالي. مصدر سبق ذكره.

♦♦ شارك في انتخابات الجامعة (٤٤٤١) ناخباً بنسبة اقتراع بلغت (٨١,٥%) من مجموع طلبة بيرزيت، وحصلت حركة فتح على (٢٣) مقعداً، وحماس ٢٢ مقعداً والجهاد الإسلامي مقعد واحد.

فلسطين المسلمة على عشرة مقاعد* . وفي الانتخابات التي جرت عام ١٩٩٩م، حصلت كتلة التغيير والديمقراطية (وهي تحالف جبهة العمل والوحدة) على عشرة مقاعد من أصل ٣١ مقعداً بنسبة ٣٢% من المقترعين البالغ عددهم ١٨٤٦ طالباً وطالبة، فيما حصلت كتلة القدس والعودة وهي تحالف (الشبيبة والاتحاد) على ١٣ مقعداً بنسبة ٤١,٣%، وحصلت كتلة فلسطين (تحالف الكتلة الإسلامية والجماعة) على ثمانية مقاعد بنسبة ٢٦,٧%.

• في انتخابات مجلس طلبة الجامعة الإسلامية - غزة التي جرت في ١٤/٣/٢٠٠٥م لم تحصل أي من قوى اليسار على مقعد واحد في مجلس الطلبة حيث حصلت الكتلة الإسلامية /حركة حماس والفائزة بجميع مقاعد المجلس على ٧٨% من أصوات ٤٦٢٩ طالب، في ما حصلت كتلة الشبيبة الفتاوية/ فتح على ١٥,٤٥%، وحصلت قوى اليسار (الجبهة الشعبية ممثلة بجبهة العمل الطلابي التقدمية على ٠,٧٢%، والجبهة الديمقراطية ممثلة بكتلة الوحدة الطلابية على ٠,٧٨% فيما لم يشارك حزب الشعب) ، كما حصلت الجماعة الإسلامية على ٤,٢٥% وكتلة نضال الطلبة/ جبهة النضال الشعبي على ٠,٢٩% .

وكذلك الحال في الانتخابات التي جرت في ٢٣/٣/١٩٩٩م لم تحصل أي من قوى اليسار على مقعد واحد في مجلس الطلبة حيث حصلت، الكتلة الإسلامية / حركة حماس والفائزة بجميع مقاعد المجلس على ٧٤% من الأصوات البالغ عددها ٢٤٨٢ صوتاً، وكتلة الشبيبة/ حركة فتح على ١٩%، والجماعة الإسلامية/ الجهاد الإسلامي على ٥,٨%، وكتلة القدس والأسرى (تحالف الشعبية والديمقراطية وجبهة التحرير العربية) على ١%.

• وفي انتخابات مجلس طلبة جامعة الأزهر - غزة في الانتخابات التي حصلت في ١٨/٤/١٩٩٨م لم تتنافس أي من قوى اليسار على مقاعد المجلس السبعة وقد فازت كتلة الشبيبة الفتاوية بالمقاعد بنسبة ٨٨% من الأصوات البالغ عددها ٣٨٧٠ طالباً وطالبة، وحصلت الكتلة الإسلامية على ٧%، كتلة النضال الإسلامي على ٤,٩%♦♦♦.

٥. استطلاعات الرأي التي تجري في الشارع الفلسطيني تؤكد هي الأخرى على تراجع في نسبة الثقة التي تحظى بها فصائل اليسار، ففي استطلاع أجراه مركز القدس للإعلام والاتصال في مدينة القدس♦♦♦ فقد حظي حزب الشعب حظي على ثقة (١,١%) من الجمهور، والجبهة الشعبية (٢,٩%) والجبهة الديمقراطية (٤%)، وسجلت نتائج

* شارك في الانتخابات (١٦٣٧) ناخباً بنسبة اقتراع بلغت ٨٧,١٧% من مجموع طلبة بيت لحم، وحصلت تحالف حركتي حماس مع الجهاد الإسلامي المتمثل بكتلة فلسطين المسلمة على عشرة مقاعد.

** لم تجر الجامعة خلال السنوات الأربع الأخيرة أية انتخابات لمجلس الطلبة.

*** جرى الاستطلاع في الفترة من ٢-٧-٢٠٠٥م، وضم عينة ١٢٠٠ فلسطين، في ٦٠ موقعاً في الضفة والقطاع.

الاستطلاع ارتفاعاً واضحاً في نسبة الفلسطينيين الذين ينظرون إلى العامل الديني كعامل مؤثر عند التصويت في الانتخابات التشريعية المقبلة، وذكرت النسبة الأعلى من الفلسطينيين أنها ستختار الاتجاهات الأصولية بدلاً عن الاتجاهات العلمانية إذا كان الصراع الانتخابي على هذا الأساس²⁰⁶.

- وفي استطلاع آخر لبرنامج دراسات التنمية التابع لجامعة بيرزيت في الضفة الغربية ♦ فإن التأييد لحزب الشعب هو (٠,٨%)، والجبهة الشعبية (١,٩%) والديمقراطية (٠,٩%) فيما حصلت فتح على (٤٠,٣%) وحماس على (٢٣,٢%) وعند سؤال الجمهور عن الكتل الانتخابية التي سيقومون بالتصويت لها صوت (2.3%) إلى كتلة تشكلها الجبهة الشعبية، و(١,٦%) لحزب الشعب، و(١,١%) للديمقراطية وعن قيادات هذه الكتل حصل أحمد سعادات عن الشعبية على (٢,١%)، وبسام الصالحي عن حزب الشعب (٠,٩%)، وقيس عبد الكريم عن الديمقراطية (٠,٦%)²⁰⁷. ♦♦

تكشف نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية والمجالس البلدية ومجالس الطلبة في الجامعات واستطلاعات الرأي السابقة عن مجموعة حقائق لم تكن واضحة المعالم:

١. أبرزها وأعمقها أنها كشفت عن أبعاد "أزمة اليسار الفلسطينية" وحالة التشرذم التي يعيشها منذ فترة ليست بالقريبة.

٢. غدت الساحة الفلسطينية مستقطبة إلى حد كبير بين تياري حماس وفتح وظهور باهت وغير واضح لليسار الذي بدا أنه في حالة تراجع متواصل في وزنه وقوته في الساحة الفلسطينية♦♦♦.

٣. غياب استراتيجية واضحة لليسار، فالنتائج تلقي بسؤال كبير لماذا تفرق اليسار؟ ولماذا يرشح حزب الشعب مرشحاً في وجه مرشح الجبهة الديمقراطية، وتلجأ الجبهة الشعبية لتأييد مرشح لا يمت بصلة لبرنامجها ومواقفها، وتصمت قوى أخرى من اليسار عن إبداء الرأي وإعلان التأييد أو الرفض لهذا المرشح أو ذلك كما حدث في الانتخابات الرئاسية.

²⁰⁶ <http://jmcc.org/arabic/polls/05/no54arabic.pdf>.

♦ جرى الاستطلاع في الفترة من ٩/٣٠-١٠/٢-٢٠٠٥م في ٧٥ موقعا في الضفة وغزة وشمل ١٢٠٠ فلسطيني.

²⁰⁷ <http://home.birzeit.edu/dsp/arabic/opiniopolls/poll23>.

♦♦ النتائج التي أفرزتها الانتخابات التشريعية الثانية لم تختلف كثيراً عن نتائج الاستطلاع.

♦♦♦ يشار إلى أن انتخابات المجالس المحلية التي جرت عام ١٩٧٦م وقاطعتها بعض المنظمات اليسارية، وشارك فيها الحزب الشيوعي الفلسطيني ثم فتح، والكثير من الشخصيات الوطنية واليسارية المستقلة، بدا فيها الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي فاز بجميع المقاعد قوة رئيسية، الأمر الذي أظهر مخاوف بعض القوى المحافظة محلياً وإقليمياً.

٤. خاضت قوى اليسار الانتخابات التشريعية والبلدية وهي متناحرة ومتجادلة على الكثير من القضايا، الأمر الذي زاد من إضعاف أداء هذه القوى وتراجع جماهيريتها وازدياد الهوة بينها وبين الجماهير والتفاف قوى مؤسسات المجتمع المدني حول حركتي فتح وحماس.
٥. زادت العملية الانتخابية من أزمة اليسار الفلسطيني من خلال زيادة "تأزم" ما يسمى التيار الديمقراطي فلا يوجد اتفاق على الحد الأدنى من البرنامج السياسي من جهة ولا اتفاق على معطيات العملية التنظيمية للتيار الثالث الذي لا بد له أن يتبلور على خارطة السياسة الفلسطينية بشكل أو بآخر.
٦. اليسار الفلسطيني بحاجة إلى دراسة شاملة وتقييم لأوضاعه وبرامجه ومصارحة مع الجماهير.

وفيما يلي وصف لعلاقة الأحزاب مع الجمهور:

▪ حزب الشعب الفلسطيني

يعتبر حزب الشعب الفلسطيني نفسه أنه "حزب الفلسطينيين رجالاً ونساءً الطامحين للتحرك والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والاشتراكية المنسجمة مع خصائص الواقع الفلسطيني"^{٢٠٨}، ويضم الحزب في صفوفه الفلسطينيين المناضلين وفي مقدمتهم العمال، الفلاحين، المثقفين في الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة ومواقع الشتات الفلسطينية دون تمييز في العرق، الجنس، الانتماء الاجتماعي أو المعتقد الديني^{٢٠٩}.

ويطرح حزب الشعب على الصعيد الوطني العام قضايا ومهمات في مجالات التصدي لمؤامرة تهويد القدس، مقاومة الاستيطان، إطلاق سراح الأسرى، ومصادرة المياه، وغير ذلك، ويطرح على الصعيد المجتمعي المهام التالية^{٢١٠}:

١. الوقوف ضد أية مظاهر للاعتداء على الحريات العامة والنضال من أجل تثبيت الحقوق الديمقراطية.

٢. احترام الحريات الدينية والمعتقدات والمحافظة على المقدسات لجميع الأديان.

٣. الوقوف ضد أية مظاهر للتطاول على حقوق الإنسان.

²⁰⁸ حزب الشعب الفلسطيني. (١٩٩٨): مشروع البرنامج السياسي. مصدر سبق ذكره. ص ١.

²⁰⁹ المصدر نفسه.

²¹⁰ الموقع الإلكتروني لحزب الشعب. نبذة حول الحزب.

(<http://www.palpeople.org/viewpage.aspx?subjectid=326/1/1426>).

٤ . تكريس دور مستقل وفعال للمجلس التشريعي المنتخب مع ضمان تجسيد عمله لمبدأ فصل السلطات.

٥ . قيام المجلس التشريعي بوضع قانون أساسي لإقامة مؤسسات السلطة يحدد صلاحيات الرئيس والوزراء والهيئات ومرجعياتها المتبادلة.

٦ . إجراء انتخابات ديمقراطية للمجلس التشريعي وللمجالس البلدية والمحلية.

٧ . إلغاء القوانين والأوامر العسكرية التي تحد من حرية المواطنين والمؤسسات الأهلية ووضع قوانين تؤمن مساواة المواطنين أمام القانون.

وهناك مجموعة ميزات رئيسية ساعدت حزب الشعب على لعب دوره في الحياة الوطنية والاجتماعية الفلسطينية خلال تاريخه وتتلخص في التالي^{٢١١}:

١ . موقف الحزب السياسي الوطني الذي اتسم بالواقعية والوضوح مع الجمهور .

٢ . الموقف الفكري والأيدولوجي باعتباره أول حركة ماركسية في فلسطين خلقت تياراً تقدمياً على الساحة الفلسطينية.

٣ . الموقف من القضايا الاجتماعية والديمقراطية وتميزه في نشاطه الجماهيري.

لقد كان وضع حزب الشعب وموقعه في الحركة الجماهيرية، وفي إطار القوى الوطنية طليعياً ومتميزاً، حيث كان في مقدمة القوى الأكثر تأثيراً وقيادة للحركة العمالية ونقاباتهما، إضافة إلى المنظمات الجماهيرية الأهلية وغير الأهلية^{٢١٢}.

ويؤكد قادة الحزب أن العلاقة بالجمهور الفلسطيني كانت في أحسن حالاتها قبل مجيء السلطة، حيث كانت أقوى وأوسع من خلال الدور الفعال في الحركة النقابية الفلسطينية وفي اللجان الطلابية والنقابات المهنية للأطباء والمهندسين والمحامين والصيدلة كما توطدت العلاقة من خلال لجان المرأة والنشاط الإعلامي عبر صحيفة الطليعة الأسبوعية لمدة تزيد عن ٢٠ عاماً^{٢١٣}.

وقد شاب هذه العلاقة مع الجماهير أحياناً بعض التراجع لأسباب عدة، خاصة بعد مجيء السلطة الفلسطينية حيث انعكست جوانب سلبية كثيرة على كافة القوى اليسارية ومن بينها حزب الشعب^{٢١٤}،

²¹¹ بسام الصالحي.(٢٠٠٥): رؤية حزب الشعب الفكرية، الاجتماعية، الديمقراطية. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة. ص ص ١٢٩-١٣٠.

²¹² عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²¹³ حنا عميرة. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²¹⁴ بسام الصالحي. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

فبعد أن كان دوره رئيساً وأحياناً مقررراً أو شبه مقررر خاصة في الداخل أصبح الآن هامشياً بسبب تراجع مكانته ونفوذه على خارطة القوى السياسية الفلسطينية، وتبعاً لذلك تراجعت جماهيرية الحزب بشكل ملموس^{٢١٥}، ويدل على ذلك استطلاعات الرأي التي تجرى في البلاد، وتراجع نفوذ الحزب في النقابات المهنية والأمر أسوأ فيما يتعلق بالنقابات العمالية، حيث لم يعد لها سوى وجود شكلي ورمزي بعد أن كانت معلماً هاماً من معالم نفوذ الحزب الجماهيري، ومعقلاً قوياً من معاقله^{*}. كما تراجعت المنظمات الجماهيرية الكبيرة التي كانت تخدم الجمهور في مختلف مجالات العمل، فأعضاء الحزب يقدمون خدمات لا تخدم القضية الوطنية حيث فرضت المؤسسات الأهلية اتجاهات معينة في هذا الشأن^{٢١٦}.

كما تردت علاقات الحزب مع المنظمات الأهلية "غير الحكومية" التي يقف على رأسها أعضاء حزبيون والتي كانت حتى نهاية العقد الماضي تعتبر أذرعاً رئيسية للحزب، وتراجع نفوذه وتأثيره عليها إلى حد الاضمحلال أحياناً. وغابت كافة أشكال النشر الحزبي (الطليعة، الوطن، صوت الوطن، الكاتب) دون أن تحل مكانها أشكال أخرى أكثر تطوراً أو ملائمة لمستويات التطور العام، وفي مرحلة من هذه الأزمة غدا من النادر صدور بيان عن الحزب يعبر فيه عن موقف من قضية أو أخرى من القضايا المتسارعة أو المتلاحقة التي تمس القضية الفلسطينية وتؤثر عليها^{٢١٧}.

هناك عوامل خارجة عن إرادة الحزب أسهمت في تغيير هذا الوضع أهمها أن التنظيمات الأخرى نقلت ثقل نشاطها من الخارج إلى الداخل، إلى جانب احتكار حركة "فتح" للسلطة منذ لحظة تأسيسها حيث تشكل هذه السلطة رب عمل في الأراضي الفلسطينية من جهة، والأموال الطائلة التي تدفقت على حركة حماس من دول الخارج خاصة الخليج العربي من جهة أخرى - مما أتاح لها إقامة بنية تحتية عريضة في المجتمع الفلسطيني تلك أسباب جعلت شروط المنافسة السياسية في غير صالح الحزب لكن قادة الحزب لا ينكرون أن للحزب أخطاء وتقصيرات ذاتية أسهمت في تراجع مستوى علاقته بالجمهور^{٢١٨}.

ويؤكد الأمين العام للحزب بسام الصالحي أن حزبه سيتجه في خطته الجديدة إلى توسيع المشاركة

²¹⁵ تيسير العاروري. (تشرين أول ١٩٩٨): أزمة حزب الشعب الفلسطيني. مصدر سبق ذكره.

* سبق وأن أشير إلى أن كافة مرشحي "الحزب الشيوعي الفلسطيني" قد نجحوا في الانتخابات البلدية التي أجريت في العام ١٩٧٦م.

²¹⁶ عبد المجيد حمدان. مقابلة مصدر سبق ذكره.

²¹⁷ تيسير عاروري. (تشرين أول ١٩٩٨): أزمة حزب الشعب الفلسطيني. مصدر سبق ذكره.

²¹⁸ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

مع الجماهير باستعادة النموذج الايجابي الذي ميز علاقتهما لفترات تاريخية خاصة إبان النكبة، في الخمسينات، في نكبة ١٩٦٧م، وأواسط السبعينيات وفي الانتفاضتين، فالحزب يرى أن مقياس قدرته هو نفوذه مع الجماهير^{٢١٩}.

■ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

يشكل الخط الجماهيري أحد الأسس الهامة في تشكيل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وفي رسم سياستها على كافة الأصعدة فمنذ انطلاقتها اعتبرت الخط الجماهيري أحد أهم العوامل في القدرة على تحقيق مهام وأهداف النضال الوطني التحرري الفلسطيني^{٢٢٠}، والشعار الأهم الذي رفعت به الجبهة في العلاقة مع الجماهير هو "شعار الحقيقة" الأمر الذي عملت عليه طيلة تجربتها للوفاء بهذا الشعار إلى أقصى الحدود الممكنة والاستثناء الأبرز هو ما تقتضيه الاعتبارات الأمنية.

وقد كانت الجبهة على امتداد مسيرة الثورة الفلسطينية المعاصرة القوة الثانية في م.ت.ف بعد حركة "فتح"، وشكلت الجبهة القطب والمنهج الآخر في السياسة والعمل، إلا أنه في العقد الأخير تراجع النفوذ والوزن النسبي للجبهة لصالح حركة "حماس" التي تقدمت بوتائر سريعة واتسعت دائرة التأييد الجماهيري لها بحيث باتت قوة رئيسية وهامة في الساحة الفلسطينية بعد "فتح" حتى الانتخابات التشريعية، وتنافسها على موقع القوة الأولى في العديد من الساحات^{٢٢١}، إلى أن احتلت المركز الأول بين الفصائل الفلسطينية بعد الانتخابات التشريعية التي جرت في ٢٥/١/٢٠٠٦م وتفوقها على حركة فتح التي نالت الصدارة منذ تأسيسها عام ١٩٦٤م وتراجعها إلى المركز الأول.

ويعد وزن الجبهة الشعبية هو معيار حضورها جماهيرياً فقد تقلص وزنها ودورها التنظيمي السياسي والثقافي في العقد الأخير، لكنها لم تتفك القوة الثالثة بعد مسافة كبيرة من القوة الثانية، إلا أنها القوة اليسارية الأولى وضعف حجم مجموع القوى اليسارية الأخرى.

وعلى الرغم من ضبابية والتباس برنامجها في العديد من الأركان في الآونة الأخيرة فهي تعتبر الجماهير صانعة التاريخ وحاضنة المقاومة وصاحبة القضية ولا تضع نفسها بديلاً أو قائداً، لها تكتيكات مرنة سواء تحالفية مع القوى أو مع تيارات دفاعاً عن موقف نقابي أو سياسي، كما أنها تؤمن بحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، وهي حريصة في رؤيتها على إجترار أهداف توحيدية

²¹⁹ بسام الصالحي. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²²⁰ بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية. مصدر سبق ذكره. ص ١٥٦.

²²¹ جميل مجدلاوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

للشعب من طراز حق العودة بما في ذلك عودة نحو ٢٠% من التجمع الفلسطيني وراء الخط الأخضر، وتحقيق الحرية والاستقلال ووحدة المصير والتواصل بين مختلف التجمعات الفلسطينية^{٢٢٢}.

ونتيجة للأزمة التي تمر بها الجبهة من سنوات نتجت التباسات كثيرة أثرت على مدى جماهيريتها وطلائعيتها وعلاقتها بالجمهور، غير أن ثمة ما هو جوهري هو وزنها وما تمثله من رؤيا بما في ذلك نزعتها الديمقراطية رغم ما يشوبها من إرباك وضبابية^{٢٢٣}.

وتراجعت الجبهة إلى موقع القوة الثالثة ولكن بمسافة كبيرة بينها وبين كل من حركتي "حماس وفتح" وتعطي استطلاعات الرأي العام الفلسطينية الجبهة نسبة تأييد تتراوح بين ٣,٥-٨,٥% وهذه النسبة تعكس بشكل أو بآخر مناخاً ولو لأقسام معينة من الجمهور^{٢٢٤}.

■ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

تطمح الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين لأن تبني نفسها كحزب طليعي لا يقوم بالعمل الثوري والوطني بفعل طاقاته الذاتية، وإنما من خلال دوره القيادي في تعبئة الجماهير للدفاع عن مصالحها، والنضال من أجل أهدافها وحقوقها، لذلك ترى الجبهة أن دورها الرئيس هو تنظيم النضال الجماهيري بمختلف القطاعات من أجل مطالبها الحيوية المباشرة التي تعبر عن مصالحها الملحة والارتقاء بهذا النضال ليصب في مجرى النضال الوطني العام ومن أجل الحقوق الوطنية، وترى الجبهة أن هذا هو الأساس لاندلاع الانتفاضة الشاملة حيث أنها كانت منذ عام ١٩٧٤م تمثل الرؤية أو الخيار الذي تراه مناسباً للشعب الفلسطيني للخلاص من الاحتلال مما يعني أن الجهد الرئيس للجبهة في علاقاتها مع الجماهير هو جهد تشخيصي وتبصير بمصالحها وإيجاد الأطر الملائمة لتنظيم الجماهير لنضالها بنفسها سواء على المجال الاجتماعي أو الديمقراطي أو الوطني أحد أبرز الأطر التي ترى الجبهة أنها مناسبة لعملية التنظيم إلى أطر نقابية^{٢٢٥}.

ركزت الجبهة على العمل النقابي بحث الجماهير خاصة العمالية على الانتظام النقابي وتأطير نفسها في هذا الجانب باعتبار أن النقابات هي الصيغة التي يمكن أن تتوحد في إطارها كل الطبقة العاملة

²²² أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²²³ المصدر نفسه.

²²⁴ جميل مجدلاوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²²⁵ قيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

بعيداً عن الاختلافات الحزبية، كما عملت على تأطير قطاعات اجتماعية أخرى من الشعب على رأسها الشباب والنساء، ومساعدة الجماهير بانتزاع حقوقها من مستغليها ومضطهديها وأعدائها إلى جانب ذلك ترى الجبهة أن العمل التعاوني الذي يمكن جماعات معينة من الجمهور أن تتبادل العون فيما بينها لمساعدة بعضها البعض والتخفيف من وطأة المشكلات التي تعانيها، على الصعيد المادي هو أمر ساعد في تمكين هذه القطاعات الجماهيرية من الصعود ومواصلة نضالها ضد مغتصبي حقوقها سواء على الصعيد الاجتماعي أو القومي، وتولي الجبهة أهمية لهذا العمل التعاوني من خلال جمعيات تعاونية عمالية استهلاكية والجمعيات الخيرية وصناديق الطلاب والمساعدات.

أخيراً في مجال التخفيف من وطأة المعضلات المباشرة التي تعاني منها القطاعات الاجتماعية نشطت الجبهة في بناء عدد من المؤسسات الأهلية وترى دور المؤسسات باعتباره دوراً تكاملياً مع المؤسسات ذات الصبغة التعاونية أو النقابات بتأمين موارد خارجية من تبرعات أو جهات مانحة لتمويل مشاريع يمكن أن تساعد قطاعات معينة من الجمهور على أن تؤمن احتياجاتها بنفسها من خلال عملها أو ما تحصل عليه من مساعدات لإقامة مشاريع تعاونية

ويقول قيس عبد الكريم " أبو ليلي"^{٢٢٦}:

"نحن راضون إلى حد مقبول عن عملنا في المجال الأول فهناك كثير من التعقيدات والطموحات التي لم تتحقق بعد .. كثير من الثغرات في هذا المجال، لكن انخرطنا في العمل الجماهيري على المستوى الوطني يجري على مستوى مقبول، وانخرطنا في عدد من القطاعات الاجتماعية كالمراة والشباب ودورنا في تأطيرها وتعبئتها يأتي على مستوى مقبول، وفي المجال النقابي العمالي ناضلنا على امتداد السنوات العشرين الأخيرة لتوحيد الحركة النقابية على أسس ديمقراطية، لم ننجح في هذا المجال حتى الآن، ووجودنا ونضالنا بين الجماهير العمالية عنصر رئيسي من عناصر هذا الوجود، ونلعب دور من الأدوار الرئيسية في هذا المجال، وإن يكن حتى الآن دور لا يستند إلى الانتخاب الديمقراطي وإنما الاتفاق مع سائر الكتل العمالية في اتحاد نقابات العمال، أما على صعيد المحور الثاني تتداخل هنا محاور العمل التعاوني مع عمل المؤسسات الأهلية في المجال التعاوني هناك شيء من التطور في العمل، لكن نحن نعتبر أن عملنا في الإطار مع المؤسسات الأهلية دون المستوى المطلوب يفتقر إلى حسن الأداء والخبرة ونبذل الجهد للارتقاء به وتطويره"

مما سبق يتضح أن مواقف اليسار الفلسطيني وأدواره تتفاوتت تجاه القضايا الرئيسية الأربع التي تحدثنا عنها في هذا الفصل وذلك على النحو التالي:

²²⁶ المصدر نفسه.

أولاً: تجاه العملية السلمية واتفاقيات أوسلو، فحزب الشعب الفلسطيني الذي يعد أهم تنظيم سياسي امتلك رؤية للعمل السياسي فمئذ البداية كان مع الحل السلمي، وهذا الموقف يعد جزءاً من استراتيجيته القائمة على أساس دولتين، فقد أيد الحزب المشاركة في مؤتمر مدريد وما تبعه، وذلك شريطة أن تكون تحت إشراف دولي ويهدف تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، وينطلق الحزب في هذا الموقف في تأييده للعملية السلمية من خلال تجربته بأن الرفض والمقاومة لن تجلب إلا المعاناة للشعب الفلسطيني.

وعلى العكس كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في موقفها حين اعترضت على مبدأ الحل ورفضها المشاركة في العملية السلمية برمتها، لأنها ترى أن هذه الاتفاقيات تتدرج في سلسلة التنازلات التي تقدمها منظمة التحرير الفلسطينية أمام الاشتراطات الأميركية والإسرائيلية. هذا وتأخذ الجبهة على منظمة التحرير الفلسطينية قبولها لهذه العملية والمشاركة فيها لأنها لم تكن مجبرة للتعامل معها، وعلى الرغم من تفهم الجبهة للسلام والتسويات كآليات لتحقيق الأهداف الوطنية إلا أنها تعتبر أن ما يجري ليس عملية سلمية، وإنما "تسوية سياسية" لإدارة الأزمة وليس حلها.

أما الجبهة الديمقراطية فقد قبلت بمبدأ التفاوض وإقامة دولتين، مشيرة إلى أن مفاوضات مدريد واتفاقية أوسلو وقيام السلطة الوطنية هي خطوة على الطريق، إلا أن كثير من المراقبين يعتقدوا أن الموقف الحقيقي للديمقراطية من اتفاقيات أوسلو يعود إلى الاصطاف الذي تشكل بعد انشقاق حركة فدا عن الجبهة الديمقراطية وخروجها من صفوفها حيث أيدت حركة فدا السلطة الوطنية والاتفاقيات فكان الموقف من العملية السلمية تنظيمياً أكثر منه سياسياً.

ثانياً: وكما في البند السابق اتخذت قوى اليسار مواقف مختلفة تجاه السلطة الوطنية الفلسطينية التي جاءت نتيجة أوسلو وملحقاتها، فحزب الشعب أيد السلطة الفلسطينية واعتبرها إحدى أدوات النضال لتحقيق الهدف الوطني الفلسطيني في التحرر والاستقلال، واعتبر أن السلطة هي ملك للجميع وأنها النواة للدولة الفلسطينية القادمة، وقد شارك الحزب في الحكومة الفلسطينية حيث كان أمينه العام السابق بشير البرغوثي أول وزير للصناعة في السلطة الوطنية، كما شغل غسان الخطيب منصب وزير العمل مرة ووزير التخطيط مرة أخرى، ويرى الحزب في هذه المشاركة أنها تأتي ضمن تأكيد على مبادئ الإصلاح الداخلي ومحاربة الفساد وفرض سيادة القانون.

ورفضت الجبهة الشعبية المشاركة في السلطة الوطنية التي تعتبرها أنها نتاج أوسلو الذي ترفضه وتعارضه، وبقيت الجبهة بعيدة عن نسقها السياسي القيادي ومراكزها المقررة، وقد حلت محل

م.ت.ف. واستحوذت على الكثير من قياداتها وأجهزتها، وطالبت الجبهة بضرورة إعادة دور المنظمة والتمسك بميثاقها.

كما اتخذت الجبهة الديمقراطية نفس الموقف بعدم المشاركة في السلطة الفلسطينية المقيدة بقيود اتفاق أوسلو، وضرورة إعادة تفعيل دور منظمة التحرير وإعادة بنائها على أسس ديمقراطية ووطنية.

أما السلطة الفلسطينية فهي ترى أن اليسار هو شريك في عملية البناء وفي العملية السياسية، ولا تمنع بوجود أعضاء من اليسار في أي من مؤسساتها أو أن يشغلوا مناصب وزارية في الحكومة الفلسطينية.

ثالثاً: وحول موقف اليسار من المقاومة فتجدر الإشارة إلى أن المقاومة بدأت بحركة القوميين العرب وازدادت زخماً مع تشكيل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٧م، إلى جانب إطلاق حركة فتح الرصاصية الأولى في الثورة الفلسطينية في ١/١/١٩٦٥م، وأصبحت المقاومة في الداخل والخارج أمام مأزق بعد أوسلو، الأمر الذي انعكس على قوى اليسار الفلسطيني.

حزب الشعب ومنذ البداية موقفه ضد الكفاح المسلح باستثناء فترة ضئيلة جداً من بداية السبعينات، وهو يؤيد النضال الشعبي ضد الاحتلال، لكنه يرفض العنف، ويعتبر أن النضال الجماهيري السلمي هو الأفضل والأسلم من خلال المسيرات والمظاهرات.

موقف حزب الشعب الذي كان ثقله في الداخل يأتي على عكس موقف الجبهتين الشعبية والديمقراطية المتواجدتقلهما في الخارج فهما أحزاب مقاومة فأصلهما واحد من حركة القوميين العرب، إلا أن الجبهة الديمقراطية اتخذت منذ البداية موقف مناقض ومعادي لما يسمى بالأعمال العسكرية المغامرة مثل خطف الطائرات الذي تبنته الجبهة الشعبية والتي كانت تؤيد الكفاح المسلح بكافة أشكاله وصوره في مقاومتها للاحتلال وامتازت عن غيرها من الفصائل بلهجتها الحادة والعنيفة في هذا الجانب، ولعل موقفها هذا جعلها أكثر التنظيمات الفلسطينية ملاحقة من قبل الاحتلال حيث طورت في الداخل كوادرها المسماه ب "اللجان الشعبية".

أما الجبهة الديمقراطية فهي تقف موقفاً وسطاً بين المقاومة السلمية من مسيرات ومظاهرات، والمقاومة المسلحة من قتل وخطف.

رابعاً: كان اليسار في أوج علاقته مع الجمهور الفلسطيني في فترة السبعينات وأوائل الثمانينات حيث كان يعمل بشكل مباشر مع الجمهور ويتمتع بوضع متقدم في الحركة الجماهيرية وفي إطار القوة الوطنية وكان في مقدمة القوى الأكثر تأثيراً وقيادة للحركة العمالية ونقاباتها إلى جانب المنظمات الجماهيرية الأهلية وغير الأهلية، وما ميز اليسار في تلك الفترة هو خلق كوادر ولجان وأطر جماهيرية تقدم خدمات اجتماعية وصحية وأسرية مثل اتحاد نقابات العمال، اتحاد لجان العمل الصحي، واتحاد لجان العمل النسائي، الإغاثة الزراعية، الإغاثة الطبية، الإتحادات الطلابية، حضانات الأطفال وغيرها.

هذه اللجان و الأطر بقيت موجودة، لكن معظمها انفصلت واستقلت عن أحزابها مما أثر على رؤية الجماهير للييسار وأفقدته قاعدة جماهيرية واسعة وهامة جداً، فاليسار اليوم مغيب عن معظم القضايا الاجتماعية، البرامج التي يقدمها ضعيفة للغاية وفي أحيان أخرى لا تذكر، فمثلاً ماذا قدم اليسار للعمال والمزارعين الفلسطينيين وسط الاعتداءات الإسرائيلية عليهم؟ ما هو الدعم الذي قدمه اليسار للقطاع التعليمي، الصحي، الزراعي، الإسكاني، أو الثقافي مع العلم أن غالبية اليسار هم من المثقفين ثقافة عالية!، كيف كافح اليسار الفقر في المجتمع الفلسطيني، تلك الأسس التي نما وترعرع اليسار بسببها؟ لماذا لم تفتح فصائل اليسار الفلسطيني منابرها الإعلامية التي أغلقت بفعل الاحتلال، أو جراء ضعف الدعم المالي، وتعيد الاستفادة منها في الترويج لبرامجها وأفكارها بين الجماهير.

ولعل جوانب النقص هذه التي يعاني منها اليسار، استطاعت حركة حماس استغلالها بقوة بين الجماهير من خلال مؤسساتها التعليمية والصحية والإعلامية وجعلتها القوة الأولى على الساحة الفلسطينية ونيلها النصيب الأكبر من التأييد في الانتخابات التشريعية الثانية.

حزب الشعب (الحزب الشيوعي سابقاً) يعد أكثر التنظيمات جماهيرية، أما الجبهة الشعبية والتي بدأت علاقاتها مع الجمهور في نهاية السبعينات، لكنها ركزت على العمل العسكري على حساب الجماهيري تعتبر أن العمل الجماهيري كان في سباق مع العمل الكفاحي، وأن العلاقة مع الجماهير لا تبنى بالعمل معها، وإنما بجذب اهتمام هذه الجماهير للنشاط العسكري الذي تقوم به، والجبهة الديمقراطية التي بدأت علاقاتها مع الجمهور في الأرض المحتلة في فترة السبعينات كانت تمتلك وسائل إعلامية قوية، إلا أنها لم تفلح في استغلال هذا الوسائل.

من جهة ثانية طغي الجانب الوطني التحرري على الجانب الديمقراطي والاجتماعي، فالمرحلة التي يمر بها الشعب الفلسطيني هي مرحلة تحرر وطني، والتناقض الأساس هو تناقض وطني مع

المشروع الصهيوني العنصري والاحتلال العسكري التدميري للوجود الفلسطيني والهوية الفلسطينية. كما حظي الجانب الاجتماعي بأهمية محدودة لانغماس القوى السياسية والطبقات الاجتماعية في الدفاع عن الوطن وصد المؤامرات الاحتلالية.

وقد سجل العقد الماضي حالة من السبات العميق للتنظيمات اليسارية، حيث انعكس ضعف وغياب اليسار كفعل وطني ديمقراطي إلى إحداث خلخلة في التفكير السياسي للحركة الوطنية برمتها، وإلى تراجع فكرها السياسي وطابعها الديمقراطي العلماني وواقعيتها السياسية وتحالفاتها العالمية، وهذا ما يتناوله الفصلان القادمان حول أسباب أزمة اليسار وسبل الخروج منها.

الفصل الثالث

أزمة اليسار الفلسطيني وأسبابها

المقدمة

مثل صعود اليسار الفلسطيني منذ بداية السبعينات والثمانينات، بداية تغيير نوعي وانطلاقة جديدة في حراك المجتمع الفلسطيني تمثل في تأطير وتنظيم الجماهير الفلسطينية في منظمات لعبت دوراً بارزاً في زيادة الوعي النضالي لدى الطبقات الاجتماعية، ومثل اليسار بكافة منظماته نموذجاً للعمل الشعبي مع الجماهير، وما حملته من قيم ونماذج اجتماعية لتصور اليسار للمجتمع على صعيد الحياة اليومية²²⁷، كما بقي المناخ اليساري قوياً ومؤثراً على الساحة الفلسطينية مع استمرار انتصارات قوى التحرر في أنحاء العالم، والدور الدولي النشط للاتحاد السوفيتي في دعم منظمة التحرير والحقوق الفلسطينية²²⁸.

وترك اليسار بصماته على القرار الوطني والبرنامج المشترك ل م.ت.ف وكذلك على النضال الجماهيري من خلال استحداثه منظمات جماهيرية، كما كان حضوره - وعبر علاقاته مع الأحزاب العربية والعالمية - بارزاً في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، إلا أن اليسار لم يتجاوز وزنه كمعارضة، ولم يهدد الاتجاه المركزي في الحركة الوطنية وأن يحدث توازناً يحسن من شراكته في صنع القرار وذلك لأسباب عدة منها²²⁹:

1. تحالفات اليسار مع بعض الأنظمة العربية التي لها مشروعها الخاص في استخدام الورقة الفلسطينية للضغط أو لتحسين شروطها الإقليمية والدولية.
2. بنية اليسار التنظيمية كانت لا تحتمل التطور والتحول إلى قوة ذات نفوذ كبير، فبنية اليسار طاردة وليست جاذبة خلال فترات طويلة فهو في حالات انقسام وانشقاق، وذلك يعود إلى التقاليد الديمقراطية داخل الأحزاب.

²²⁷ أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥). "أزمة اليسار الفلسطيني، محطة عابرة.. أم بداية النهاية". تسامح. ١٠. ص ١٢.

²²⁸ داوود تلحمي. (٢٠٠٥): حضور الفكر اليساري في بدايات الثورة الفلسطينية المعاصرة ومسارها اللاحق. في: أحمد قطامش (محرر)،

أضواء على المسيرة اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة. ص ٨١.

²²⁹ مهدي عبد الحميد/ مدير عام الخدمات الصحفية في وزارة الإعلام الفلسطينية، كادر يساري سابق (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): مقابلة

اليسار الفلسطيني. مقر وزارة الإعلام. البيرة.

٣. انهيار النموذج المتمثل بالاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، أفقد اليسار توازنه وجعله دون مرجعية، وكذلك انهيار النظام العربي بعد حرب الخليج في إطار التحالف الأمريكي، جعل اليسار يخلق في الفراغ دون قاعدة ينطلق منها.

وتزامن ذلك كله مع توقيع اتفاقية أوسلو وإقامة السلطة الفلسطينية، وكان له أثره الكبير على اليسار الذي شهد تراجعاً ملحوظاً، كما اشتد وانحسر دوره وبرنامجه الاجتماعي والثقافي مع تقدم قوى أخرى تملك أدوات السيطرة*، ونأي اليسار بنفسه عن الصراع ضد السلطة الوليدة التي كانت تدير مفاوضات مع إسرائيل، وحتى لا يبدو صراعه معها في صالح الاحتلال، نأى عن العمل معها ترفعاً عن الانغماس في مشروع أقل من الحدود الدنيا للطموحات الفلسطينية، وخلق الواقع أزمة برنامجية لدى اليسار أصابته بالشلل، وتوقفت عن التنظير لمشروعه الاجتماعي، وانشغل في تأكيد الجانب السياسي حيث تمحورت أدبياته في الأعوام الخمسة عشر الأخيرة في التأكيد على الموقف السياسي المباشر وتركزت المسألة حول السلطة السياسية القائمة والمشاريع المطروحة والمفاوضات رفضاً أو قبولاً، أو في إصلاح السلطة السياسية مغفلاً الإصلاح السياسي والثقافي والمعنوي في المجتمع والتي تعد مهمة اليسار الأولى، بينما يزداد المجتمع الفلسطيني في هذه الفترة انغماساً في العشائرية و العودة لعادات وتقاليد تجاوزها منذ الانتفاضة الأولى، واكتفى بتقديم رأيه في قضايا سياسية في محاولة لتبرئة نفسه من الأخطاء.^{٢٣٠}

ومن جانب آخر قام اليسار الفلسطيني في تعاطيه مع مختلف قضايا الشأن الداخلي المجتمعية بتقديم حلول وصيغ عمل بعيدة كل البعد عن خصوصية المجتمع الفلسطيني لا تراعي التركيبة الثقافية والاجتماعية له، وذلك من خلال محاولته نقل تجربة الديمقراطية الغربية القائمة في بعض دول أوروبا كما هي وبصورتها النهائية وإسقاطها بشكل فظ على الواقع الفلسطيني، متناسياً أن هذا المجتمع لا تزال أنماط التفكير الريفي وأدبياته تسيطر على عقله.^{٢٣١}

* بعد اتفاق أوسلو حدثت جملة تطورات إقليمية ودولية ساهمت في إضعاف اليسار، إلى جانب انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية وبروز سيادة القطب الأمريكي على العالم رافق ذلك انهيار التضامن العربي وحرب الخليج الأولى ومن ثم انتقال مركز الثقل للحركة الوطنية للداخل، لم يستطع اليسار أن يستوعب هذه المستجدات الجديدة ويواكب برنامجه بناء على ذلك، وكذلك بروز حركة حماس والتيار الإسلامي أدت إلى تراجع دور اليسار بصورة جوهرية وحاسمة، كما أن اليسار أصبح غير قادر على الاستجابة للمهمات التي طرحتها المرحلة الجديدة ولم يستطع بلورة برنامج فلسطيني يستجيب للمرحلة الجديدة. هاني المصري/ كاتب ومحلل سياسي. (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): مقابلة. أزمة اليسار الفلسطيني. نابلس.

²³⁰ أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "أزمة اليسار الفلسطيني، محطة عابرة.. أم بداية النهاية". مصدر سبق ذكره. ص ١٨.

²³¹ محمد المجدلوي. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "اليسار الفلسطيني.. استطلاع الواقع واستشراف الآفاق". تسامح: ١٠. ص ص ٩٦-٩٧.

وبرزت الأزمة بشكل أكثر وضوحاً في الانتفاضة الثانية "انتفاضة الأقصى" التي كشفت عدم جاهزية اليسار وافتقاده لأدوات العمل ومحدودية الدور والموقع، كما أبرزت بشكل واضح برنامجين على الساحة الفلسطينية، البرنامج السياسي الذي كانت تقوده السلطة وحركة فتح، وبرنامج سياسي كانت تُنظر له حركتا حماس والجهد الإسلامي حتى أثناء المفاوضات*، ولم يستطع اليسار ترسيخ برنامج يعبر عن تيار ثالث يتراوح بين موقف فتح والسلطة من جهة وحركة حماس من جهة أخرى، فهو فشل في بلورة نفسه مع كل المحاولات، ولم يتمكن من طرح خطأً ثالثاً يوضح رؤيته مما يجري في الساحة الفلسطينية^{٢٣٢}، ولم يجد نفسه طرفاً في معادلة سياسية قد انتقدتها طويلاً وخاصة الجبهتين الشعبوية والديمقراطية^{٢٣٣}، ولم يستطع اليسار أن يعطي مصداقية لانتقاداته تلك على مستوى المقاومة حيث عجزت فصائل اليسار عن اتخاذ موقف مبدئي واضح ومثابر تجاه عمليات المقاومة^{٢٣٤}، وبدا الدور محدوداً أمام فعل حركتي فتح وحماس في الانتفاضة، فلم ينجح في تصحيح مسار سياسي، أو في إبراز قوة عسكرية وظهر كأنه يفتقد لدور هو مبرر وجود أية قوى كفاحية أو مجتمعية^{٢٣٥}.

واشتدت أزمة اليسار بقوة في الانتخابات التشريعية الثانية، وحصل فيها اليسار المتمثل في الجبهات (الشعبية والديمقراطية والفلسطينية والنضال) وحزب الشعب وفدا على أقل من ٥%، حيث أعلن بعض المحللين والمراقبين اليساريين عن نعي اليسار الذي حسب رأيهم ومنذ ما يزيد على عقد من الزمان دخل حالة الموت السريري أو الإكلينيكي، واعتبروا أن الأسباب التي أدت إلى فوز حركة حماس هي نفسها التي أدت إلى هزيمة اليسار، فقد وقفت حماس ضد أوصلو وضد السلطة وظلت منسجمة مع ذاتها، في حين ناهض اليسار أوصلو وتتاغم مع مفرزاتها وجنح لمغرياتها، وإذا تصدت حماس للفساد والإفساد صمت اليسار في أحسن الأحوال ولربما شارك من حيث لا يدري وجزء كبير منه ولج بقدمه اليسرى منظمات NGOs "الوجه الأخر للفساد والإفساد"^{٢٣٦}.

* هذا البرنامج السياسي كان نقيضاً لأوصلو: ويتضمن عدم الاعتراف بدولة فلسطينية في حدود ٦٧، وهذا انعكس على طبيعة العمليات التي استهدفت العمق الإسرائيلي، كما لم يقدّم أي وزن لا لوجود معارضة ضد الاحتلال أو للرأي العام العالمي، كان الطابع لهذا البرنامج شعبي يرضي الناس ويعبر عن الثأر والانتقام من العمليات العسكرية، كما أنه لم يكن برنامجاً قائماً على التسوية وإيجاد حل بديل لأوصلو، هدفه الأول إسقاط أوصلو وقطع الطريق عن العودة إليه.

²³² مهندس عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²³³ أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥): مصدر سبق ذكره. ص ص ١٨-١٩.

²³⁴ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²³⁵ أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥): مصدر سبق ذكره. ص ص ١٨-١٩.

²³⁶ حمدي فراج. (٢٠٠٦، ٢٨ شباط): يسار يميني. القدس، ص ١٦.

لقد كان اليسار منذ زمن بعيد قوياً ومؤثراً في شتى المجالات، ثم تراجع دوره تراجعاً ليس ملحوظاً فقط بل ملموساً بقوة في كافة المجالات في الساحة الفلسطينية: سياسياً، اقتصادياً، اجتماعياً وثقافياً، ولعل تواجده اليوم على الساحة "صورياً" دون تأثير، ويزداد هذا الضعف يوماً بعد يوم بفعل ظروف داخلية، ومحلية وإقليمية وعالمية وفيما يلي سنتناول:

١. أسباب أزمة اليسار

٢. انعكاسات الأزمة على فصائل اليسار الفلسطيني

١. أسباب أزمة اليسار

يؤكد الكثير من المحللين والمفكرين في عالمنا العربي أن الأزمة في البلدان العربية هي أزمة عميقة تطال مختلف جوانب الحياة، ومرشحة بسبب طبيعتها للتفاقم الدائم وبوجه الخصوص في الجانب الفكري النظري والسياسي، وبرغم الاختلاف الكبير في تحديد طبيعة هذه الأزمة وسماتها ومظاهرها بين الباحثين، إلا أن هناك إجماع بينهم على الإقرار بوجودها^{٢٣٧}.

ويؤكد كريم مروة المحلل السياسي أن أزمة الفكر السياسي تركت انعكاساتها على مجرى الحياة كلها وعلى العلاقات في المجتمع، وعلى القوانين، وعلى شكل الدولة ومؤسساتها، وعلى شكل التطور واتجاهاته، وهذا هو الذي كان ولا يزال في أساس ما تروج له الحركة الثورية في بلداننا " أن أزمة مجتمعاتنا هي أزمة بنيوية" ويضيف إن بعض مظاهر الأزمة تتجسد في:

١. إن الفكر السائد هو الفكر البرجوازي، " إلا أنه فكر برجوازي متخلف وهجين، يستمد سماته من المستوى المتخلف لتطور بلداننا وهو مستوى يتفاوت من بلد لآخر".*

٢. في مواجهة هذا الواقع المأزوم برز فكر نقيض، نقطة انطلاقه هي رفض الواقع من خلال السعي لتقديم البدائل والتي لم تكن واضحة أو محددة رغم الخطط والبرامج السياسية

²³⁷ كريم مروة. (أيار، ١٩٩٢): " أزمة الفكر السياسي العربي". المستقبل العربي، ١٥٩. ص ١٣٤.

* مصدر هذا التخلف كما يرى مروة: أن البلدان العربية لم تستطع بسبب وقوعها تحت السيطرة العثمانية ما يقرب من خمسة قرون - أن تحقق ثورتها البرجوازية، وأن تستكمل حرية النهضة التي كانت قد بدأت في القرن ١٩/ كما أنها لم تستطع تحقيق الإصلاح الديني الذي كان قد بدأ أيضاً في الوقت نفسه وخلق في المهدي من قبل السلطة العثمانية والسلطات المحلية وسلطات المؤسسة الدينية، وأسهم في قمع هذه الحركة المجتمع برمته الذي لم يكن مهيباً لتدني الوعي فيه، ولسيادة القمع السياسي الديني للتجاوب مع هذا النوع المتقدم والمعقد من الحركة، رغم الحاجة الموضوعية إليه، لذلك بقيت المجتمعات العربية مفككة، وإن بنسب متفاوتة. المصدر السابق. ص ١٣٥.

والشعارات، لأن الفكر الذي تصدى لهذه المهمة التاريخية لم يكن واحداً بل متعدداً ومتنوعاً ومتناقضاً بسبب المدارس التي استند إليها وكانت عديدة ومتنوعة ومتناقضة أيضاً*^{٢٣٨}.
٣. أخطر مظهر للأزمة في الفكر عامة، وفي الفكر السياسي خاصة هو ما ارتبط بالماركسية وبالحركة الشيوعية، والأبرز في ذلك هو "غربته" مع تفاوت في مستوى الغربية بين بلد وآخر وحزب وآخر*^{٢٣٩}، وقد أدى هذا الخلل إلى جعل الحركة الشيوعية في منهجها وبرامجها وفي أشكال تنظيم أحزابها "تدخل أزمة انتماء اجتماعي ووطني في بلادها رغم ما قدمته من إسهامات باهرة في النضال الوطني والاجتماعي".

وفي الجانب الفلسطيني وعلى مدى سنوات طويلة لازمت كل أدبيات اليسار مقولة "الأزمة" وأجهد اليسار نفسه في تحليل مركبات هذه الأزمة ومسبباتها، دون أن يجهد نفسه في تحديد أساليب الخروج منها وتخطيها، لتتعمق هذه الأزمة مع الأيام، وعبر تطورات محلية وإقليمية ودولية، وليقف على مفترق طرق بعد حالة الانهيار الدولي، ورافق هذه الحالة مظاهر التسرب والتشطي والانقسام المعلن عنه والمستتر والانكفاء وتراجع الوزن، ومظاهر التخبط الأيديولوجي والسياسي، ومظاهر انكشاف الفكر الذهني للقيادات، إضافة إلى مظاهر تجليات فعل الأزمة، فقد انهزم اليسار كما انهزمت الحركة الوطنية الفلسطينية^{٢٣٨}، ومع الانتفاضة الثانية حصل إرباك في إستراتيجية القوى بحكم الحال وطبيعة المواجهة مع إسرائيل واللجوء للمقاومة المسلحة، إلى جانب اهتزازات أخرى تعرضت لها الفصائل الفلسطينية^{٢٣٩}.

* اعتبر الليبراليون أن الحل الحقيقي للأزمة يكمن في اعتماد الطريق الرأسمالي للتطور، مثل هذا الرأي لم يكن واقعياً فالبلدان العربية ومجتمعاتها متخلفة في شتى المجالات، وتخلفها قديم، لذلك ولدت أزمة الفكر الليبرالي معه وظل أسير هذه الأزمة، وأدى هذا التأزم إلى بروز تيارات فكرية أخرى راديكالية مناهضة له ومتعارضة معه كجزء من صراعها في الفكر السائد وتعبيراته السياسية والاجتماعية. وقد كان ما سمي بالفكر القومي العربي هو البديل الأكثر جراءة حيث اقتحم التجربة واستخدم هذا الفكر في الانقلابات العسكرية في تحقيق برامجهم وشعاراتهم وحاولوا تجديد فكرهم بالدمج بين الجانب الليبرالي المأخوذ من التجربة الرأسمالية في أوروبا من جهة وبين الجانب الديني في التراث العربي مقروناً بنوع من العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة من جهة ثانية، وبين الجانب الماركسي متأثراً بأفكار الثورة الاشتراكية في روسيا وتجربة الاتحاد السوفيتي لإعطاء بعد اجتماعي للمسألة القومية من جهة ثالثة. المصدر السابق. ص ١٣٦.

** المقصود بالغرب هنا، ليس فقط كون الأحزاب والحركات الشيوعية والماركسية قد التزمت بالارتباط بالمركز فاتكلت عليه، حتى في تحليل واقع بلدانها، بل هو أيضاً أنها أهملت تراث بلادها وغلبت بشكل تعسفي جوانب في الحياة والنشاط على جوانب أخرى، وغلبت الجانب الاجتماعي على الجانب الوطني والقومي، وأهملت الحاجة إلى البحث والاجتهاد وإلى قراءة الماركسية في نصوصها، كما اكتفت بالماركسية كما وصلت إليها، ولم تبذل الجهد الكافي للأخذ من كل النظريات، ومن كل التجارب ما يمكن أن يسهم في إثراء فكرها وإنارة الطريق أمامها. المصدر السابق. ص ١٣٨.

²³⁸ علي جرادات. (١٩٩٩): اليسار الفلسطيني هزيمة الديمقراطية، الطبعة الأولى. مواطن رام الله. ص ١٢.

²³⁹ أحمد عبد الرحمن. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

وصحيح أن للأزمة جذورها الموضوعية، لكن انعكاس الموضوع في وعي الذات كان مشوهاً ونمطياً، فالذات لم تلامس جوهر الموضوعي، لم تحلله، ولم تتعامل معه كواقع حي متغير، بل تعاملت معه كمقولات ثابتة، إذ كان يكفيها نصوص أيديولوجية هي بنت تاريخها وظروفها، كما يمكن إغناؤها بالتجربة وتأويلها إلى نصوص جديدة حية متفاعلة مع الواقع الحي وعاكسة له في ضوء حركته وتغيره المستمر^{٢٤٠}.

ويمكن تلمس الأزمة في كافة مجالات الحياة السياسية في استطلاعات الرأي العام التي وإن خيمت الشكوك على مصداقيتها ودقتها العلمية، فإن نتائج الانتخابات العامة والجزئية والمحلية وانتخابات المجالس الطلابية والروابط والاتحادات كفيلاً بإظهار الأزمة، والأكثر من ذلك جلاءً هو حضور اليسار أو غيابه في الفعل السياسي اليومي وفي التأثير على عملية صنع القرار الوطني، وتراجع قدرته على طرح البدائل وحشد القوى السياسية والاجتماعية وراء برامجه^{٢٤١}.

ويرجع كثير من المحللين أبرز العوامل التي تعيق توسيع وحضور وتأثير اليسار الفلسطيني إلى حالة التشرذم والانقسام، التي ما انفك يعاني منها منذ تبلور الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة في النصف الثاني من الستينات، وهذه العوامل لا تشكل تفسيراً لهذه الحالة بقدر ما تشكل تمييزاً لها، فتباين الظروف الاجتماعية والاقتصادية لتجمعات الشعب الفلسطيني الرئيسية وغياب مجتمعه الموحد ودولته المستقلة ليست عوامل تحتم تعدد قوى اليسار أو بقائها في حالة تضافر أو تباعد.

وتعود المشكلة كذلك بالأساس إلى أسباب ذاتية تخص بنية فصائل وقوى اليسار الفكرية والتنظيمية النازعة نحو النخبوية، وتخص قدرته على صياغة سياسات ومواقف تنطلق من تقدير دقيق لموازن القوى من جانب، وتضع المصلحة الوطنية العليا، وتحديداً في مرحلة التحرر الوطني في المقام الأول والأخير من جانب ثان^{٢٤٢}، إلى جانب ارتكاب اليسار الفلسطيني العديد من الأخطاء على الصعيد الداخلي مما جعل أزمته مزمنة ويبدو أن الشفاء منها يحتاج إلى معجزة، سواء أكانت على صعيد الفكر أو البنى التنظيمية الداخلية أو على صعيد الممارسة^{٢٤٣}.

ومن جهة أخرى فإن أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية تعد جزء من أزمة الحركة القومية العربية

²⁴⁰علي جرادات. (١٩٩٩). ص ص ١٣-١٤.

²⁴¹نهاد أبو غوش. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "أزمة اليسار الفلسطيني والاستحقاقات المقبلة"، تسامح. ١٠. ص ١٠٣.

²⁴²جميل هلال. (١٩٩٢): "معضلات توحيد اليسار الفلسطيني". صوت الوطن. ٣٧. ص ٢١.

²⁴³أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥). ص ١٥.

لأن الشعب الفلسطيني هو جزء من الأمة العربية والقضية الفلسطينية هي القضية المركزية لهذه الأمة، لذلك فإن كل ما يقال في الأزمة التي تعانيها الحركة الوطنية الفلسطينية، هو إما نتاج أو سبب للأزمة التي تعانيها الحركة القومية ككل^{٢٤٤}، وأسباب إخفاق اليسار رغم خصوصية الوضع الفلسطيني لا تختلف كثيراً عن الوضع العربي عامة[♦]، فواقعا العربي الراهن تسيطر عليه وتتحكم بتطوره معضلات وظاهرات^{♦♦}، فيما سيظل الفكر الماركسي في نصوصه الأصلية وفي الاجتهادات المختلفة لتجديده وتطويره، وإغناؤه، محور عملية التغيير وحركة التقدم في العالم ولعقود طويلة ولأجيال عديدة^{٢٤٥}:

ويتفق الكثيرون على أن اليسار الفلسطيني يعاني من أزمة حقيقية، تزداد عمقاً وقوة من يوم لآخر، وتعود هذه الأزمة إلى حالة التراجع والضعف والخلل البنيوي في الحركة الوطنية الفلسطينية التي هي امتداد لأزمة القوى الوطنية واليسارية والقومية في العالم العربي.

وتتدرج أسباب الأزمة على النحو التالي:

أولاً: الأسباب الموضوعية

ثانياً: الأسباب الفكرية

ثالثاً: الأسباب البنيوية

رابعاً: الأسباب السياسية

خامساً: الأسباب الاجتماعية

²⁴⁴ شفيق الحوت. (١٩٩٦): "أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية". المستقبل العربي. ٢١. ص ٢٩.

- ♦ ويرى بعض المحللين أن الأسباب والعوامل التي أدت إلى إخفاق وقصور اليسار في العالم العربي هي التالية:
 - الولادة غير الطبيعية للأحزاب الشيوعية وما رافقها من مشكلة الارتهاق إلى الماركسية اللينينية السوفيتية وما عانتها هذه الأحزاب من ضعف في التقاليد الديمقراطية في حياتها الحزبية الداخلية وانعكاس ذلك سلباً على بروز إبداع في الإنتاج الفكري.
 - ضعف وهشاشة العامل الاجتماعي للماركسية في العالم العربي "البروليتاريا" الصناعية" وذلك بسبب ضعف قطاع التصنيع ومحدودية عدد العاملين في القطاع الصناعي وتدني مستوى وعي الطبقة العاملة.
 - واقع التخلف الفكري في العالم العربي المرتبط أصلاً بالمستوى المتخلف لتطور البلدان التي تعاني بدرجات متفاوتة من مختلف أنواع التخلف السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي.
 - ظروف القمع الوحشي الذي تعرضت له الأحزاب اليسارية والشيوعية خاصة في سائر البلدان العربية، إلى جانب النبذ الديني والاجتماعي الذي استهدف الماركسيين العرب وساهم في عزلتهم، خاصة وان الماركسية انتقلت من أوروبا ولم تكن نتاجاً ولا جزء من منظومتنا الفكرية العربية والإسلامية، للمزيد أنظر. حليم بركات. (٢٠٠٠): المجتمع العربي في القرن العشرين.. بحث في تغير الأحوال والعلاقات، الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ص ص ٦١٤-٦٢٢.

♦♦ الظاهرات والمعضلات التي يحفل بها الواقع العربي هي:

- بلداننا العربية هشة ضعيفة البلدان تهزها الأحداث الصغيرة والكبيرة وتهدها بالتصدع الانقسامات الاثنية والدينية ذات الجذور العميقة لم تحاول الدول العربية إيجاد حلول أو مشاريع حلول مستقبلية لها.
- نظام الحكم في البلدان العربية، نظام شمولي، فلا وجود فيه لمؤسسات أهلية ديمقراطية.
- علاقة هذه البلدان فيما بينها ومع محيطها القومي غير طبيعية.
- تراجع دور الأحزاب والحركات السياسية وتراجع دور الفكر والثقافة. للمزيد أنظر، كريم مروة. "أزمة الفكر السياسي العربي.. أزمة تطور وأزمة وعي". (شباط ١٩٩٥): الطريق. ١. ص ص ٣١-٣٦.

²⁴⁵ المصدر نفسه. ص ٣٣.

أولاً: الأسباب الموضوعية

يعتبر تغير الواقع الدولي الجديد من أبرز مظاهر التغيرات الحادة أمام الحركة السياسية الفلسطينية، حيث شهد العالم تغيراً حاسماً في مركباته وارتباطاته وعلاقاته الجديدة خلخلت ذلك المناخ، الذي كانت تجري في ظلّه عملية النضال الوطني الفلسطيني، وارتباطاً بتجربة التحرر الوطني العالمية وقوى الثورة المساندة منها، هذا الواقع الذي اختفت فيه الملامح السابقة للصراع والتحالفات الدولية على أساس المعسكرين والذي انتهى إلى تعزيز مكانة الولايات المتحدة الأميركية وغيرها من البلدان الإمبريالية دون أن تتغير فيه الطبيعة العدوانية الاستغلالية لها، يطرح ضرورات جديدة أمام إعادة نظر م.ت.ف في خارطة الدولية وفي ظل الظروف التي يجري في ظلها نضال الحركة الفلسطينية وشكل تحالفاتها ومفاهيمها المختلفة²⁴⁶.

وبعد أن دخلنا القرن الحادي والعشرين، بوقائع عاصفة من التغيرات الجذرية الناجمة عن تطور الرأسمالية والظواهر الجديدة داخلها التي ترافقت مع الثورة العلمية التكنولوجية، وكذلك الظواهر التي أطلقتها التبدلات السياسية والاقتصادية والفكرية التي جرت في الاتحاد السوفيتي، وما رافقها من انهيارات في بلدان أوروبا الشرقية، وما نجم عنها من وقائع جديدة في خريطة الوضع العالمي وطبيعة العلاقات الدولية وعلى رأس قائمة التغيرات ما وقع في مسألتين جوهريتين: الأيديولوجيا والديمقراطية♦:

²⁴⁶يسام الصالحي. (١٩٩٢): "الواقع الجديد والحاجة إلى رؤية استراتيجية جديدة". صوت الوطن. ٣٧. ص ص ٤-١٢.

♦ تمر الحركة الثورية العالمية بأزمة عميقة لم تشهد لها مثيلاً من قبل، أزمة تعصف بجميع مكونات الحركة من قوى تنتمي إلى حركة الطبقة العاملة أو قوى ديمقراطية ثورية معادية للإمبريالية والأزمة الراهنة هي أكثر عمقاً وشمولاً من تلك التي عانت منها الحركة العمالية العالمية في أواخر القرن الماضي والقرن العشرين والتي أفضت إلى انهيار الأممية الثانية وانشطار الحركة العمالية إلى تيارين عالميين، فإذا كانت أزمة مطلع القرن قد ترافقت مع وربما كانت حصيلة، تغييرات عاصفة في بنية الرأسمالية العالمية التي تمثلت بدخولها مرحلة الإمبريالية، فإن الأزمة الراهنة تنبثق من التحولات الناجمة عن تلازم عاملين: التغيير العميق في بنية الرأسمالية المعاصرة والذي يشكل منعطفاً جديداً في مسار تطورها التاريخي من جهة، والانهيار الكارثي الذي آلت إليه العديد من النظم التي قدمت نفسها بصفتها "الاشتراكية المحققة" أو الاشتراكية القائمة بالفعل" من جهة أخرى، وإذا أضفنا إلى ذلك الأزمة التي تعاني منها منذ الستينات حركة التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث، بفعل التدهور اليميني المضطرب لبرجوازياتها الفائزة وتعاطف سماتها الكومبرادورية واندماجها المتجدد من موقع التبعية في النظام الرأسمالي العالمي، يتبين لنا لماذا تولد الأزمة هذه الدرجة العالية من البلبلة والارتباك الفكري، وفقدان البوصلة السياسي، والتفكك والتشرذم التنظيمي والشلل النضالي الذي أصيبت به العديد من القوى الثورية، الأمر الذي أدى إلى تلاشي بعضها أو تفتتها أو انتقالها من موقع طبقي إلى آخر. ولا شك أن العامل الحاسم الذي أدى إلى تفاقم حدة الأزمة كان انهيار "المنظومة الاشتراكية" وتفكك الإتحاد السوفيتي وانتصار الردة الرأسمالية في معظم بلدان شرقي أوروبا، وبخاصة روسيا، ذلك أن هذا الزلزال غير وجه العالم، أدى إلى تحول نوعي في ميزان القوة الدولي الناجم عن نهاية الحرب الباردة بانتصار التحالف الإمبريالي وانهيار التوازن الدولي الذي عمر أكثر من نصف قرن منذ

١. الأيديولوجيا^{٢٤٨}، حيث يشكل "المنهج المادي الجدلي التاريخي" في دراسة الواقع الاجتماعي وتغييره - أساس الفكر الماركسي العلمي، وبسبب من طابعه العلمي بالذات، فإنه لا يمكن اعتبار الماركسية بناءً مكتملاً وناجراً بشكل نهائي، بل هي فكر تاريخي ونسبي ينطبق عليه ما كشفته الماركسية نفسها من قوانين تحكم الفكر وتطوره، وهي بالضرورة تخضع للتطور الحي الذي يدفعها إلى تجاوز ما يشيخ منها أو يفقد طابعه العلمي.

ولم تعمل أحزاب اليسار الفلسطيني، وفق قناعة بأن التغيير الثوري في مجتمعنا يتم في مجرى الصراع الوطني والطبقي الذي يتتابع ويتسع ويتعمق بأشكال جديدة كان عليها دائماً الكشف عنها وتحديدها، وبدلاً من ذلك دخلت أحزاب وفصائل اليسار صراعاً ضيق الأفق حول الاستحواذ على تمثيل الطبقة العاملة الفلسطينية، وتحديدًا في النصف الثاني من السبعينات، ولم تأخذ تلك الفصائل بأن الماركسية بحكم طابعها العلمي لا يجب أن تحتكرها فئة أو طبقة أو حزب بل هي ملك البشرية كلها، ولها تفسير فئوي ضيق يعتبر الماركسية فكراً للطبقة العاملة دون غيرها مناف للجوهر العلمي الإنساني للماركسية نفسها التي لم تعتبر الطبقة العاملة الأكثر ثورية إلا لأن مشروعها بالتححر هو مشروع تحرير الإنسانية بأكملها، وبسبب ضيق الأفق دخلت أحزابنا صراعاً على موقع المرجعية النظرية الوحيدة لتفسير النظرية وفرض هذا التفسير على الأفراد والجماعات، وعلى الفكر عموماً وعلى موقع الحظوة لدى موسكو، فالصيغة السوفيتية للماركسية التي سادت في الفكر الماركسي كنموذج في بناء الدولة والمجتمع تحولت إلى نوع من أيديولوجيا تبريرية لهذه النماذج ولممارساتها ففقدت الكثير من علميتها وقابليتها للموسسة للتطور، وطبعت هذه الصيغة النشاط النظري لأحزابنا التي عانت على هذا الصعيد من الجمود العقائدي المتأني من تقليد النموذج وتحريم الاجتهاد خارج النص، وأقصيت بتهمة التحريفية كل محاولة للتجديد النظري عموماً خارج

انتهاء الحرب العالمية الثانية، هذا الخلل في توازن القوى عزز القدرات العدوانية للإمبريالية العالمية، وبخاصة الأميركية، وأطلق العنان لمحاولاتها الهادفة إلى فرض "نظام دولي جديد" يكرس هيمنتها، وأضعف على نحو ملموس من مواقع الحركة الثورية العالمية، وشكل تهديداً خطيراً للمنجزات التي أحرزها عمال العالم وشعبه على مدى القرن، وفضلاً عن انهيار الاتحاد السوفيتي بعد سبعين عاماً من البناء الاشتراكي طرح التساؤل المقدمات النظرية التي ارتكز إليها المشروع الاشتراكي المعاصر، وعصف بالعديد من مسلماته، وألقى ظلالاً من الشك حول جدواه وواقعيته وآفاقه، وساهم بالتالي في تعميق البلبلية الفكرية والتدهور المعنوي في صفوف اليسار، وضاعف من مفهوم البلبلية اشتداد زخم الهجوم الأيديولوجي المكثف الذي شنته ماكينات الدعاية الإمبريالية والرجعية مستغلة الانهيار فيما كان يسمى بالمنظومة الاشتراكية لتعزيز هيمنتها على الطبقة العاملة والشعوب المقهورة وتدعيمها بهيمنة فكرية.

^{٢٤٧} يمكن الرجوع إلى: الإعلام المركزي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٤): حول الأزمة في الحركة الثورية العالمية واتجاهات التغيير في عالما المعاصر. المؤتمر الوطني الثالث. وكذلك ماهر الشريف. (١٩٩٣): "أفكار عن الماركسية وبعض مظاهر أزمتها". صوت الوطن. ٤٥. ص ص ٦٤-٦٨.

²⁴⁸ مازن سعادة. (١٩٩٨): المعوقات الذاتية والداخلية لتجديد الأحزاب القديمة. استحالة تجديد التاريخ. في (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. مؤسسة مواطن، رام الله. ص ص ١٩٤-١٩٩.

الأطر الرسمية للأحزاب.

وتبلور اليسار الفلسطيني الحديث كتيار سياسي في مجتمعنا - في مرحلة نهوض حركات التحرر العالمية اليسارية في معظمها حققت انتصارات هامة في جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا- وحظي باستجابة من الأوساط في الطبقة الوسطى والمتقنين الفلسطينيين ويساريين عرب، وقد لعب الشرط الموضوعي دوراً مواتياً لانطلاقة اليسار وتميزه في مسار الثورة الفلسطينية، إلا أن انطلاخته كانت محفوفة بالصعوبات والعقبات، فالصيغة المحققة من اليسار خسرت السباق أمام القوى الوطنية الأخرى وكشفت عن خلل كبير في الأونة الأخيرة جعلها غير قابلة للاستمرار، وكشفت الأزمة في السنوات الأخيرة هذا الواقع المرير، وأكدت عمق الأزمة التي تعانيها تلك الأحزاب والفصائل في جميع المجالات مما جعلها أزمة عامة وشاملة وجذرية، وأدى تفاقمها إلى انهيارها تقريباً ، ومن الواضح أن مظاهر الأزمة لم تكن مفتعلة ولا يمكن تحميل المرحلة السياسية الجديدة مسؤولية الخلل الحاصل في الأحزاب.

وقد كشف انهيار الاتحاد السوفييتي السابق عن هذه الأزمة بعمقها وشموليتها وحدتها، وهو أمر جعل بنية أحزاب اليسار قوة طاردة لآلاف الكوادر والقيادات، عدا عن إنفكاك القواعد العريضة للييسار في الشارع السياسي الفلسطيني بسبب عدم وجود بديل جاهز، واليسار لم يفقد مصداقيته الشعبية فقط، بل يفقد كل يوم دوره الطليعي والفعلي في المجتمع، الأمر الذي وضعه في تشكيلاته القائمة أمام طريق مغلق، طريق التفتت والتآكل على طريق التلاشي والاضمحلال بالضباب كمفهوم اضمحلال الدولة في الماركسية، ففي هذه المرحلة يموت القديم ولكن الجديد لم يولد بعد.

٢. الديمقراطية^{٢٤٩}، اعتادت أحزاب اليسار الفلسطينية على مهاجمة الفهم البرجوازي للديمقراطية الذي يعطي الأولوية لأشكال من الديمقراطية السياسية تقوم في جوهرها على المساواة الحقوقية للمواطنين، وعلى مبدأ الانتخابات الحرة وضمان التعددية وحرية التعبير والمعارضة ومفهوم حقوق الإنسان الفرد في المجتمع، واعتادت الأحزاب على القول بأن المفهوم البرجوازي للديمقراطية يفصل بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية لصالح التركيز على الأولى، واعتادت القول بأن هذا المفهوم يضيف على الديمقراطية البرجوازية طابعاً طبقياً فئوياً، وأن حدود الديمقراطية ومضمون مبادئ المساواة وممارساتها في المجتمع الرأسمالي تقررهما وتحددهما في الأصل مصالح الرأسمالية، وهذا الواقع هو أساس اللامساواة الاجتماعية والسياسية في المجتمع الرأسمالي، الأمر الذي يفرغ الديمقراطية من محتواها الفعلي، كما اندفعت أحزابنا إلى تكريس مفهوم أحادي للديمقراطية يفصل بين الديمقراطيتين السياسية والاجتماعية، وأقامت تعارضاً مصطنعاً بينهما لصالح فهم أحادي للديمقراطية يقوم على تقديس الديمقراطية الاجتماعية، ولقد قدمت التجربة الاشتراكية نموذجاً فاشلاً وبائساً عن الديمقراطية تحت ذريعة أولوية الديمقراطية الاجتماعية على الديمقراطية السياسية فهي قللت من أهمية الحريات الفردية والعامّة، ومن أهمية الحريات السياسية، ومن دور الانتظام العام في المجتمع لقوانين وتشريعات تنطلق من المساواة التامة في الحقوق والواجبات، وكان اضطهاد الحريات الفردية سمة مميزة

²⁴⁹ المصدر نفسه. ص ١٩٤-١٩٩.

◆ يمكن فهم الديمقراطية من الزوايا التالية:

- تجدر الإشارة إلى اليسار قطع خطوات كبيرة في مرحلة نموه وصعوده في بناء حركات سياسية وأطر ديمقراطية محيطة، ضمت عشرات الآلاف واستوعبت وأسست وبنيت آلاف الكادرات من نساء ورجال انخرطوا في القضايا العامة، ويعد هذا منجز يساري ديمقراطي أساسي لا ينبغي القفز عنه في مرحلة تحلل اليسار وتهميشه في مرحلة أوصلو وبعدها. وكان لليسار دوره القيادي في نشر ثقافة ومقاربات علمية جديدة، حيث يلاحظ أن غالبية المثقفين، الأكاديميين، الإعلاميين، الشعراء والأدباء تخرجوا من المدرسة اليسارية ونشروا إبداعاتهم في أوساط الشعب في مجتمع تقليدي، الأمر الذي لا ينبغي التقليل من أهميته. كما برز اليسار أيضاً مدافع عن قطاعات لا يستهان بها من العمال، النساء، الطلبة، إلى جانب سعيه من أجل ديمقراطية النظام السياسي الفلسطيني متجاوزاً الفئوية والتفرد، وكذلك رؤية اليسار الداعي للتنمية والإنتاجية وعدم تبديد أموال الصمود، الأمر الذي ينطبق في مرحلة أوصلو، حيث اختزال الإنفاق المالي وتوجيه القطاع الزراعي والصناعي الوجهة الصحيحة، إلا أن اليسار لم يكن في موقع قرار لينفذ ذلك.
- من جهة ثانية اعترت مسيرة اليسار إخلالات جدية في مسألة الديمقراطية حيث ثبت بالملحوس عجز قيادته في مرحلة التفكك بعد أوصلو وتشبيهاً في مناصبها ورفضها التنحي وتجديد القيادة وإطلاق أيدي الكادرات الذكية، وتراجع الحوار الداخلي، كان ذلك عامل حاسم في انحسار وضعف وتراجع اليسار، وهو معلم مناقض للديمقراطية،
- يعاني اليسار من أزمة بنيوية شاملة أفقدته وظيفته التاريخية ودوره الثقافي والنضالي والتأطيري والتعبوي إلا في أضيق الحدود وهامشيتها. المصدر: أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

لنتلك الأنظمة ولم يقتصر على القوى المعارضة بل تعداه إلى الرأي داخل الحزب، وداخل المنظمات الجماهيرية والاجتماعية التي تحولت كلها إلى منظمات رسمية مهمتها الدفاع عن الموقف السياسي للحزب.

وعلى أساس هذا النموذج أخذت الأحزاب الفلسطينية بذات التوجه واندفعت في قمع الرأي المخالف وفرض الرأي الرسمي ليس فقط على المنظمات النقابية الجماهيرية وجمهور العضوية الحزبية بل أيضاً على الباحثين والمتقنين والفنانين مما أدى إلى انفصام بين قيادة هذه الأحزاب ومنظماتها التي سرعان ما انفكت من أسر العلاقات غير الديمقراطية وتلاشت عند أول أزمة، مما أظهر هشاشة تلك الأحزاب وبنيتها وكذلك منظماتها وأطرها الديمقراطية.

لقد تعاطى اليسار مع الأيديولوجيا باعتبارها وصفاً سحرية لعمليات التغيير وكأنها "نموذج آخر" مبني على حتمية انهيار الرأسمالية، وانتصار الاشتراكية، هناك مبالغة في أزمة النظام الرأسمالي، والحديث عن استحالة تجاوز الأزمة، مع إخفاء لأزمة الفكر المرتبطة بالنظرية، لا يوجد نقد أو تصويب باتجاه الاستفادة من هذا الواقع أو فهمه أو تفسيره.

ثانياً: الأسباب الفكرية

يرى بعض المحللين والمفكرين أن جوهر الأزمة التي يعاني منها اليسار الفلسطيني هي أزمة فكرية، وهي جزء من أزمة اليسار على الصعيد الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومته الاشتراكية²⁵⁰، وما تبع ذلك من آثار على قوى اليسار وطرح أسئلة حول صوابية الفكر والنظرية الماركسية الشيوعية^{*}، هذا الانهيار أدخل الأحزاب اليسارية والشيوعية في موجه من الجدل حول الهوية والأيديولوجية، وأنعش نزعة التجديد الانتهازية في صفوفها التي راحت تبحث عن أيديولوجية جديدة تخلط فيها بين أفكار الليبرالية، الاشتراكية، الإصلاحية والماركسية، والعديد من

²⁵⁰ لمعرفة أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي، أنظر: كريم مروة. (شباط ٢٠٠٠): أين الخطأ في التجربة الاشتراكية المنهارة" الطريق. ١. ص ٣٢-٥. وأيضاً، كريم مروة. (صيف ٢٠٠١): "هل للاشتراكية مستقبل في بلداننا العربية وفي العالم". النهج ٦٣. ص ١٧-٦.

* كان لهذه الأزمة تأثيرها ليس فقط على التماسك الأيديولوجي لليسار، وإنما على الوحدة الفكرية للحركة الشيوعية العالمية، ولكافة الاتجاهات التي تتبنى الماركسية، حيث طرحت تساؤلات حول ما إذا كان الخلل لذي وقع في الاتحاد السوفيتي أو المنظومة يتناول النظرية أم التطبيق، وأياً كان الخلل فقد خلق درجة عالية من العملية الفكرية على الصعيد العالمي، كما أحدث تأثيراً على ميزان القوى الدولي، استبدت فيه الولايات المتحدة العالم جميعه، وأول ما بطشت به كان اليسار من حصار وخنق إلى حد الموت، الذي كان له انعكاساته على القدرات المادية للعديد من الفرق والقوى اليسارية وقدراتها الجماهيرية، وعلى الدور الذي تلعبه على الساحة السياسية الرسمية، مما أثر بشكل كبير على مصداقيتها أمام جماهيرها ليس على المستوى الفلسطيني، وإنما على المستوى العالمي العربي والإسلامي. قيس عبد الكريم. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

هذه الأحزاب أمعنت في التخبط حتى غادرت مواقع الأيديولوجية والماركسية^{٢٥١}.

لقد وقع اليسار الفلسطيني أسير التقليد لتجارب مجتمعات أخرى حققت نجاحات في مناطق معينة في العالم، واستخدمت مصطلحات عبرت عن ذلك التقليد ومقولات جامدة اشتقت لحلول في مجتمعات أخرى، وناسبت ظروفها توفراً فيها شروط حلول ومصطلحات ومقولات بدت غريبة عن واقع مختلف، وهو الواقع الفلسطيني، وبدت الحالة أشبه بحالة "بيغاوية" بعيدة عن الابتداع تحاول صب مقولات جاهزة لماركس ولينين، وإسقاطها على الواقع الفلسطيني الذي بدا مختلفاً عن أي تجربة أخرى^{٢٥٢}.

ويمتلك اليسار أدوات تحليل جامدة منبثقة عن المنعطفات النظرية الجامدة للفكر نفسه الذي أثبتت التجربة عدم القدرة - بالشكل الذي كان عليه - على الصمود أمام امتحان الزمن والصراعات الأيديولوجية في العالم، وتم التعاطي مع التطور الذي وقع باعتباره مجرد انحراف يميني، وتواطؤ بين البرجوازية الوطنية المهزومة واللينينية وبين القوى الاستعمارية، وتم التقليل من انعكاسات ودلالات انهيار المعسكر الاشتراكي المتمثل بالاتحاد السوفيتي ودلالات الانهيار بالنسبة للنظريات الأيديولوجية التي بني عليها الاتحاد السوفيتي^{٢٥٣}.

ويعتقد المحللون إن تطبيق التجربة الماركسية، أو التجربة الماوية وطرح مقولات نظرية جاهزة* مثل: ديكتاتورية، البروليتاريا، وحكم الطبقة العاملة في واقع ليس صناعياً كان بحاجة إلى إعادة نظر، حيث إن الصراع الرئيس الذي تخوضه الطبقة العاملة الفلسطينية هو صراع ضد دولة الاحتلال، وليس ضد النخبة الوطنية المالكة لأدوات الإنتاج، فالصراع مع دولة الاحتلال "الجهة المالكة لأدوات الإنتاج" لا يحمل بعده الطبقي الطبيعي فحسب، بل يحمل بعد الوجود والهوية^{٢٥٤}.

²⁵¹ أحمد سعادات. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²⁵² أكرم عطالله. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "أزمة اليسار الفلسطيني، محطة عابرة.. أم بداية للنهاية". مصدر سبق ذكره. ص ١٥.

²⁵³ ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

* أظهرت تجربة الحركة الفكرية لليسار العالمي ثغرات سواء فيما يتعلق بنظرية البروليتاريا وصراع الطبقات أو القضايا المتعلقة بالحمية التاريخية ومبدأ المادية التاريخية والتي أصبح معلوماً على نطاق واسع طبيعة الخلل البنوي الموجود فيها فإن هناك إشكالية كبرى تتعلق بنهج إدارة العمل المؤسساتي الداخلي لليسار، من غياب شبه تام للديمقراطية الداخلية وظاهرة تقديم طروحات زائفة بديلة للديمقراطية مثل "نظرية المركزية الديمقراطية" أدى إلى حالة من الشلل الداخلي وظهور ظواهر التفرد القيادي والزعيم الفرد، وتراجع القدرة على الإبداع والخلق وإعطاء أجوبة واقعية لتحديات مركبة وبالتالي تراجع قدرة هذا اليسار عن تقديم حلول برنامجية لأوضاع وتحديات معقدة. المصدر السابق.

²⁵⁴ أكرم عطالله. (تشرين أول، ٢٠٠٥). مصدر سبق ذكره. ص ١٥.

ولعل هذا الجانب ترك أثره على صعيد الممارسة السياسية اليومية^{٢٥٥}، فلم يؤد الالتزام بالماركسية- اللينينية من قبل الفصائل اليسارية الفلسطينية إلى توافق في المواقف والسياسة العملية، حيث شهدنا أشد التباين بين مواقف فصائل اليسار الفلسطيني خلال فترة السبعينات والثمانينات حول (البرنامج المرحلي وشروط استعادة منظمة التحرير) أي خلال التزام هذه الفصائل بالماركسية - اللينينية، ولهذا فسواء بقي الالتزام بالماركسية - اللينينية كأيدولوجية شمولية أو تم اعتماد الماركسية كمنهج لتحليل الواقع الملموس واستنباط وسائل تغييره، فليس من الصعب أن يتم التوصل إلى اتفاق حول هذا الجانب أو على الأقل إبقاء باب الحوار مفتوحاً حول القضايا التي يطرحها و إيجاد صيغ ملائمة^{*}، فالقوى اليسارية تعاني من فقدان الأيدولوجية والوزن الشعبي والتنظيمي الذي يؤمن لها حضوراً قوياً وفاعلاً، لم تتجح في توحيد صفوفها أو تمييز ذاتها ببرنامج سياسي اجتماعي مختلف، لذلك فهي تعاني أكثر من الآخرين في إطار الأزمة العامة التي تعصف بالمشروع الوطني وتعصف بالأطر التي تحمله وتعبر عنه^{٢٥٦}.

ومن زاوية أخرى فإن كثيراً من فرق اليسار لم تتبنَ موقفاً علمانياً واضحاً تجاه عدد من القضايا^{٢٥٧}: كفصل الدين عن الدولة، قانون الأحوال الشخصية، مساواة الرجل بالمرأة، قانون الزواج المدني، وقضايا أخرى، كما أنه لا يوجد هناك ما يميز اليسار عن القوى الإسلامية والقومية في أرائها وتوجهاتها، في الوقت الذي فيه مجتمعنا محافظ يفرض على اليسار أن يبنى أيدولوجية أقرب لفكر الجماهير، الأمر الذي لم يميز اليسار عن فتح أو التيار الإسلامي^{**}، كما أن اليسار لم يستطع أن يقدم فكره الخاص في قراءة وتحليل الواقع الفلسطيني وتقديم الأجوبة الصحيحة على أسئلة هذه الواقع، حيث لم يعد إنتاج الفكر السياسي والاجتماعي بما يتجاوز الكلاسيكيات التي أنتجها الفكر اليساري عموماً، كما أن بعض صفات اليسار كانت أقرب إلى النقل الميكانيكي لمواقف الآخرين وبخاصة الأحزاب الشيوعية الفائزة، والحزب الشيوعي على وجه الخصوص، ولم يكن الوضع التنظيمي لأحزاب اليسار بأفضل حال، فالهياكل والبنى والآليات الناضجة للعلاقات داخل هذه الأحزاب تتطلب المراجعة والتطوير بما يتلاءم وعصر التكنولوجيا الذي أشاخ العديد من

²⁵⁵ جميل هلال (١٩٩٢): "معضلات توحيد اليسار الفلسطيني". صوت الوطن. ٣٧. ص ٢٢.

* قد يكون احد أشكالها تأسيس مجلة تشرف عليها فصائل وقوى اليسار الفلسطيني، تهدف إلى اغناء الحوار حول القضايا الفكرية والنظرية وتشجيع البحث حول الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للشعب الفلسطيني في تجمعاته الرئيسية.

²⁵⁶ طلال عوكل. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²⁵⁷ سليم تماري/ مدير مؤسسة الدراسات المقدسية (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): مقابلة. اليسار الفلسطيني. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، البيرة.

** موقف اليسار في عدد من القضايا لا يختلف عن موقف حركة فتح، فأيدولوجيتهم لا تختلف عن فتح، فلماذا سيصوت الناس للجبهة الشعبية أو للديمقراطية أو لحزب الشعب، إذا كان الحزب الحاكم يوفر لهم فرصة عمل أو لقمة عيش.

اليسار الفلسطيني هم "تلاميذ كسالى" للمدرسة الفكرية الماركسية استخدموا النظرية دون تحليل أو نقد، حيث لم ينعكس امتلاكهم لنظرية ذات منهج جدلي على تحليلهم للواقع أو على بلورة خط فكري أو برامج تفسر الواقع الطبقي للمجتمع، فهم لم يقدموا وصفاً للبرجوازية، أو للطبقة العاملة، وغيرها، كما أنهم لم يستوعبوا النظرية ولم يستفيدوا منها في الواقع الفلسطيني المعاش، ولعل القول الشهير " إذا أمطرت السماء في موسكو، رفعوا الشماسي في البلاد العربية" خير دليل على ذلك، وهم لم يستفيدوا من نظرية ذات فكر سياسي تقدمي علماني تنويري، وينقلوا هذا الفكر أو يستفيدوا منه في الواقع الفلسطيني.

ثالثاً: الأسباب البنيوية

تغلب على اليسار الفلسطيني بيروقراطية متسلطة لا تسمح بحرية التعبير أو الاختلاف أو النقد، فالديمقراطية غير متوفرة، حيث تحل اللجنة المركزية بدلاً عن الحزب، والمكتب السياسي بدلاً عن اللجنة المركزية، والأمين العام بدلاً عن المكتب السياسي، كما أن البنية التنظيمية مقيدة بمركزية شديدة وتسلط للقيادات العليا مع غياب للحياة الحزبية الداخلية^{٢٥٩}.

وتعرض اليسار الفلسطيني لأزمات كثيرة استنزفت كوادراً مناضلة وصلبة من أطره التنظيمية والحزبية، معظمها خرج برغبته الشخصية نتيجة فقدان الممارسة الديمقراطية الفعلية واستئثار البعض بالسلطة، وعدم وجود إمكانية لمواصلة نضاله في صفوف اليسار، دون أن يكلف نفسه عناء تحليل الأسباب وللإستفادة منها وأخذ العبر ووضع المقترحات الكفيلة بالحد منها وكيفية التعامل معها^{٢٦٠}.

وكشفت نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية خاصة والمحلية التي شهدتها الساحة الفلسطينية على مدار العامين ٢٠٠٥م-٢٠٠٦م*، وبشكل جلي عن مدى التشتت الداخلي بين قوى اليسار، بل إن

²⁵⁸ جميل مجدلاوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²⁵⁹ مهدي عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²⁶⁰ محمد خضر قرش. (٢٠٠٥، ٧ تشرين أول): " اليسار الفلسطيني وفقدان البوصلة". القدس. ص ١٦.

* في الانتخابات الرئاسية أصرت كل من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وحزب الشعب على مرشحيهما مع إدراكهما التام لضآلة المؤيدين لكل من تلك الأحزاب على إنفراد والإصرار على التنافس على نفس الأصوات مع الفشل في التوحد أو التحالف مع مرشح ثالث من

هذه الانتخابات عززت حالة التنافر بين الأحزاب، كما أنها فشلت في كثير من الأحيان في إيجاد قواسم مشتركة تجعل اليسار قوة تبدو موحدة^{٢٦١}، إلى جانب تقصير الأحزاب في ترجمة جدول الأولويات وأساليب النضال والعمل بدءاً من التقصير في المقاومة المسلحة وبناء المؤسسات الاجتماعية والخدماتية، إلى الخطاب السياسي والعلاقة اليومية العريضة مع الجماهير في المدينة والقرية والمخيم^{٢٦٢}، ورغم كل ذلك فاليسار الفلسطيني معتد بنفسه كثيراً ومغوراً بقوته وتأثيره الجماهيري^{٢٦٣}.

وفيما يلي أسباب الأزمة بنيوياً:

١. الديمقراطية الداخلية

شكل نظام الديمقراطية الداخلية وبأشد أشكاله المركزية أحد العوامل الرئيسية التي ساهمت في استمرار تفتت اليسار الفلسطيني فقد دفع هذا النظام إلى قمع رأي الأقلية داخل التنظيم، ومنع بلورتها كما استخدم لحجب الحوار النزيه والموضوعي بين فصائل اليسار نفسها، حيث استخدم "الماركسية - اللينينية" من جانب والمركزية الديمقراطية من جانب آخر^{٢٦٤}، لادعاء كل تنظيم طليعيته وتمثيله الأوحد للطبقة العاملة الفلسطينية وتبخيس دور الأطراف اليسارية الأخرى والتشكيك في هويتها، وجرى بذلك حجب إمكانية السير في خطوات توحيدية معها.

من جهة أخرى، ساهم نظام المركزية الشديدة في الحياة التنظيمية لفصائل اليسار في تعميق الميل

اليسار وهو الدكتور مصطفى البرغوثي، وفي الانتخابات التشريعية لم تتحد قوى اليسار في حزب واحد، بل متنافرة، مما أدى إلى النتائج التي تم ذكرها في الفصل السابق، والانتخابات البلدية فشلت فيها قوى اليسار من تشكيل قوائم مشتركة بل تنافست فيما بينها لتعبر الانتخابات البلدية والرئاسية بشكل جلي عن أزمة عميقة بين قوى اليسار وتعتبر عن أزمة ثقة بينها.

²⁶¹ نايف حواتمة. (٢٠٠٦، ٤ شباط): " يطل أسباب فوز حماس وتراجع فتح واليسار الفلسطيني". القدس، ص ١، ٣٤.

²⁶² المصدر نفسه.

²⁶³ محمد قرش. (٢٠٠٥، ٧ تشرين أول)/ مصدر سبق ذكره.

* يقوم البناء الداخلي لقوى اليسار على قاعدة المركزية الديمقراطية، وفي ظل الظروف التي مرت بها وعاشتها قوى اليسار، أي غلبة التشكيل العسكري في الخارج (قوات عسكرية وميليشيا) والعمل السري ومتطلباته المركزية في الداخل، وتوزع الشعب الفلسطيني إلى تجمعات متباعدة ووجود قيادات كارزمية على رأس هذه القوى إجمالاً، تعززت المركزية على حساب الديمقراطية بمعناها الحقيقي في علاقات وممارسات قوى اليسار، وهذا أثر سلباً على قدرتها على تطوير الديمقراطية داخلها وفي علاقاتها مع الجماهير، كما ساهم في خلق حالات الانقسام الداخلي في صفوفها، وفي هجرة الكثير من الكوادر النشطة والفعالة للعمل المنظم، وتوجهها للعمل في المنظمات غير الحكومية، وبخاصة في الوطن المحتل، الأمر الذي ترتب عليه تأثيرات سلبية على دور اليسار عامة. انظر عبد الرحيم ملوح (١٩٩٨): " اليسار الفلسطيني التغيرات البنوية وأفاق التجديد مصدر سبق ذكره. ص ١٦٦.

نحو تجاهل دور الآخر أو تبخيسه، كما ولد مصالح تنظيمية ضيقة باتت تستثمر التهديد من التوجهات التوحيدية لقوى اليسار، كما شجعت هذه النظم المركزية واستخدام الماركسية - اللينينية كعقيدة شمولية جامدة (يتولى تفسيرها وفك رموزها نخبة قيادية في التنظيم) يجري تشريع المواقف السياسية باسمها واتهام من يختلف أو يخالفها بالزندقة والانحراف، شجعت نزعات الزعامة الفردية ومحورة التنظيم حول الأمين العام، بكل ما ترتب على هذا من آلية داخلية لعرقلة التقارب والتفاعل الجدي مع فصائل اليسار الأخرى وحجبت الحوار النزيه داخل كل فصيل حول ضرورات هذا التقارب و أشكاله. لكن المشكلة الأكبر التي تعطل وحدة فصائل اليسار الفلسطيني تبقى في غياب مشروع سياسي موحد يستند إلى الواقعية الوطنية والنهج الديمقراطي الإصلاحي، وهو أمر عطل وما زال القدرة على طرح المبادرات السياسية المشتركة والقدرة كذلك على التفاعل السريع مع المتغيرات وعلى مخاطبة الجمهور الفلسطيني بلغة ملموسة تنطلق من همومه الوطنية واليومية^{٢٦٤}.

ويرى بعض المحللين أن بعض القوى اليسارية الفلسطينية إذا تخلت عن نظام المركزية الديمقراطية ومواصلة البعض الآخر اعتماده، سيضع صعوبات أمام إيجاد صيغ متقدمة تسمح بحركة جادة توحيدية بين هذه الأحزاب، وتبقى المشكلة الأعدت تتمحور حول شكل الحزب (التنظيم) ومدى إمكانية تجاوز شكله "الهرمي" البيروقراطي إلى شكل ديمقراطي و جماهيري، حيث إن شكل التنظيم هو الذي يحدد مصدر الشرعية الحزبية (المؤتمر العام أم اللجنة المركزية أو أي هيئة منتخبة من المؤتمر الوطني لها هذه الصلاحية خلال الفترة بين مؤتمرين، أم المكتب السياسي) كما أن المشكلة تتصل بوتيرة وسعة العملية الديمقراطية من حيث انتخابات الهيئات والمحاسبة والرقابة من جانب، وحقوق الأقلية من جانب ثان، ومشاركة المنظمات المحلية في صياغة القرارات والتوجهات الحزبية وتحديداً فيما يخص مهامها وفق برنامج الحزب العام من جانب ثالث.

ورغم خطورة المتغيرات التي تشهدها الساحة الفلسطينية إلا أن قضايا رئيسية تبقى قضايا خلافية قد يصعب الاتفاق عليها خلال فترة قصيرة منها: حق الأقلية في التعبير عن رأيها، حول القضايا السياسية والتنظيمية الهامة وأشكال هذا التعبير تثبيت دورية تجديد الهيئات القيادية، الابتعاد عن محورة التنظيم حول الفرد، الإقرار بشرعية تعددية الأفكار والآراء داخل الحزب^{٢٦٥}.

من جهة أخرى يطرح اليسار الفلسطيني الديمقراطية كشعار مركزي في إطار المجتمع، لكنه لم

²⁶⁴ جميل هلال. (١٩٩٢): "معضلات توحيد اليسار". مصدر سبق ذكره. ص ٢٤.

²⁶⁵ المصدر نفسه. ص ٢٢-٢٣.

يستطع أن يكون ديمقراطياً في إطار التنظيم الخاص به ويرى المحللون أن ذلك يعود لأسباب معظمها تتعلق بالبنية الداخلية لكل تنظيم والذي سنتعرض له في النقطة القادمة ومن بين هذه الأسباب:^{٢٦٦}

١. القيادة تاريخية وطويلة الأمد.
٢. الأكثرية لأعضاء المكاتب السياسية لم تتغير.
٣. غياب التجديد أو الحياة الديمقراطية داخل الأحزاب.
٤. المؤتمرات التي عقدتها الأحزاب منذ تأسيسها^{٢٦٧} على الرغم من قلتها إلا أنها لم تبرز أي شيء مما يؤكد على سيطرة القيادة التاريخية على الوضع الداخلي للأحزاب.
٥. النقد الداخلي ممنوع.

٢. البنية الداخلية

على صعيد البنية الداخلية لفصائل اليسار فقد سادها الجمود، وخاصة القيادية منها، حيث لم تشهد العقود السابقة تغيرات كبيرة في مؤسساتها تتساوى مع حجم تدافع الأجيال داخل الحزب الواحد أو تتوازى مع التغيرات الطبيعية، وكتعبير صارخ عن الجمود القيادي لا يزال أمين عام أحد الأحزاب على رأسها منذ ما يقرب من أربعة عقود، وحزب آخر اضطر لإجراء تجديد في الأمانة العامة بسبب المرض وثالث بسبب الوفاة^{٢٦٨}.

لم تتمكن قوى اليسار من التعامل مع التطورات الحاصلة في المنطقة وفي وجود البنية القديمة ووسط الظروف الجديدة فهي غير قادرة على التصدي للمهمات الوطنية والاجتماعية الجديدة*، وإن

²⁶⁶ مهني عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²⁶⁷ حزب الشعب منذ تأسيسه عقد ٣ مؤتمرات، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ تأسيسها عقدت ٦ مؤتمرات، الجبهة الديمقراطية منذ تأسيسها عقدت ٧ مؤتمرات.

²⁶⁸ أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥) مصدر سبق ذكره. ص ١٧.

* يرى البعض أن الأحزاب القائمة لا تصلح لقيادة المرحلة الحالية، وإن استطاعت أن تساهم في قيادة المرحلة السابقة بكل سلبياتها وإيجابياتها لأسباب عدة منها:

- تغييب التربية الديمقراطية في الأحزاب والفصائل خلق جيلاً يعيش ازدواجية في ممارساته وأفكاره، حيث أنه يطالب بالديمقراطية في مكان ما ويصدرها ويمارس عكسها في الحزب الذي ينتمي إليه.
- لم تكن عملية اتخاذ القرار في هذه التنظيمات في يوم من الأيام مستندة إلى آليات واضحة قائمة على أسس موضوعية مبنية على دراسات وتوصيات من جهات العلاقة التي تعيش وتدرس وتقيم الواقع القائم بشكل موضوعي.
- إدارة العلاقة بين المواقع الجغرافية المختلفة للشعب الفلسطيني مليئة بالإشكاليات، إلى جانب أن إدارة الداخل والخارج شهدت حالات مد وجزر في مراحل النضال المختلفة وأضافت عقبة جديدة أمام قدرة التنظيمات والأحزاب الفلسطينية على الوصول إلى الواقع بشكل موضوعي سواء على صعيد اتخاذ القرارات أو التعامل مع الجماهير على المستويات المختلفة في عملية النضال.
- غياب التربية الوطنية في الأحزاب والتنظيمات واستبدالها بتربية فنوية ساهمت بخلق ظاهرة العشائرية السياسية.
- عجزها الواضح عن قيادة الجماهير الفلسطينية حتى أصبحت مقولة سبق الجماهير للقيادة في ابتكار أشكال النضال حقيقة في كثير من الوقائع، ولا يستطيع احد إنكارها.

كان البعض يخبأ خلف مقولة إن استمرار المهمات الوطنية يعني أن نؤجل كل تغيير حتى ننجز هذه المهمة الوطنية^{٢٦٩}.

وعلى صعيد آخر فإن استفحال روح الفئوية التنظيمية[♦] بدا ذلك واضحا كلما تقلص نصيب اليسار من الساحة الفلسطينية أفقياً من ناحية تعمقت النزعة الفئوية عمودياً لدى تنظيماته من جهة أخرى^{٢٧٠}.

ومن جهة أخرى فإن علاقة فصائل وقوى اليسار مع بعضها البعض ليست على ما يرام، فأهم قوتين محسوبتين على اليسار -كرؤية فكرية تستند للاشتراكية والماركسية اللينينية وتسعى لبناء حزب ماركسي لينيني تحرري- هما الجبهتين الشعبوية والديمقراطية اللتان كانتا تشكلان قبل الانتفاضة الأولى ما يقارب الثلث من الخارطة السياسية الفلسطينية، والفرق الأخرى من حزب الشعب الفلسطيني ونضال الشعب وفدا وغيرها يتراوح وزنها بين أقل من ١% -٢%^{♦♦}، وفي مرحلة ما بعد أوصلو تفهقرت القوتان الرئيسيتان كما الفرق الصغيرة، وتعمقت الخلافات بينها وسادت أجواء سلبية لم تساعد على حوار ديمقراطي والوصول إلى تحالفات يسارية، بل على العكس فالفرقان الأساسيان وعلى الدوام متباعدان، الجبهة الديمقراطية أقرب ما تكون إلى حركة فتح، وكذلك حزب الشعب الفلسطيني^{٢٧١}.

وعلى الرغم من حدوث بعض التحالفات اليسارية مثل تحالف القوى الديمقراطية بمشاركة الجبهتين

-
- استثناء ظاهرة شراء وبيع المواقف السياسية مقابل مواقع تنظيمية وسياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها المختلفة، والاعتماد على ظاهرة الكوثة الأمر الذي أدى على تسليم مهام حيوية لأيد لم تستطع مواجهة استحقاقات ومسئوليات المواقع التي تسلمتها.
 - عدم التعاطي الموضوعي والجاد مع مبادرات السلام وتحديداً بعد مدريد حيث كان الرفض أو التأييد المطلق هما السمتان، ولم تكن هناك استراتيجيات عمل تعكس مسؤولية وطنية خاصة أن العملية تحدد مستقبل الشعب الفلسطيني.
 - شكل تعاطي الأحزاب والتنظيمات مع حركات السلام الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي واليهود في الداخل والخارج، وكذلك شكل التعامل مع الرأي العام العالمي بشكل عام حيث كان ولا زال يشوبه التخبط وغياب الخطط والبرامج.
 - عدم قدرة هذه الأحزاب والفصائل على تشكيل تحالفات حقيقية تحافظ على ديمومتها على أساس برامج سياسية واضحة.
 - طبيعة علاقة الأحزاب والفصائل بال جماهير والأنظمة العربية والتي تخلو من أفاق استراتيجية ورؤية واضحة قائمة على أساس المصلحة الوطنية للشعب الفلسطيني. أنظر: مروان الكفارنة (١٩٩٨): المعوقات الذاتية والداخلية لنشوء أحزاب جديدة أو تجديد الأحزاب القديمة. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغيرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. ص ص ٢١٣-٢١٥.

²⁶⁹ مصطفى البرغوثي. (١٩٩٨): إمكانية نشوء أحزاب جديدة. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغيرات البنوية في الحياة السياسية

الفلسطينية وآفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. مؤسسة مواطن، رام الله.

♦ لعبت الولاءات المتباينة للجهات العربية المختلفة دوراً فعالاً في تعميقها، لذلك تعمقت ملامح الفئوية التنظيمية مع مجيء السلطة وقيادات بعض التنظيمات من الخارج.

²⁷⁰ نعيم الأشهب. مقابلة، مصدر سبق ذكره.

♦♦ يمكن الرجوع إلى نتائج استطلاعات الرأي في الفصل الثاني من هذه الرسالة، لمعرفة النسب التي تحصل عليها هذه الأحزاب في الشارع الفلسطيني.

²⁷¹ أحمد قطامش. مقابلة، مصدر سبق ذكره.

وفرق أخرى، أو القيادة المشتركة بين الجبهتين، أو تحالفات الجبهة الشعبية في فرق وقوى يسارية صغيرة، أو تحالفات موقعية في انتخابات ومواقع محددة أو داخل السجون أحياناً^{♦♦♦}، إلا أن هذه التحالفات لم تستمر، وأخذت مظهراً ثانوياً. كما أن التعبئة الداخلية في صفوف اليسار لا تبحث عن قواسم مشتركة بل قضايا خلافية بين اليسار، وهذا كله يؤكد أن اليسار عوده لا يزال غضاً^{٢٧٢}.

٣. موارد اليسار المالية

لا يمكن إهمال تأثير الدعم المالي على الأحزاب الفلسطينية، وخاصة في ضوء تجربة الثورة والحركة الوطنية المعاصرة، وخاصة منذ مطلع السبعينات، فقد كان لافتقار فصائل اليسار الفلسطيني إلى الاستقلال المالي ثمنه، حيث لجأت هذه الفصائل إلى عمل مساومات مع الأنظمة القومية الداعمة لها مثل سوريا، لبنان، والعراق، وبشكل خاص بعد أن فقد اليسار الدعم الدولي والعربي^{٢٧٣}، كما فرض على اليسار القيام بمفرده بمجابهة قوى امبريالية منتصرة على الاشتراكية^{٢٧٤}، وإذا كان صحيحاً "أن المال لا يصنع أحزاباً وتنظيمات وقوى ذات طابع جماهيري حقيقي"، فإنه في الوضع الفلسطيني وتحديداً بين لاجئي الشتات عنصر هام في دعم أوضاع هذا التنظيم أو ذاك أو إضعافها، كما أنه لا يمكن إهمال عنصر المال في التأثير على القرار السياسي بدرجة أو بأخرى^{٢٧٥}.

تعود الأزمة التي يعاني منها اليسار في جوهرها إلى أسباب ذاتية تتعلق بالشأن الداخلي للفصائل والأحزاب، فالتشتت والانقسام الداخلي، وانعدام الديمقراطية الداخلية، وسيطرة الزعامة الفردية إلى جانب تجاهل دور الأحزاب الأخرى والتشكيك في هويتها وعدم إحداث تغييرات داخلية تتماشى مع الأحداث المحيطة - جميعها تساهم في الأزمة وتعمقها.

رابعاً: الأسباب السياسية

♦♦♦ يمكن الرجوع إلى محاولات توحيد اليسار في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

²⁷² المصدر نفسه.

²⁷³ مهند عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²⁷⁴ عبد المجيد حمدان. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²⁷⁵ داوود تلحمي. (١٩٩٨): القطب الثالث التجربة والأفاق. في: (محرر)، ما بعد الأزمة التغيرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية وأفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. مؤسسة مواطن، رام الله. ص ٢٥٧.

يعد الواقع العربي الجديد - الذي نتج بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية- والموقف من القضية الفلسطينية و م.ت.ف أبرز التغييرات الخارجية أمام الحركة السياسية الفلسطينية²⁷⁶، حيث أظهرت حرب الخليج وما قبلها من ترتيبات عسكرية واستراتيجية في المنطقة قوة المتغيرات في المفاهيم والمقومات القومية والوحدة العربية التي استهدفها التقسيم الاستعماري لأقطار العالم العربي وبلدانه، فقد أسهمت في تراجع الظاهرة الثورية للوحدة والقومية العربية إلى جانب الهزائم التي حملت لواءها، كل ذلك أثر بصورة مباشرة على نضال الشعب الفلسطيني وأفاقه، كما أثر على الطابع التاريخي لنشوء الثورة الفلسطينية المعاصرة، إلى جانب التغييرات الداخلية التي شهدتها الساحة الفلسطينية على النحو التالي²⁷⁷:

١. تغيير المكانة الاستراتيجية للأراضي المحتلة بالنسبة لمجمل العمل الفلسطيني وبالنسبة لمستقبل وحدة الشعب الفلسطيني، تتطرق هذه القضية من حقيقة ثابتة هي أن الساحة الرئيسية للنضال الفلسطيني هي ساحة الأرض المحتلة والتي تكتسب مكانتها نتيجة اعتبارات موضوعية أظهرتها الانتفاضة الأولى بصورة ساطعة، بالإضافة إلى أثر التحرك النشط من أجل التسوية السياسية ومدلولاتها المباشرة المرتبطة بها.

٢. الثوابت ومفاهيم الحل المرحلي والشامل، حيث دأبت الحركة الفلسطينية على تطوير مفاهيم الحل الوطني للقضية الفلسطينية وفقاً لواقع المتغيرات السياسية الملموسة والتجربة الواقعية التي كانت تخوضها. وقد شهدت الساحة الفلسطينية العديد من النقاشات والتعارضات الواضحة خاصة عندما كانت تنشط محاولات تأمين حل سياسي للصراع العربي - الإسرائيلي حول هذه الثوابت الجديدة ومفاهيمها مقابل المفهوم التاريخي القائل بالتحريير الشامل للتراب الفلسطيني، وإقامة الدولة الديمقراطية أو العلمانية على كامل هذا التراب.

٣. التغييرات الواضحة في تركيبة فصائل العمل الوطني وعلاقتها ب م.ت.ف، حيث شهدت الساحة الفلسطينية بعد الانتفاضة الأولى ظهور فصائل جديدة على ساحة العمل الوطني ممثلة بشكل خاص في كل من حركتي حماس والجهد الإسلامي وانضمت إلى الفصائل الخارجة عن إطار المنظمة. ويتمثل المغزى الأهم في نشوء تيار أصولي ديني يطرح رفضه الواضح لطبيعة تشكيل وتركيبية الحركة الوطنية الفلسطينية العلمانية ومفاهيمها ورؤيتها السياسية ويطرح تحديات جديدة أمامها.

و بعد توقيع اتفاقية أوسلو وقيام السلطة الفلسطينية، برز العامل الأساسي في الأزمة التي شملت

²⁷⁶ بسام الصالحي.(١٩٩٢): "الواقع الجديد والحاجة إلى رؤية استراتيجية جديدة" مصدر سبق ذكره.ص ص ٤-١٢.

²⁷⁷ المصدر نفسه.

جميع مكونات الحركة الوطنية وخاصة اليسار تمثلت في شروط المرحلة الجديدة بعد اتفاق أوسلو رغم استمرار انتمائها بالطابع الوطني والتحرري، وما تتطلبه من تطوير وتجديد صيغ العمل السياسي، حيث أدت اتفاقيات أوسلو إلى أزمة طاحنة أصابت بمفاعيلها جميع فصائل العمل الوطني^{*}، خاصة فصائل اليسار الفلسطيني التي فشلت في تحقيق وحدة موقف خاصة بها، حيث بدت هذه الفصائل مختلفة ومتعارضة²⁷⁸.

وحسب بعض المحللين فإن اليسار لم يغتتم طبيعة الانتقال الذي أصاب الحركة الفلسطينية بعد أوسلو، بل أنه اعتبرها خيانة لقضية اللاجئين والاستقلال، رفض التعامل مع نتائجها الهامة والتي كان أهمها انتقال منظمة التحرير الفلسطينية إلى أرض الوطن وتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية²⁷⁹، لدرجة أنه تراهن على انهيار السلطة حديثة الولادة، وخلص إلى أن اندماجه وتحالفه مع هذه السلطة غير مطلوب وغير ضروري، لأنها حسب رأي فصائل اليسار "سلطة آيلة للسقوط والانهيار"، نتيجة احتدام التناقض بين الاحتلال ومصالحه وبين جماهير الشعب الفلسطيني، وأن هذا الصراع من الصعب أن يصل إلى نقطة تصالحية، وأن الإسرائيليين سوف يحسموا الأمر بإعادة احتلال الأراضي وتدمير السلطة، إلا أن الآليات التي أوجدها الاتفاق أقوى من صانعيه دون رغبة من الاحتلال وبدون قوة من المحتلين وبدون قوة كافية من الشعب فقد تم تكريس حالة جديدة تحمل في باطنها آفاق تطورات لاحقة: المجلس التشريعي "لجنة كمجلس إدارة" تحول إلى مجلس تشريعي حقيقي، الشعب بقدراته وبالحقائق التاريخية التي بنى عليها أصالة وجوده على الأرض وتماسكه الاجتماعي والتراث الوطني التاريخي لهذا الشعب، وبالاستناد إلى تجربة نضالية طويلة وبناء حضاري متماسك صمد على امتداد هذه الفترة استطاع أن يحول الاتفاق من ترتيبات لحكم ذاتي محدود إلى نواة سلطة وطنية حقيقية على طريق إقامة الدولة، هذه الصورة لم يستطع اليسار أن يراها ولم يتمكن من التبشير بأفاق مفعمة بالأمل ولا أن يعبأ الناس بإمكانية مراكمة عوامل تمكنه من الاقتراب من سلمه الوطني، كل ما فعله اليسار خلال هذه الحقبة هي التبشير بالسيئ بالصورة السوداء وتسليط الضوء على السلبات الموجودة في ممارسات السلطة ومظاهر فسادها، وظيفة اليسار ليست إظهار الصورة وإنما إظهار الصواب، هذا قادم لمزيد من العزلة عن الجماهير

* وقد شكل إبرام هذه الاتفاقيات وتطبيقاته منعطف حاد أكبر مما حصل في منتصف الستينات الذي شهد نشوء م. ت. ف. وانطلاقة المقاومة الفلسطينية المسلحة، فالانخراط في التسوية المجففة ترتب عليها انهيار القاعدة السياسية للانتلاف الوطني للمنظمة، صالح زيدان اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²⁷⁸ نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²⁷⁹ سليم تماري. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

ولما سبق فإن اليسار لم يكن قادراً على تجميع صفوفه، أو صفوف المعارضة الواسعة التي نشأت بعد أوصلو، لذلك وقف شبه عاجز فلا هو قادر على إفضال هذا الاتفاق، وشق طريق آخر لم يكن سوى مواصلة النضال، ولا هو مستعد للانخراط في المشروع ومعارضته من الداخل. وبتفاهم أزمة المنظمة وأزمة المشروع الوطني بسبب فشل أوصلو، ومع انتقال مركز الثقل السياسي والقيادي إلى داخل فلسطين المحتلة، وبعد ذلك الأزمة التي أصابت السلطة الوطنية الفلسطينية لأسباب متعددة، أخذت تتعمق أزمة المنظمات اليسارية فهي غير قادرة على حمل راية المشروع الوطني ولا قدرة على حمل البرنامج البنائي الديمقراطي، ومع اشتداد الصراع وبهتان دور منظمة التحرير، والظهور القوي والمتنامي للحركات الإسلامية وخصوصاً حركة حماس، وفي ظل عدم قدرة القوى اليسارية على توحيد صفوفها، تطور المشهد السياسي الفلسطيني لتقديم شكل غير مسبوق من الاستقطاب السياسي بين حركة حماس وحركة فتح فيما راوحت القوى اليسارية في مكانها، وأدى ضعفها عن تشكيل قوة ذات وزن بين القوتين الكبيرتين إلى مزيد من الضعف والظهور أحياناً وكأنها ملحقه بهذا الطرف أو ذاك دون القدرة على شق طريق مستقل^{٢٨١}.

ويتوازي تراجع التيار اليساري الديمقراطي مع ما ألحقته السلطة وحركة فتح من تراجع لدور منظمة التحرير الفلسطينية وتهميش فعاليتها وتأثيرها على القرار الوطني الفلسطيني، مما أفقد هذه الفصائل التي تشكل بهذا التيار حاضنة كان يمكن أن تنطلق منها لأخذ دور مميز ومؤثر في خارطة السياسة الداخلية الفلسطينية، لكن الدور الباهت والمصادر من قبل حركة فتح والسلطة لمنظمة التحرير، أفقد هذا التيار - إلى جانب عناصر وعوامل أخرى- الدور الذي كان لها أثناء فترة الكفاح المسلح^{٢٨٢}.

وباختصار فإن التغييرات الخارجية التي شهدتها المنطقة العربية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والنتائج المترتبة على حربي الخليج الأولى والثانية والانضمام إلى الفلك الأمريكي، والتغييرات الإقليمية وما تبعها من تغيير في التعامل مع م.ت. ف في الخارج، إلى جانب التغييرات المحلية من توقيع اتفاقيات أوصلو، وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية، وما ترتب عليها من تغييرات في الساحة

²⁸⁰ ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

²⁸¹ طلال عوكل. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

²⁸² هلني حبيب. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "التيار الديمقراطي واستحقاقات المرحلة المقبلة". تسامح. ١٠. ص ١١٨.

الفلسطينية، من ضعف في دور منظمة التحرير، وظهور فصائل جديدة على ساحة العمل الوطني خاصة التيار الديني الذي اشتد دوره فيما بعد بقوة، وكذلك الأوضاع الصعبة والمتردية التي يعيشها الفلسطينيون جراء ممارسات الاحتلال، جميع هذه المتغيرات - التي لم يستوعبها اليسار ولم يستطع التعامل معها أو مسايرتها، بل على العكس انطوى على نفسه، وتجاهل كل ما حوله - زادت من حدة أزمته وعمقتها.

خامساً: الأسباب الاجتماعية

تتجلى الأزمة في انحسار دور اليسار في الحياة الاجتماعية إلى درجة كبيرة، وانحسار شرعيته في الشارع في ظل التحريض المضاد، ما يدفع لانحسار مشروع اليسار على الصعيد الاجتماعي ورؤيته التي يقدمها ويقودها للمجتمع، وكذلك الانحسار على الصعيد السياسي وتلاشي دوره السياسي إلى درجة يبدو فيها متفجعاً أكثر مما هو قوة مؤثرة وفعالة، كان لها يوماً ما الدور الأبرز في صياغة الفكر السياسي الفلسطيني من الناحيتين النظرية والعملية، وهذا الحضور الفاعل والقوي، الذي كان يوماً ما على المستوى السياسي والعسكري انعكس بدوره ليحقق نجاحاً في توسيع القاعدة الاجتماعية لقوى اليسار التي استطاعت أن تترك بصمات كبيرة ومؤثرة في نموذج البناء المجتمعي الفلسطيني²⁸³. وقد طرح اليسار نفسه كمحطة عبور سياسية للعمال والطبقات الشعبية التي لها مصلحة في التغيير والتطوير والديمقراطية والوصول إلى السلطة لتحويل هذه القضايا لسياسة عامة للمجتمع والسلطة الحاكمة، إلا أنه اكتفى بأن يكون واجهة ليس لها طموح، كما أن مساهمته ضعيفة خلافاً لما هو مفترض، حيث بدأ اليسار بشعار "تحليل الواقع الملموس" تشخيص للبنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع والتحرر والديمقراطية والبناء والانفتاح لحشدتها وتنظيمها الاشتراكي²⁸⁴.

و في الجانب الثقافي، كان الوعي من أهم الأسلحة التي يتمتع بها اليسار في تقييمات عديدة له في المجالين الفكري والنظري، إلا أن حضوره أصبح ضعيفاً حيث أنه كان يعتمد في القضايا الفكرية والنظرية على المعسكر الاشتراكي والمواقف والدراسات والتحليل التي يقدمها دون قراءة خلاقة، وعندما انهار المرجع لم يحاول اليسار عمل مراجعة نقدية للتجربة، إلى أن فقد اليسار هويته، ولم

²⁸³ أكرم عطا الله. (تشرين أول، ٢٠٠٥). مصدر سبق ذكره. ص ١١.

²⁸⁴ مهني عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

يعد يسارياً علمانياً، أو يسارياً إسلامياً^{٢٨٥}. بل أصبحت هويته ملتبسة*، من جهة أخرى تفتقر فصائل اليسار إلى وسائل إعلام قوية وناجحة توصلها بال جماهير، وتظهر الصورة الحسنة أمامهم، فكلمة أنا مناضل لم تعد تكف، فالصورة الإعلامية لها أهميتها، فزعيم أي حزب لا يراه الناس ولا يعرفون عنه أي شيء، كيف سيستجيبوا له؟، لأن ما كان مقبولاً بالأمس من نضال واختفاء وسرية لم يعد اليوم مقبولاً بعد أو سلو^{٢٨٦}، لهذا فإن التباعد بين اليسار ومتلقيه أحد مؤشرات الأزمة، وقد يكون سبباً رئيساً لها فقد كانت الفصائل اليسارية فصائل نخبوية*، بمعنى أن الفكر الاشتراكي كان محصوراً في إطار التنظيم ولم يمارس على صعيد الشعب من عمال وفلاحين، لأن هذه الفصائل عاشت في المنافي ولم تعش بين صفوف شعبها، وكان من الصعب أن تنشأ أطراً اجتماعية في المنافي بعيداً عن القرى والمدن والمخيمات الفلسطينية^{٢٨٧}.

وعلى الرغم أن فصائل اليسار كانت المبادرة في تشكيل منظمات جماهيرية قطاعية، لكن الصحيح كذلك أن هذه المنظمات، ورغم الدور الهام الذي لعبته هذه المنظمات وما تزال في النواحي السياسية والجماهيرية، خاصة في الداخل، إلا أنها - وبسبب العلاقة الفوقية التي ربطتها بالتنظيمات السياسية الأم وبنيتها المركزية - لم تتمكن من التحول إلى منظمات واسعة الانتشار، وبقيت تعاني من تبعية أفقدتها القدرة على طرح المبادرات على صعيد الحركة الجماهيرية وأدخلتها في دوامة التنافس وتكرار الأنشطة مع المنظمات القطاعية الأخرى وتحديدًا تلك التي ارتبطت بفصائل اليسار الأخرى^{٢٨٨}. وعلى الرغم من أن بعض فصائل اليسار لعبت دوراً متقدماً في عقلنة السياسة الفلسطينية، إلا أن هذا الدور لم يتحول إلى سمة عامة لهذه الفصائل، ولم يتسم بالتواصل المطلوب، ولهذا لم يبرز دور متميز ولموس لفصائل اليسار على صعيد تعميق جماهيرية وديمقراطية الانتفاضة، واكتفت فصائل اليسار الفلسطيني بطرح الشعارات العامة دون تقديم

²⁸⁵ المصدر نفسه.

* تحولت بعض الشخصيات اليسارية من فكر إلى آخر من بينهم:
 - د. مصطفى البرغوثي أحد قادة الحزب الشيوعي تحول من الشيوعية والماركسية إلى الليبرالية، كما أن الإغاثة الطبية التي أسسها تحولت من داعمة لحزب الشعب إلى ملكية خاصة له.
 - د. رياض المالكي تحول من عضو مكتب سياسي في الجبهة الشعبية إلى ليبييرالي.
 - ياسر عبد ربه، تحول من يسار الجبهة الديمقراطية إلى حزب فدا إلى أن أصبح ليبييرالي.
 - كثير من كوادر اليسار تحولوا إلى مؤسسات NGOs أو لمؤسسات السلطة الفلسطينية.

²⁸⁶ زكريا محمد. مقابلة مصدر سبق ذكره.

* حزب الشعب " الحزب الشيوعي الفلسطيني سابقاً" كان حزباً نخبويًا، حيث كانت عقيدته وأفكاره من الصعب طرحها على الشارع الفلسطيني، لأنه متدين ومحافظ لا يتقبل الأفكار الإلحادية والشيوعية، لذلك بقي محصوراً ببعض الأفراد والمناطق، بل كان منبوذاً في مناطق أخرى، لوصفه بالإلحاد والكفر.

²⁸⁷ سميح شبيب. مقابلة مصدر سبق ذكره.

²⁸⁸ جميل هلال. (١٩٩٢): "معضلات توحيد اليسار". مصدر سبق ذكره ص ٢٤.

المبادرات المحلية، التي تشكل النموذج الذي يمكن الاحتذاء به، بل يمكن القول أن الروح التنافسية الفئوية هي التي أخذت تتحكم في المواقف الملموسة^{٢٨٩}.

يرى بعض النقاد والمحللون أن توجه قوى اليسار إلى الفئات العمالية والكادحة من الشعب لا يفسر ولا يبرر الشردمة واستمرارها فهذه الفئات وإن تباينت بعض شروط حياتها تشكل ثقلاً كبيراً في كل تجمعات الشعب الفلسطيني الرئيسية، وتشير العديد من الدلائل إلى أن المتغيرات التي شهدتها غالبية التجمعات الفلسطينية في السنوات الأخيرة أدت إلى توسيع حجم الفئات العمالية والكادحة ووزنها الاجتماعي وهذا ينطبق على الوضع داخل فلسطين، وعلى الجالية الفلسطينية في لبنان والكويت وعلى غيرها، كما تراجعت في العديد من التجمعات الفلسطينية أوضاع البرجوازية الصغيرة وضعفت وتضعفت أوضاع البرجوازية الكبيرة وتقلصت إلى درجة ما تأثيرات البرجوازية البيروقراطية كأحد نتائج الحصار المالي والسياسي لمنظمة التحرير الذي بدأ مع أزمة الخليج الأولى، هذا الاتساع في القاعدة الاجتماعية التي يتوجه ويستند إليها اليسار الفلسطيني لم يرافقه توسيع ملحوظ لنفوذ فصائله وقواه وتبقى هذه القاعدة موزعة الولاء بين حركتي فتح وحماس وبين القوى اليسارية الفلسطينية، وبقيت فصائل اليسار عاجزة عن احتلال كل المساحة المتاحة لها داخل الطبقة العاملة والفئات الكادحة والديمقراطية الأخرى، ولا شك أن أحد الأسباب الرئيسية في ذلك هو غياب المركز الموحد لها وبقاؤها في حالة تباعد وتنافس^{٢٩٠}.

وترافق مع تلك التحولات الاجتماعية انفجار الانتفاضة في الوطن المحتل بسماتها الجماهيرية والديمقراطية فأوجدت ظروفًا ملائمة لتوسيع نفوذ اليسار الفلسطيني وتأثيره السياسي والاجتماعي والثقافي، لكن هذه الظروف المواتية لم يتولد عنها أي تطور نوعي في حضور ونفوذ قوى اليسار، بل برز في تلك الفترة دور حماس إلى جانب حركة فتح كقطبين واضحي المعالم، في حين بقي اليسار الفلسطيني لا يشكل قطباً موحداً في برنامجه وتوجهاته وحضوره التنظيمي وبقيت العلاقات بين أطرافه علاقات تنافسية ضيقة بل وتنافرية في بعض الأحيان، وعبر تشتت قوى اليسار عن نفسه بأشكال وسعت من فجوة الخلافات بين أطرافه، منها اصطفاك بعض فصائل اليسار في منعطفات معينة مع حركة حماس ووقوف البعض الآخر مع حركة فتح^{٢٩١}.

وبدا جلياً أن فصائل اليسار قد غرقت في التعرض لقضايا تفصيلية وثانوية متعلقة بالوضع الداخلي

²⁸⁹ المصدر نفسه. ص ٢٤.

²⁹⁰ المصدر نفسه. ص ٢١.

²⁹¹ المصدر نفسه. ص ٢١.

الفلسطيني إلى الحد الذي جعل هذه القضايا تتسلل في جدول أعمال اليسار، وتحتل مواقع الأولوية على حساب الموضوع الأهم، وهو الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، هذا الموضوع وإلى جانب أهميته الوطنية يعتبر أهم عامل في عوامل الاستقطاب الجماهيري، وأهم أداة تحكم الجماهير بها على أي تيار سياسي في الساحة، وحتى بعد اندلاع الانتفاضة الثانية ظل قسم لا بأس به من معسكر اليسار يتعاطى مع موضوع الصراع مع الاحتلال بعقلية مؤسسة تعني بحقوق الإنسان، هذا إلى جانب بعض الطروحات السياسية ذات السقف الوطني الهابط، والذي يكاد يلامس الأرض والتي يستحيل في نفس الوقت تحقيق إي التفاف جماهيري أيا كان حجمه حولها التي صدرت عن مجموعة من المحسوبين بشكل أو بآخر على اليسار، هذا كله ساهم في جعل الجماهير تشكك في جدية اليسار كتيار سياسي وفي قدرته على حمل همومهم وتطلعاتهم الوطنية^{٢٩٢}.

من جهة ثانية قام اليسار الفلسطيني في تعاطيه مع مختلف قضايا الشأن الداخلي المجتمعية بتقديم حلول وصيغ عمل بعيدة كل البعد عن خصوصية المجتمع الفلسطيني، وذلك من خلال محاولته نقل تجربة الديمقراطية الغربية القائمة في بعض دول أوروبا خاصة كما هي وبصورتها النهائية وإسقاطها بشكل فظ على الواقع الفلسطيني^{٢٩٣}.

وقد أخذ النقاد على اليسار الفلسطيني اهتمامه بالذات أكثر من جمهوره، وتردده في التعامل مع أوصلو رفضاً في البداية وسكوتاً بعد ذلك، مما عكس نفسه في تأخير عودة الكادر المتقدم للييسار إلى الوطن أو في التعاطي المباشر مع الأطر الناجمة عن أوصلو^{٢٩٤}، كل ذلك كان له أثره على اليسار وجعل رسالته للجمهور أقل وضوحاً.

من جانب آخر فإن اليسار لم يتعامل بالشكل الصحيح مع الموضوع الديني[♦]، فالدين كظاهرة

²⁹² محمد المجدلوي. (تشرين أول، ٢٠٠٥) " اليسار الفلسطيني... استطلاع الواقع واستشراف الأفاق". مصدر سبق ذكره. ص ٩٦.

²⁹³ المصدر نفسه. ص ٩٦-٩٧.

²⁹⁴ أحمد صبح. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

♦ اليسار واليمين في الفكر الديني أساساً هما وضعان اجتماعيان يدلان على وجود طبقتين اجتماعيتين، تحاول كل طبقة أن تدافع عن حقوقها بالأبنية النظرية المتاحة في المجتمعات التقليدية وهي العقائد الدينية، وهي قضية عملية وليست نظرية، وبناء اجتماعي أكثر منها حقيقة فكرية. تحاول إحدى الطبقتين وهي الأقلية المسيطرة التي تملك وسائل الإنتاج والمسيطرة على الحكم، استغلال الطبقة الأخرى وهي الأغلبية لصالحها عن طرق الفكر الديني أي تفسيرها للدين لصالحها، كما تحاول الطبقة الأخرى، وهي الأغلبية المستغلة، إعادة تفسير الدين لصالحها للقضاء على الأقلية المسيطرة بنفس السلاح. فالدين سلاح ذو حدين طبقاً لاستعماله، وهذا هو معنى العبارة المشهورة " أفيون الشعب وصرخة المضطهدين." للمزيد أنظر المرجع: حسن حنفي. (١٩٩٦): **اليمين واليسار في الفكر الديني**، الطبعة الأولى. دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، بيروت. ص ٦-٧.

اجتماعية نشأت مع الإنسان وكونت وعيه الأول ولا تزال تشكل الوعي السائد لدى أكثرية المجتمع بمستويات مختلفة وحتى في وعي الماركسيين، فماركس وإنجلز ولينين وقبلهم وبعدهم كثيرون بحثوا وتعمقوا في هذه الظاهرة وخرجوا باستنتاجات هامة^{٢٩٥}. و لم يتحدثوا عن العامل الاقتصادي كعامل أساسي، ولم يقولوا أنه العامل الوحيد، ولم يتعاملوا مع هذه الموضوعة الماركسية بدقة ليس على الصعيد العربي فقط بل على الصعيد العالمي^{٢٩٦}. والأحزاب الدينية هي أحزاب سياسية لديها برامج تطمح للوصول من خلالها إلى السلطة، والتأثير على الناس محاولة جذبهم إلى أهداف الحزب ومشاريعه السياسية، وهذه الأحزاب تستخدم الدين كأيدولوجية لها وتحصره فيها لوحدها دون الآخرين وتتصارع بإسمه وتتقاتل فيما بينها على كسب جمهور المؤمنين إليها وإلى أهدافها ومشاريعها^{٢٩٧}.

يساريون قلة يتطرقون إلى هذا الموضوع، ومن بينهم المحلل والناقد السياسي كريم مروة الذي يدعو إلى إعادة البحث في بعض ما جرى استنتاجه نتيجة التأثير السلبي الذي مارسه التناقض الحاد بين الدين وبين الفكر الاشتراكي على حركة النضال من أجل التغيير، وينادي مروة:

"بضرورة إعادة تقييم موضوعي لدور الدين، ننطلق منها للبحث مع الأحزاب الدينية نتفق أو نختلف معها، ليس حول الدين نفسه، بل حول المهمات المطروحة أمامنا وننطلق منها لإقامة علاقة مع جماهير المؤمنين من أجل جذبهم للنضال دفاعاً عن حقوقهم للانخراط في حركة التغيير الثوري، وهم أصحاب المصلحة فيها وفي انتصارها، وفي ذلك إعادة إحياء لعلاقة شوهنتها أفكار وممارسات يتحمل الشيوعيون جزء أساسياً منها وتحمل التيارات الدينية جزءاً آخر، وقد أفادت من هذا الصراع كل الطبقات البرجوازية والإقطاعية ودمرت بذلك كل الحركات الثورية"^{٢٩٨}.

ويتساءل: " كيف لنا أن نتعامل مع الدين كفكر ووعي للناس؟، وهذا الوعي لا يمكن إزاحته بشكل مبسط بإغلاق كنيسة أو مسجد، كما حدث في الدول الاشتراكية وبدأت اليوم بالتراجع عنه، ولم تستطع أي حركة إصلاح ديني في بلداننا أن تأخذ مجراها بشكل كامل حيث قمعتها السلطات ولم تحمها الجماهير، وذلك يعود إلى مستوى التطور في بلداننا التي لم تسمح لهذه العملية أن تحصل أو تصل إلى نهاياتها، لذلك لا بد من إعادة البحث في الدين في بلداننا على أساس مختلف عن السابق، والبحث في دور العامل الديني في حركة التاريخ"^{٢٩٩}.

ويمكننا القول أن دور اليسار تقلص في الحياة الاجتماعية إلى درجة كبيرة، بعد أن طرح نفسه

²⁹⁵ كريم مروة. (١٩٩٧): حوار الأيدولوجيات بين أفكار ماركسية وأفكار دينية، الطبعة الأولى. دار الفارابي، بيروت. ص ١١٧.

²⁹⁶ المصدر نفسه. ص ١٣٥.

²⁹⁷ المصدر نفسه. ص ١١٨-١١٩.

²⁹⁸ المصدر نفسه. ص ١١٨-١١٩.

²⁹⁹ المصدر نفسه. ص ١٣٥.

كمحطة عبور للعمال والطبقات الشعبية التي لها طموح وأهداف، فقد كان هو المبادر إلى تشكيل منظمات جماهيرية قطاعية تخدم هذه الطبقات، إلا أنه للأسف لم يمثل هذه الطبقات تمثيلاً صحيحاً، بل أصبحت مساهماته ضعيفة وفقدت هذه المنظمات حيث أغلقت بعضها وتحول الجزء الآخر إلى NGOs، وكذلك فقدان العشرات من كوادر وأعضاء فصائل اليسار خاصة المثقفين والأكاديميين، إلى جانب انغماس اليسار في قضايا جوهرية وثانوية تتعلق بالشأن الفلسطيني، لكنه لم يتعامل مع هذه القضية بجدية وإيجاد حلول واقعية لعدد من هذه القضايا، ولم يقم اليسار بطرح المطالب الاجتماعية من تحرير للمرأة، أو مساواتها بالرجل وغيرها من المطالب، وتواطئه مع القيادات التقليدية والبنية العشائرية للمجتمع، وكذلك تماهيه مع التيار الديني، وقيام اليسار بإخفاء هويته في الانتخابات التي جرت على مدار الأعوام الماضية، تلك الأسباب جميعها أدت إلى ابتعاد الجمهور الفلسطيني عن فصائل وأحزاب اليسار.

٢. انعكاسات الأزمة على فصائل اليسار الفلسطيني

أولاً: الانعكاسات الموضوعية والفكرية

دخلت أحزاب اليسار الفلسطيني مع التغيير الدولي الجديد أزمة مستعصية، وعندما أجرت هذه الأحزاب تعديلات حول مواقفها النظرية وبرامجها وأنظمتها الداخلية في ضوء هذا الانهيار وبطريقتها الخاصة، فإن هذه التعديلات لم تجد نفعاً في تحقيق الخروج من الأزمة وبقي الانقسام بين هذه الأحزاب والجماهير قائماً، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية التي كانت تمثل داعماً قوياً للفصائل الفلسطينية كافة (من تدريب، تسليح، تمويل، تعليم) تراجع الفكر الاشتراكي، بل يمكن القول انه هُزِمَ نتيجة الحرب الباردة، وقد انعكست هذه الهزيمة على الفصائل الفلسطينية جميعها³⁰⁰:

فنتظيماً: تركت ممارسات المركزية الديمقراطية آثاراً سلبية على حياة الفصائل التي لم تتمكن من ممارسة الديمقراطية على نحو حقيقي، بل أنها شهدت نوعاً من الدكتاتورية الداخلية أفقدتها الكثير من كوادرها.

واجتماعياً: كان الفكر الاشتراكي الذي تتبناه الفصائل اليسارية فكراً محصوراً في إطار التنظيم، ولم يمارس على صعيد الشعب من عمال أو فلاحين، خاصة وأن هذه الفصائل عاشت في المنافي بعيداً عن صفوف شعبها، وقد كان من الصعب أن تنشأ أطراً اجتماعية في المنافي بعيداً عن

³⁰⁰ سميح شبيب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

القرى، المدن، والمخيمات الفلسطينية.

فعلى صعيد حزب الشعب: يرى بعض المحللين أنه لا يلتزم بالفكر الماركسي ولا بالاشتراكي، لهذا يوجد في داخله تياران أيديولوجيان، ماركسي ضعيف، وآخر معاد للماركسية ومهيمن، كما يتبنى الحزب هوية اشتراكية لفظية ولكن دون مضمون، أي أنه يحمل هوية اشتراكية لفظية ونظرية، ويحمل هوية فعلية بعيدة عن الماركسية إن لم تكن متناقضة معها، وما يؤكد هذه الاستنتاجات أو يدحضها هو وجود أو عدم وجود بعد اشتراكي داخل برنامج حزب الشعب، ويعكس: برنامج الحزب، رؤيته، أيديولوجيته، وتوجهه وانتماءه الطبقي³⁰¹.

وبعد تحول "حزب الشعب الفلسطيني" من "الحزب الشيوعي الفلسطيني" عام ١٩٨٢م دعا إلى عملية التحرر الوطني دون إن يربط ذلك بقيادة الطبقة العاملة، واستند للمركزية الديمقراطية في حياته الداخلية، واستمر على هذا الخط حتى تعززت التحولات في الدول الاشتراكية السابقة فبادر في مطلع التسعينات إلى طرح برنامج ونظام داخلي جديد، وتم تغيير اسم الحزب، ويقول الأمين العام للحزب آنذاك بشير البرغوثي أن هذا التحول قد انطوى على شطب المركزية الديمقراطية واستبدالها بالديمقراطية الواسعة في إطار بنية الحزب المركزية³⁰².

لقد غير الحزب الشيوعي - إلى درجة معينة - طرق عمله الداخلية ووسع من نظرتة لمسألة الديمقراطية وأهميتها في المجتمع الفلسطيني لكن هذه المسألة الأخيرة جاءت بطريقة "الاستسلام ورفع الراية وتحويل المهمة الديمقراطية بدرجة كبيرة إلى البرجوازية القائمة" التي التحق بها حزب الشعب بعد موافقته على اتفاق أوسلو وانخراط أمينه العام السابق بشير البرغوثي في مجلس الوزراء الفلسطيني، كما تحولت منظمات الحزب الجماهيرية السابقة إلى منظمات غير حكومية³⁰³. الأمين العام الحالي لحزب الشعب بسام الصالحي قال:

"بعد انهيار المعسكر الاشتراكي قام الحزب بمراجعة رؤيته الفكرية والانفتاح بصورة مختلفة أكثر من السابق على مكونات الفكر الإنساني والعربي، لكن الحزب لم يقدم رؤية بديلة، ولهذا فإن موضوع التحدي الرئيسي أمام الحزب لا يزال في إعادة صياغة رؤية أكثر عمقاً، وأضاف "أن الحزب يميل إلى تعزيز هويته اليسارية وانحيازه الاجتماعي للطبقات الفكرية الاجتماعية والدفاع عن الديمقراطية والعدالة

³⁰¹ زهير الصباغ. (٢٠٠٥): من الحزب الشيوعي الفلسطيني إلى حزب الشعب الفلسطيني. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة

اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة. ص ص ١٦٢-١٦٣.

³⁰² وليد سالم. (٢٠٠٠): المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين، الطبعة الأولى. مؤسسة مواطن. رام الله. ص ١٤٣.

³⁰³ المصدر نفسه. ص ١٤٥.

الاجتماعية، فالتحدي هو تعزيز رؤية العلمانية في النظام السياسي الفلسطيني³⁰⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن "حزب الشعب الفلسطيني" الذي هو في الأصل "الحزب الشيوعي الفلسطيني" يرتبط تاريخه بالحركة الشيوعية في فلسطين من عام ١٩١٩م وحتى اليوم، وتتناول الحركة الشيوعية العلاقة بين الديمقراطية والمسألة الوطنية، ويرى د. ماهر الشريف أحد أبرز الكتاب الشيوعيين: "أن نظرة الشيوعيين كانت تقوم آنذاك على أساس تغليب المسألة الطبقية على المسألة الوطنية لدرجة تم معها فهم مظاهرات الجماهير الفلسطينية ضد الانتداب والصهيونية على أنها تظاهرات طبقية وليست نتاجاً للشعور الوطني ضد الاستعمار"³⁰⁵، ويحلل إميل توما في كتابه "جذور القضية الفلسطينية" و"يوميات شعب" بأن الصراع في تلك الفترة كان قائماً على أساس وجود قاعدة موضوعية للإخاء والنضال الطبقي المشترك بين البروليتاريا اليهودية من جهة والبروليتاريا الفلسطينية من جهة أخرى، وأن السياسة الاستعمارية الإنجليزية قامت على أساس انتهاج سياسة "فرق تسد" بين الفقراء اليهود والفلسطينيين بهدف إدامة الاستعمار البريطاني لهذه البلاد، وتطور هذا التوجه على يد عصابة التحرر الوطني التي انشقت عن الحزب الشيوعي الفلسطيني عام ١٩٤٣م ليصبح دعوة إلى إقامة دولة فلسطين ديمقراطية اشتراكية.

أما الجبهة الشعبية، ففي ضوء انهيار المعسكر الاشتراكي أجرت عملية مراجعة وتقييم وتوصلت إلى استخلاص مفاده أن الهدف النهائي الذي تسعى إليه الجبهة و هو الاشتراكية باعتبارها تمثل مجتمع العدل والعدالة الاجتماعية بعيد المدى، لكنها لم تعد هدفاً منظوراً كما كان يعتقد في سنوات سابقة، ويعتبر المحللون أن الجبهة بذلك أمسكت بأمرين: الأول: أدركت أن الحديث عن دولة ديمقراطية شعبية ليس واقعياً مستخلصة درساً من بدان أوروبا الشرقية، والثاني: التمسك بالاشتراكية كهدف غير منظور من زاوية الإيمان أن الاشتراكية هي التي يمكن لها ان تحقق العدل بين البشر³⁰⁶.

ويرى محللون أن هناك خلط بين الديمقراطية والبعد الاجتماعي حيث إن خلفية الجبهة الشعبية بوصفها كانت حركة قومية ذات جذور فكرية قومية، هي التي جعلتها تتحاز أكثر للطبيعة التحررية الوطنية للثورة، على حساب البعد المجتمعي، أي البعد الديمقراطي، لكنها في الوقت نفسه لم تسقطه، بل إنها جعلت من النضال الوطني التحرري قاعدة الهرم، والبعد الديمقراطي المجتمعي

³⁰⁴ بسام الصالحي. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁰⁵ وليد سالم. (٢٠٠٠). مصدر سبق ذكره. ١٤٠-١٤١.

³⁰⁶ المصدر نفسه. ص ١٣٢.

رأس هذا النضال، وتؤكد على ذلك وثيقة الكونفرنس عام ١٩٩٤م^{٣٠٧}، إلى جانب أن انتقال الجبهة للفكر الماركسي بعد عام ١٩٦٧م كان عاصفاً وسريعاً ولم يؤسس له بما فيه الكفاية، سيما أنه امتزج مع مرحلة جديدة دخلها الصراع العربي_الصهيوني فضغط الواقع العملي ومتطلباته قد أسس لاندفاع غير مدروسة في عملية الانتقال من فكر حركة القوميين العرب وشعارات التحرر والعودة والتأثر إلى فكر ماركس وتحرر الفرد الذي يعتبر مقياساً لتحرر المجتمعات، واعتبر المحللون أن غياب النضج الكافي لتحديد أين تقف الجبهة قد جعلها ترفع شعار فلسطين الديمقراطية الشعبية، وكان ذلك انعكاساً لما تتبناه الدول التي كانت تصنف بمنظومة الدول الاشتراكية^{٣٠٨}.

وأدى تعمق التحول الفكري إلى المزيد من الاقتراب في تبني المواقف الرسمية التي كان يمثلها الاتحاد السوفيتي بصفته مركز القطب والفكر الاشتراكي على صعيد العالم وتم تكريس ذلك في المؤتمر الرابع عام ١٩٨١م، وصارت الجبهة تنظر لصراع الشعب الفلسطيني على أنه جزء من الصراع الوطني التحرري العالمي وهذا عكس نفسه بشكل كبير على مسألة طغيان البعد الوطني للنضال على البعد الديمقراطي والمجتمعي^{٣٠٩}.

وكانت الجبهة الشعبية قد أقرت في مؤتمرها الرابع في العام ١٩٩١م، في النظام الداخلي في مادته الثالثة ما يلي: "تسترشد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالماركسية اللينينية...." حيث أعادت النظر في انحيازها للماوية نهاية الستينات ومطلع السبعينات وطبعت علاقاتها مع المركز السوفيتي علاقات وخطاباً دون أن تتنازل عن نقديتها تجاه الموقف السوفيتي، وفي المؤتمر الخامس للجبهة في عام ١٩٩٣م فقد جرى تغيير كبير على بنود النظام الداخلي فبدلاً من الاسترشاد بالماركسية اللينينية، أصبحت "تسترشد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالمنهج المادي الجدلي التاريخي.. وبكل ما هو تقدمي في التراث الإنساني"، ويقول أحمد قطامش أحد قادة الجبهة في الداخل سابقاً أن هذا المؤتمر كشف خبايا حول الهوية الفكرية التي تفهقرت من الاسترشاد بالماركسية اللينينية والتعبئة الفكرية إلى التسلح بالمنهج المادي الجدلي التاريخي والكف عن التنقيف...^{٣١٠}.

ويرى المحللون أن هذه التغييرات من شطب "الماركسية اللينينية" في المؤتمر الخامس والاستعاضة عنها بالصيغة الملتبسة " المنهج المادي الجدلي التاريخي " ثم إعادة تأكيد جوهرها

³⁰⁷ المصدر نفسه. ص ١٣١.

³⁰⁸ المصدر نفسه. ص ١٣١.

³⁰⁹ المصدر نفسه. ص ١٣٢.

³¹⁰ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

"المنهج المادي الجدلي التاريخي"³¹¹ يعكس إرباكاً وتخبطاً نظرياً ربما هو سمة الانتقالية على أية حال والتي تشيع بعض التخبط والإرباك حتى يستقر ويتبلور الخطاب أكثر³¹².

وأما الجبهة الديمقراطية: فإن قاداتها يرون أن جبهتهم كانت أوضح من الجبهة الشعبية على صعيد طرح قضايا ملموسة للديمقراطية في فلسطين وبشكل مبكر يعود إلى تأسيس جبهتهم^{*}، ويقول نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية.

"أنه منذ عام ١٩٦٧م صغنا كحركة قوميين عرب برنامجاً يدعو إلى التعددية والديمقراطية، وبناء دولة المؤسسات، وضمان التداول السلمي للسلطة واحترام المجتمع المدني وسلطة القانون، وذلك كبديل عن البيروقراطية ودولة المخابرات، وجاء ذلك رداً على هزيمة ١٩٦٧م"³¹³.

ومن جانبه قال قيس عبد الكريم نائب الأمين العام للجبهة:

"أن الجبهة الديمقراطية ظلت تدعو إلى مفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية حتى مؤتمرها الثالث الذي عدل الصيغة وأصبحت "ثورة التحرر الوطني" التي تتطوي على تحولات ديمقراطية، وهذه الصيغة أدق لأنها تبرز أولوية التحرر الوطني دون أن تهمل أهمية التحول الديمقراطي للمجتمع"³¹⁴.

ويرى المحللون أن التحول الماركسي لدى الجبهة الديمقراطية لم يكن واضح الهوية، حيث كان موزعاً بين اتجاهات ماوية، جيفارية وغيرها، كما أن مفاهيم الديمقراطية والتعددية لم تكن واضحة أيضاً³¹⁵. كما سجلت الجبهة الديمقراطية ضعفاً مزمناً لها في أوساط شريحتين اجتماعيتين هامتين في المجتمع الفلسطيني وهما الطلبة الجامعيون والمخيمات، فمن جانب ظل تركيز الجبهة في أدبياتها على الطبقة العاملة - انسجاماً مع التوجهات الأيديولوجية - في حين كانت تقلل من شأن الشرائح الأخرى فسكان المخيمات يعيشون على هامش المجتمع خارج عملية الإنتاج والطلبة لا دور لهم في عملية الإنتاج، وربما يضاف سبب آخر لهذا الضعف وهو ميل الطلبة والمخيمات

³¹¹ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (٢٠٠٠): النظام الداخلي الصادر عن المؤتمر الوطني السادس . ص ٥.

³¹² وليد سالم. (٢٠٠٠): المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين، مصدر سبق ذكره. ص ١٣٠.

* يرى المحللون أن الجبهتين الشعبية والديمقراطية تشتركان في الخلط بين البعد الاجتماعي- بما هو بعد واسع يشمل مجمل التحولات الاجتماعية- وبين الديمقراطية، انظر المصدر السابق ص ١٣٣.

³¹³ المصدر نفسه ص ١٣٥

³¹⁴ المصدر نفسه. ص ١٣٧.

³¹⁵ المصدر نفسه. ص ١٣٥.

للاتجاهات الأكثر عنفاً للتطرف وهذا ما كانوا يجدونه في الفصائل الأخرى أكثر مما يجدونه في الجبهة الديمقراطية³¹⁶.

وعند دراسة خاصة للجبهتين الشعبية والديمقراطية والحياة الداخلية فيها نجد أن الكثير من كوادرهما المثقفة والمتعلمة التي انتمت إليها قد تركتاها، وذلك بسبب الحياة الداخلية التي كانت صعبة ومتعثرة وغير ممكنة³¹⁷.

من هنا فإن الديمقراطية بمفهومها الليبرالي لم تكن مطلباً لكثير من الحركات والتنظيمات والأحزاب العربية، قومية أو إقليمية، عروبية أو ماركسية، بل إن الأحزاب الرأسمالية لم تكن ليبرالية وذلك بعد الحرب العالمية الثانية حيث انتشر نموذج الأحزاب الاشتراكية وأحزاب حركات التحرر الوطني وسادت نظرية المركزية الديمقراطية داخل حياة الأحزاب القومية والتقدمية، لذا فاتهم الأحزاب التقدمية بأن الديمقراطية فيها مفقودة لوحدها ليس من الإنصاف في شيء حيث إن معظم أحزابنا العربية هي أحزاب نخبة، عائلية، كاريزمية، وأحزاب أفراد، وعلى الرغم من أن الديمقراطية الاجتماعية في الدول الاشتراكية وحركات التحرر فلم يكن العرب لوحدهم هم أصحاب الحزب الواحد ولم تكن الأحزاب القومية هي لوحدها المرسومة بإنعدام الجدل الداخلي أو الديمقراطية الداخلية، وبعد الهزائم وفشل الأحزاب في تحقيق المراد من وجودها حاول بعض المفكرين والمنظمين النظر لقضية الديمقراطية على أنها مكون رئيسي ومحوري في الحياة السياسية والداخلية في الأحزاب، ولكن ظلت نظرية المركزية الديمقراطية هي الطاغية في الحياة الداخلية، ومن جهة أخرى فإن هناك جمود وتكلس في الخطاب السياسي للأحزاب فهو خطاب تبلور وتشكل من بعد الحرب العالمية الثانية وجاء تعبيراً عن مفاعيلها وموازينها³¹⁸.

وحول الايديولوجيا تم التعامل معها بطريقة أصولية، بحيث أنها أصبحت محطة لقمع الاختلاف الفكري والسياسي، وذلك يعني تحريم الاختلاف أو الحد منه قدر الإمكان، فنجد الحزب يشكل أعضائه ليكونوا أبواً تعيد ترديد ذات العبارات، فالعضو الحزبي يجب أن يتحدث بما أصدره الحزب مركزياً وبما يتوافق مع المعايير السياسية والفكرية والقيمة الحزبية العامة التي حددت سلفاً وأي اختلاف عن هذا التوجه لا يتطور في داخل المؤسسة، وهذا يشير إلى أن مقدرات الوعي لهذه

³¹⁶ عمر عساف. (٢٠٠٥): تجربة الجبهة الديمقراطية في الضفة والقطاع. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة اليسارية

ال فلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي. ص ٨٣-٨٤.

³¹⁷ سميح شبيب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³¹⁸ المكتب الإعلامي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مقابلة مع د. جورج حبش. بلا تاريخ.

القوى لم تستطع التماثل مع الماركسية كمنهج جدلي جوهره التحليل العلمي الدقيق للمعطيات والشروط المادية لواقع ما كخطوة أولية على طريق تغييره، بل على العكس من ذلك تم علاج الواقع بنمط ديني سلفي يقوم على تحديد الهوية بين المتناقضات الأولية "صح - خطأ"، ماركسي - غير ماركسي" مما أعاد إنتاج نفس علاقة "حلال - حرام" وحول شعار "قال تعالى" إلى "قال لينين"³¹⁹.

ثانياً: الانعكاسات البنيوية

لم تستطع الأحزاب الفلسطينية الثلاثة موضع الدراسة من التعامل مع التغييرات الحاصلة كما حدث مع كثير من الأحزاب في الدول الشيوعية التي استطاعت أن تغير جوهرياً في برامجها وأيديولوجيتها وكادرها وتمكنت أن تبقى حية وتستطيع في بعض اللحظات الوصول إلى الحكم، في حين فشلت أحزابنا الفلسطينية في ذلك، بسبب بنيتها الداخلية التي كانت عائقاً أمام قدرتها على التكيف مع الوضع الجديد³²⁰، مثلاً:

لم تتمكن من تجديد كادرها القيادي الرئيس، بل إن القيادة نفسها موجودة منذ إنشاء الأحزاب لم يغيها سوى المرض أو الموت:

فحزب الشعب لم يتغير أمينه العام بشير البرغوثي إلا بعد وفاته حيث تم تعيين بسام الصالحي والذي لا يزال يشغل منصبه حتى إعداد هذه الرسالة.

الجبهة الشعبية لم يتغير أمينها العام د. جورج حبش إلا بعد مرضه وإصراره على الاستقالة حيث عين خلفاً له أبو علي مصطفى الذي استشهد، وخلفه الأمين العام الحالي أحمد سعادات المعتقل في سجون الاحتلال.

الجبهة الديمقراطية فإن أمينها العام نايف حواتمة لم يتغير منذ تأسيس الجبهة. وعلى الرغم من حصول هذه التغييرات البسيطة فهي حصلت في القيادة الأولى وانحصرت في شخص واحد، ولم تطل بنية الأحزاب نفسها³²¹.

وبوجود هذه البنية الداخلية والكادر القيادي القديم لتلك الفصائل أصبحت غير قادرة على التعامل الواقعي مع الحياة السياسية الفلسطينية، الكوادر الأفضل داخل اليسار أخرجوا من هذه التنظيمات بإرادة الواقع، حيث تحول بعضهم إلى تنظيمات NGOs وأصبح لها رؤى ومصالح مختلفة عن

³¹⁹ محمود النجار. مروان الكفارنة. (١٩٩٨): القطب الطلابي الديمقراطي. في: (محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. ص ص. ٢٨١-٢٩٢.

³²⁰ زكريا محمد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³²¹ المصدر نفسه.

مصالح التنظيمات وبالتالي ابتعدوا عنها وتركوها، كما أن عناصر القيادات الوسطى المبني الأمل عليها في تجديد الحيوية في الحياة الداخلية، وكانوا مؤهلين للتجديد، ابتعدوا عن التنظيمات، وخاصة في الجبهة الشعبية وحزب الشعب³²² عدد كبير جداً من مسؤولي NGos كانوا في قيادة الجبهة والحزب وصاروا بعيداً، لذلك انتهت العقدة الوسطى ولم يعد هناك تجديد ودفع لدماء جديدة³²³. ولهذا فعند إجراء دراسة خاصة لهذه الأحزاب وبنيتها الداخلية نجد أن الكثير من كوادرها المثقفة والمتعلمة التي انتمت إليها قد تركتها وذلك لصعوبة حياتها الداخلية وتعثرها³²⁴.

كما عزز غياب صيغ حوار ثابتة بين فصائل اليسار الميل نحو المغالاة في إبراز الذات التنظيمية والميل لدى كل فصيل لادعاء امتلاك الحقيقة، وحال دون البحث عن محاولات العمل المشترك إزاء العديد من القضايا، ولعل ازدياد عدد فصائل اليسار بفعل الانشقاقات الداخلية بالدرجة الأولى أدى إلى تراجع تأثيره بشكل ملموس، بحيث أن التنظيم أو الفصيل الواحد فرخ ما بين فصيلين إلى ثلاثة، وبات لكل فصيل أميناً عاماً جديداً، ليس هذا فحسب بل أن كل أمين عام جديد شق عصا الطاعة للأمين العام القديم أخذ يبرر ويفند حيثيات مغادرته وانشقاقه لتشكيل حزب جديد، ومن سبق له العمل في إحدى فصائل اليسار وغادر بشكل ديمقراطي وبدون فصل أو طرد أو مساءلة أو انهيار بسبب اعترافات أمام أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أو العربية، سجد أمامه لوحة نضالية روتينية ومكررة لا تجديد فيها ولا تطوير، فالاجتماعات الطويلة المملة ما زالت سيدة الموقف والمواضيع المدرجة هي ذاتها بما في ذلك النقد والنقد الذاتي وأسلوب التعاميم الداخلية، التنظيمية منها والسياسية وحتى المالية ما زالت كما هي دون تغيير وحتى تمجيد الذات والدور المحوري الذي لعبه التنظيم أو الفصيل في صياغة مشروع السلطة الوطنية أو المهمات المرحلية بما في ذلك النقاط ومفاصل العمل المركزية، كيف لا وجميع كتابي التعاميم كانوا في تنظيم واحد، لذلك فإن أسلوب صياغة مضامين التعاميم الصادرة عن هذا الفصيل أو تكاد تكون متطابقة باستثناء اسم الفصيل والتوقيت والمناسبة³²⁵.

ثالثاً: الانعكاسات السياسية

³²² لمعرفة مظاهر أزمة حزب الشعب الفلسطيني، أنظر، تيسير العاروري. (تشرين أول ١٩٩٨): أزمة حزب الشعب الفلسطيني. في: المؤتمر

الثالث للحزب. حزب الشعب الفلسطيني. رام الله.

³²³ زكريا محمد. مقابلة، مصدر سبق ذكره.

³²⁴ سميح شبيب. مقابلة، مصدر سبق ذكره.

³²⁵ محمد قرش. (٢٠٠٥، ٧ تشرين أول). مصدر سبق ذكره.

لم تغتتم فصائل اليسار طبيعة الانتقال الذي أصاب الحركة الفلسطينية بعد أوسلو، ولم تتعامل مع النتائج الهامة التي ترتبت عليها، فالأحزاب الفلسطينية الثلاثة فقدت القدرة على تقديم رؤية سياسية مستقلة أو فعل كفاحي ملموس يؤمن لها موقفاً بين حركتي فتح وحماس، إلى أن تدنت شعبيتها* سواء في استطلاعات الرأي في الشارع الفلسطيني أو في الانتخابات³²⁶.

فحزب الشعب وعلى الرغم من أنه كان أحد المستفيدين من هذه التطورات، إلا أنه لم يفلح في الانتخابات التشريعية التي أجريت بعد الاتفاق، فيما رفضت الجبهتان الشعبية والديمقراطية الاتفاق والمشاركة في أي تطور على الساحة الفلسطينية (حكومة، أو انتخابات).

لقد كان لهذه الفصائل اليسارية الفلسطينية أخطاءً وتقصيراتها سواء في إطار المواقف أو في المسلكيات واشتملت تلك الأخطاء والتقصيرات على³²⁷:

١. المشاركة في نظام "كوتا" لتوزيع المقاعد في أطر وهيئات منظمة التحرير القيادية، الأمر الذي عزز في المحصلة هيمنة تنظيم واحد على سياسة منظمة التحرير وبنيتها ومقدراتها، وساهم في التراجع التراكمي لدور مؤسسات المنظمة السياسي والتنظيمي.
٢. الميل عند بعض قوى اليسار إلى طرح الشعارات السياسية غير الواقعية والدخول في تشكيلات تنظيمية لا تملك مصداقية عالية على الصعيد الجماهيري (المشاركة في جبهات "الرفض"، و"الإفقاذ"، والقوى العشر" و...).
٣. الإحجام عن الانخراط في النضال السياسي في الأطر الوطنية الفلسطينية القيادية.
٤. عدم بذل الجهد الكافي لتطوير ودمقرطة وتفعيل مؤسسات العمل الوطني المركزية (لجنة تنفيذية، مجلس مركزي، مجلس وطني، وهيئات أخرى في منظمة التحرير، واتحادات قطاعية ومهنية،...) بل إن أغلبية القوى والفصائل الديمقراطية العلمانية أخلت مواقعها في هذه المؤسسات تاركة إياها حكراً لسيطرة تنظيم واحد، وقد وجدت قيادة هذا التنظيم المناسبة مؤاتية لتهميش دور تلك الأطر الوطنية لمصلحة التركيز على هياكل ودور السلطة المنبثقة عن أوسلو.
٥. لم تتوان بعض قوى اليسار من الدخول في تحالفات سياسية ونقابية مع تيار الإسلام السياسي المعارض للعلمانية والديمقراطية.

* يمكن الرجوع إلى الفصل السابق لمعرفة نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية والمحلية.

³²⁶ طلال عوكل. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³²⁷ جميل هلال. (شتاء، ١٩٩٦): "حيثيات تشكيل قطب سياسي ثالث في الساحة الفلسطينية". الدراسات الفلسطينية. ٢٥. ص ٤٣.

٦. إن عدم إدراك طبيعة وحجم التغيير الذي أدخل على الخريطة السياسية الفلسطينية والإقليمية بفعل اتفاق أوسلو هو ما يفسر استمرار الخطاب الفلسطيني التقليدي عند بعض فصائل المعارضة^{٣٢٨}.

وفي المحصلة فإننا اليوم أمام يسار فلسطيني فقد دوره القائد والمبادر وتعززت في داخل بنيته عمليات التفكك والجمود والارتباك، بل أننا أمام يسار حل منظماته الجماهيرية بشكل فعلي وإن لم يحلها اسماً، وانطوت قياداته داخل مكاتبها وفي صدور بياناتها كتعبيرات محتضرة عن استمرار وجودها، وتحولت الكادرات بإرادتها أو رغماً عنها إلى المنظمات غير الحكومية التي تتعامل من خلالها مع الجماهير بأسلوب الإرسال والاستقبال، وليس بأسلوب المشاركة في الهموم والواجبات تجاه القضايا المصيرية التي نواجهها.

من هنا فإن اليسار لن يستطيع إن يلعب أي دور تجاه عملية التحول الديمقراطي في فلسطين، إذا لم يتجاوز أزمته الحالية ويتراجع عن حالة الاستقالة الفعلية التي يمارسها، وهذا ما سيتناوله الفصل القادم حول مستقبل اليسار والدور المطلوب منه.

³²⁸ المصدر نفسه. ص ٤٧.

الفصل الرابع

مستقبل اليسار والدور المطلوب منه

المقدمة

"نحن معشر اليسار، كنا نعيش في أقباص محكمة الإغلاق، وعندما انهار الاتحاد السوفيتي تحطمت الأقباص، بعضنا أخذ "يرفرر" ويتلمس الطريق فاكتشف عالماً رحباً وغنياً بلا حدود، وكثيرون آثروا البقاء فوق الأنقاض ينتظرون أن تعود قضبان الأقباص لتحكم إغلاقها عليهم مرة أخرى".

كان هذا وصف رمزي لتجربة اليسار على لسان الأديب إميل حبيبي³²⁹، وإذا جاز الانطلاق من هذا الوصف الساخر، فإن عدداً لا بأس به من اليساريين الأفراد غادروا الحطام بحثاً عن مصلحة فردية خاصة ولاذوا بالسلامة لكنهم تنكروا لماضيهم، والبعض ركل ماضيه من دون رحمة، وآخرون غادروا الحطام واستمر انشداهم للمشروع لكنهم لم يفلحوا في أداء دور إنقاذي، أما أكثرية اليساريين فما زالت تنتظر حول القفص بعد أن أعادت وضع القضبان حباً وطواعية³³⁰.

إن نهوض اليسار في صفوف شعبنا وحركتنا التحررية، كما في عموم منطقتنا العربية، يبقى في إطار الممكن، لا بل هو ضرورة حيوية لمواجهة التحديات المتصاعدة، أما الشروط الذاتية لهذا النهوض فهي ما ينبغي على قوى وتيارات اليسار العمل على توفيرها، بمعزل عن الصعوبات الموضوعية والمادية، وبمناى عن نزعات الاحتماء بالعادات القديمة، فاليسار من المفترض أنه المدافع الأول بناء على مرجعياته الفكرية عن مصالح الفئات المسحوقة في مجتمعنا والتي تشكل غالبية الشعب³³¹، وإذا لم يستطع اليسار الحالي تمثيل الواقع الفلسطيني ستجد عليه تغييرات وقد تنشأ عوامل تجبره على التغيير، أو تنشأ أحزاب تحل محله³³².

³²⁹ مهند عبد الحميد، " اليسار الفلسطيني والدور المفقود"، شبكة الانترنت للإعلام العربي، Arabic Media Internet network
http://www.amin.org/views/mohannad_abdul_hamid/2004/may25.html.

³³⁰ المصدر نفسه.

³³¹ داوود تلحمي. (تشرين أول، ٢٠٠٥): تيارات الفكر السياسي الفلسطيني،.. وآفاق نهوض التيار اليساري". شبكة الانترنت للإعلام العربي
Arabic Media Internet network
<http://www.amin.org/views/uncat/2005/oct/oct24-6.html>.

³³² عبد المجيد حمدان. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

ونستعرض فيما يلي مستقبل اليسار والدور المطلوب منه على النحو التالي:

أولاً: مستقبل اليسار

ثانياً: محاولات لتوحيد اليسار

ثالثاً: اليسار ومتطلبات التجديد

رابعاً: الدور المطلوب من اليسار

أولاً: مستقبل اليسار

تفاوت آراء المحللين والنقاد وكذلك قادة وكوادر الأحزاب الفلسطينية حول مستقبل اليسار الفلسطيني بين:

١. متفائل ينظر بإيجابية للمستقبل يرى أن اليسار الفلسطيني قادر على تجاوز أزمته، وهذا التفاؤل والتوقع به مبني على عوامل وأسباب علمية موضوعية، فالاتجاه البرجوازي يعيش أزمة مستعصية وبرامجه لم تعد خياراً للجماهير، كما أن الأيدولوجيا الدينية ستظل عاجزة عن طرح حلول لمعضلات الفقر والتخلف والثقافة الفلسطينية فهي جزء من أيدولوجيا البرجوازية والرأسمالية بشكل عام رغم الانتعاش وعناصر التقدم في المرحلة التي يعيشها شعبنا اليوم، كما إن إعادة صياغة وحدة مكونات اليسار الفلسطيني على أساس وضوح الالتزام بالنظرية الماركسية وإعادة صياغة برامجها بالاستناد إليها كل ذلك سيدفع موضوعياً نحو إعادة استنهاض دوره وحضوره وتميزه وبروز القطب اليساري الثالث في المجتمع الفلسطيني^{٣٣٣}.

٢. وآخر لا يرى مستقبلاً متفائلاً لمعظم هذه القوى، وقد يصل الأمر إلى حد توقع انتهاء وجود معظمها، وإن بقيت بعض الأطلال، أما من يتبقى منها فإنه سيعاني مخاض الاحتضار إن لم يتجه نحو القوى الحية في المجتمع ويشكل رافعة حقيقية لها نحو النهوض، كما أن الصعوبة التنظيمية والمكابرة والعنجهية لدى بعض هذه الفصائل ستدفعها نحو الهلاك، مما سيؤدي إلى إضعاف اليسار أكثر رغم أنه يحوز على مساحة واسعة من المجتمع خاصة على مستوى النخب الاجتماعية والسياسية والثقافية^{٣٣٤}.

وفيما يلي الموقفين:

³³³ أحمد سعادات. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³³⁴ طلال عوكل. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

١. يرى البعض أن هناك ضرورة موضوعية للييسار سواء كان ضعيفاً أم غائباً، فعلى الرغم مما يعانيه من قصور ذاتي في تأدية الدور الذي تقتضيه الضرورة الموضوعية، وعلى الرغم أيضاً من أن استجابته الذاتية مع الحاجة الموضوعية أفضل بكثير في عقود نموه وتطوره، فلا زال هناك مبرر وحاجة للييسار، فكلما زادت الأمور تعقيداً وتأزماً كانت هناك حاجة لبلورة ووعي وثقافة وتقاليد وقيم وديمقراطية ليسار من نوع جديد، في ظل ثنائية فتح وحماس، نحن بحاجة إلى معادل لا يمكن أن يكون إلا اليسار لضبط المعادلة وجعل إمكانية لعقلنة الصراع^{٣٣٥}.

فالييسار هو المعبر عن جملة خطوط بمثابة معالم بنيوية لا ينافسه عليها أحد وهي^{٣٣٦}:

- رؤيته النقدية العقلانية الثورية وصولاً إلى الاشتراكية وروحه التجديدية.
- مضامينه الطبقية الشعبية وانحيازه للقاعدة الشعبية والمضطهدين من الشعب والمهمشين وغيرهم.

- تمسكه بحقوق اللاجئين وهدف الدولة الواحدة بصرف النظر عن تموجاته.

- انحيازه للديمقراطية وقدرته على تطوير نفسه ديمقراطياً رغم ارباكاته.

- تخندقه مع معظم التيارات المناهضة للتسوية السلمية "الاستسلامية" والعولمة الأمريكية والعنصرية الصهيونية.

٢. يمكن أن يكون مستقبل اليسار واعداءً ويشكل المخرج من الوضع المأزوم ومن الاستقطاب الثنائي للساحة الفلسطينية بين فتح وحماس، وذلك بالعمل المتفاني بروح من نكران الذات، لتشكيل جبهة عريضة من القوى الديمقراطية، وليس القوى المصطلح عليها يسارية، لتفرض تصوراً ديمقراطياً حقيقياً للوضع الفلسطيني الداخلي غير المرضي، بعيداً عن الفئوية البغيضة وعن التعصب الديني، بمعنى مجتمع متسامح متآخي^{٣٣٧}.

٣. في المنظور الاستراتيجي، إن المستقبل للييسار الفلسطيني، كما هو مستقبل الإنسانية كلها، ففكرته هي الفكرة الإنسانية التي تحقق إزالة كل أشكال الاستغلال طبقياً أو قومياً أو عرقياً أو جنسياً، وهي الفكرة التي تحقق العدالة الاجتماعية للجميع، وهذا هو الأساس في فكرته حول فلسطين الديمقراطية التي يعيش فيها الجميع دون تمييز بسبب الدين أو الأصل القومي أو العرقي^{٣٣٨}.

³³⁵ مهند عبد الحميد، مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³³⁶ أحمد قطامش، مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³³⁷ نعيم الأشهب، مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³³⁸ جميل المجدلوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

٤. اليسار مستقبلي في ظل برامج الأحزاب اليمينية والبرجوازية غير المنتجة والطفيلية فهي ليست قادرة على حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المستعصية للجماهير، وقد بدت هذه الأحزاب على النطاق العالمي تتراجع، وأن النظام الرأسمالي في تطوره الحالي متمثلاً في العولمة الوحشية التي تجد معارضة شعبية عالمية لها، وبدء نهوض الأحزاب اليسارية والديمقراطية في العالم، مما يبشر بنشوء أهمية جديدة باتت معالمها تتبلور وتتضح. ولما كانت غالبية جماهير الشعب الفلسطيني هي من الطبقة العاملة والكادحة فإن ممثليها من أحزاب اليسار سوف تعزز مواقعهم وتأثيرهم في الحياة السياسية الفلسطينية، فإن هذه الجماهير وبحكم مواقعها الطبقيّة تتقبل إن لم تكن تميل لليسار والديمقراطية وتجد أفكار اليسار وطروحاته السياسية والاجتماعية تتجاوب مع مصالحهم^{٣٣٩}.

الموقف الثاني

١. الحديث عن خروج اليسار من أزمته، لا يخرج عن الحديث الذي يدور حول أزمة المشروع الوطني، والأزمة العامة التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني، لذلك فإن معالجة الأزمة تندرج في إطار النسبية، أما القدرة على التعافي والخروج تماماً من الأزمة نحو النهوض، فذلك أمر مرتبط بظروف تاريخية وطنية وإقليمية ودولية أخرى غير متوفرة، ولا مجال لرؤيتها في الأفق القريب^{٣٤٠}.

٢. يصبح اليسار الآن قوة هامشية أكثر فأكثر، كأحزاب وقوى، بالرغم أن هناك تيار في المجتمع ليس هامشي مؤهل للاستجابة للأفكار والمبادئ العامة، خاصة فئات الشباب، المرأة، الفئات الكادحة في المجتمع، الأكاديميين المثقفين بشكل عام، والمشكلة تكمن أن هناك استقطاب بين حركتي حماس وفتح يؤدي إلى تضييع القوة الموجودة وخاصة اليسار، لذلك فإنه ما لم تنشأ مبادرة لإقامة حركة يسارية ديمقراطية مفتوحة في داخلها تحتل كل ألوان الاختلاف والتنوع تبرهن على استعدادها لقبول ذلك، فاليسار سينراجع دوره أكثر فأكثر^{٣٤١}.

³³⁹ عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁴⁰ طلال عوكل. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁴¹ ياسر عبد ربه. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

٣. الحديث عن معسكر يساري فلسطيني متبلور وله ملامح مميزة غير قائم^{٣٤٢}، فالشعب الفلسطيني يمر بمرحلة تحرر وطني وليس اجتماعي، وفي مسيرة الاستقلال الوطني كثيراً ما تحدث تقاطعات تخط الأوراق، وكذلك الحدود بين اليسار واليمين[♦].

وبين هذين الفريقين يوجد فريق ثالث يصعب عليه التنبؤ بمستقبل اليسار وبقدرته على التعامل مع الحياة وتجديد نفسه، وهم يرون أن احتمالات التقدم ليست عالية جداً وذلك وفقاً لما تشهده الساحة الفلسطينية من تغييب لدور اليسار^{٣٤٣}.

مما سبق هناك ضرورة لوجود تيار ثالث بين التيار البرجوازي الوطني المتمثل بحركة فتح، والتيار الديني المتمثل بحركة حماس، وهذا التيار هو التيار الديمقراطي الوطني الذي سيشكل توازن بين طرفي المعادلة، ويعمل في نفس الوقت باتجاه سن قوانين وتشريعات تخدم مصالح الطبقة الفقيرة والمهمشة في المجتمع الفلسطيني، وهذا التيار لا يمكن أن تمثله إلا القوى اليسارية الديمقراطية، بحيث يبقى في المعارضة لمنع أية انحرافات أو تنازلات عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ويحافظ على المشروع الوطني ويخدم مصالح الشعب.

ثانياً: محاولات لتوحيد اليسار

لن يخرج اليسار الفلسطيني من أزمته العميقة، ما لم توجد صيغة ملائمة للتوحد وإنهاء حالة الشرذمة التي يعيشها^{٣٤٤}، فالحاجة إلى تشكيل سياسي للقوى الديمقراطية العلمانية، لا تمليها فقط متطلبات ديمقراطية النظام السياسي الفلسطيني وطرح نظام قيمي علماني تقدمي (موجه نحو ديمقراطية المجتمع وترسيخ التعددية فيه)، بل تستدعيها أيضاً بحكم التداخل الفعلي القائم بين المهمات الوطنية والاجتماعية - مجموعة المهمات الوطنية ذات الأهمية البالغة التي ما زالت تواجه القوى السياسية الفلسطينية بما فيها السلطة الوطنية^{٣٤٥}.

³⁴² نعيم الأشهب. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

♦ في الدورة التاسعة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني، التقى حزب الشعب الفلسطيني مع حركة فتح - التي لا تصنف في معسكر اليسار - ووضعاً أسس تلك الدورة، ولاسيما الاعتراف بقرارات الشرعية الدولية، ويشير إلى هذا التلاقي الرئيس الفلسطيني محمود عباس في كتابه "طريق أوسلو"، وقد وقفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بحزم ضد هذا الاعتراف، فيما انقسمت الجبهة الديمقراطية على نفسها حول هذه القضية بالذات.

³⁴³ زكريا محمد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁴⁴ تيسير عاروري. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁴⁵ جميل هلال (١٩٩٦): "حيثيات تشكيل قطب سياسي ثالث في الساحة الفلسطينية" مصدر سبق ذكره. ص ٥٢.

وتبرز الأهمية القصوى لبروز قوة ثالثة تشكل عامل توازن فعلي يملئ على القطبين المتواجدين على الساحة الفلسطينية أساساً للمشاركة الجماعية بدلاً من التنافس الثنائي الإقصائي، حيث يمكن للتيار الديمقراطي أن يشكل هذه القوى إذا توحد، وهو ما يتطلب استقلاله بالبرنامج والممارسة عن كلا القطبين برؤية بديلة وواضحة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، سواء في اتجاهات التغيير الديمقراطي في البناء الداخلي أو رؤية بديلة على أسس ديمقراطية لا صفات فئوية^{٣٤٦}، كما أن زيادة مستوى التنسيق والتعاون بين القوى الديمقراطية رغم بعض الخلافات السياسية - سيزيد من حجم دورها وفعاليتها وتأثيراتها الايجابية على الساحة الفلسطينية، من حيث قدرتها على الارتقاء بمستوى الوحدة الوطنية وما تعنيه من تعبئة وحشد وتوطيد للطاقت الفلسطينية^{٣٤٧}.

من هنا فإن الإطار المنشود ليسار لا ينبغي أن يكون تجمعاً يقتصر على الفصائل القائمة، لأنه في تلك الحال سيفقد جزءاً حيوياً من وظيفته ومغزاه، وقوى اليسار المنظمة يمكن أن تشكل نواة هذا الإطار، وبفعل وجودها الجماهيري المنظم يمكن أن تكون ركائز تنظيمية لإطلاقه وانطلاقته، إلا أن هذا الإطار يكتسب مغزاه ويلبي وظيفته فقط إذا اتخذ صيغة تجمع ديمقراطي منفتح يتسع لكل مكونات وعناصر التيار الوطني الديمقراطي العلماني الواسع في مجتمعنا^{٣٤٨}.

وإذا أريد لهذا الإطار أن يشق طريقاً يتجاوز الاستقطاب القائم في ساحتنا السياسية فإن عليه أن يقف في موقع التمايز والاستقلال عن كلا القطبين الآخرين، مما يعني أن الموقع الطبيعي للقطب الديمقراطي هو في المعارضة وليس في المشاركة في السلطة، ولكن المعارضة التي تقدم بديلاً ملموساً لنهج السلطة القائمة سواء في الشأن الوطني أم الديمقراطي أم الاجتماعي^{٣٤٩}.

كما أن محاولات استشراف اليسار لن تكون ذات معنى عملي ملموس وجدي، ما لم يقم الديمقراطيون الفلسطينيون ببناء تجربتهم الجديدة والخاصة، وتقديم إسهامهم ليس من واقع خصوصية وتطور نضالهم والمهام الوطنية والاجتماعية والديمقراطية المطروحة عليهم، والتي يتعين عليهم مواجهتها وحلها، وإنما من واقع تجربتهم عليهم اجتراح تلك الرؤية التوحيدية التي يجب أن تتواصل وتتصاعد كخيطة ناظم لهذه

³⁴⁶ صالح زيدان. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁴⁷ جورج حبش. (١٩٩٢): فلنحتكم إلى الشعب قبل الإقدام على حلول وخطوات سياسية كبيرة. ص ١٥.

³⁴⁸ قيس عبد الكريم. (١٩٩٨): متغيرات المرحلة واستحقاقات التجديد. في: (محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنوية في الحياة السياسية

الفلسطينية وآفاق العمل، ٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨. مؤسسة مواطن ن رام الله. ص ١٨٣.

³⁴⁹ المصدر نفسه. ص ١٨٣.

المهمة في سياق العملية الكفاحية التحررية الوطنية من جهة، وفي إطار من المراجعة النقدية المعمقة والصارمة والمتواصلة في آن واحد من جهة أخرى³⁵⁰.

لذلك فإن الخطوة التالية يجب أن تشهد شكلاً من أشكال التوحد الحقيقي بين هذه الأطراف، خاصة وأن قضايا الاتفاق أكثر بكثير من قضايا الاختلاف، ذلك أن مثل هذا التوحد يشق أملاً وطريقاً جديداً ينتظره آلاف المنتظرين والمتطلعين للانخراط في عملية تشكيل التيار الثالث أو القوة الثالثة، كما أن هذا التوحد يجب أن يتميز بالبعد الديمقراطي وبالإيمان بقدرة الشباب، وضرورة التجديد القيادي والكادري، وبتغيير آليات وأشكال العمل التنظيمي، أما على الصعيد البرنامجي فيجب إعطاء دور أكبر لمعالجة قضايا المجتمع وفق رؤية واضحة تميز بين مهمة البناء الديمقراطي والتحرر الوطني.

من هنا فإن قوى اليسار بحاجة إلى تحقيق الشرعية الشعبية والسياسية والقانونية وقوة مبرر الوجود عبر البرامج السياسية والمجتمعية، وإلا فإن هذه المرحلة ستطول، ولكنها مرحلة إعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية التي تحصلت تحت ضغط حركة الواقع والمتغيرات وضرورات ولادة الجديد³⁵¹.

وقد جرت على مدار الأعوام الماضية العديد من المحاولات لتوحيد نشاط التيار الديمقراطي الفلسطيني، حيث تواصلت هذه المحاولات رغم التعثرات والتباينات والاجتهادات المختلفة، الأمر الذي يؤكد قوة الحاجة الموضوعية لتنظيم هذا التيار، وافتقاد الساحة السياسية الفلسطينية لتعبئة الفراغ السياسي الناشئ عن استفراد قطبين رئيسيين في تملك زمام الحركة السياسية في البلاد، وهما القطب الذي يمثل التيار الغالب في السلطة الوطنية بمكوناتها المختلفة من جهة، والقطب الذي يمثل تيار الإسلام السياسي من الجهة الثانية، فيما غاب عن صدارة الحركة السياسية الفلسطينية الحالية التيار الذي طالما مثل الجمهور الديمقراطي الفلسطيني العريض الواسع، والذي شكلت فصائله وتشكيلاته التنظيمية المختلفة ومؤسساته الاجتماعية والديمقراطية والنقابية وعلى مدار الخمسين عاماً الماضية أحد الأركان الرئيسية لحركة النضال الوطني الفلسطيني التحرري المعاصر، ولعبت دوراً حاسماً في قيادته وتوجيهه وشده نحو الأهداف الوطنية والتحررية، وتأكدت في سياق هذه المحاولات أيضاً ضرورة خلق صيغة عمل تنظيمية موحدة تتوج المشاركة الواسعة لمختلف قوى وهيئات ومؤسسات ومناضلي وجمهور التيار الديمقراطي، الجمهور الواسع الذي يسعى هذا التجمع لاجتذابه وتحقيق طموحاته، وبلوغ أهدافه الاجتماعية والسياسية الوطنية العامة، ومن منطلق الحاجة لتطوير نظامنا السياسي والاجتماعي الفلسطيني فإن التقدم بخطوات

³⁵⁰ أحمد مجدلاني، " نحو إعادة بناء وتجديد اليسار الفلسطيني"، شبكة الانترنت للإعلام العربي، Arabic Media Internet network

http://www.amin.org/views/ahmad_majdalani/2002/sept18.html.

³⁵¹ طلال عوكل. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

عملية حقيقية وفي مقدمة ذلك الإعلان عن ولادة "التجمع الديمقراطي الفلسطيني" قد باتت ضرورة وطنية من الدرجة الأولى لا تقبل التأجيل³⁵².

وفي هذا الشأن تحدث د. تيسير عاروري أحد قادة حزب الشعب السابقين عن العديد من المحاولات التي جرت منذ العام ١٩٩٣م لإيجاد صيغة أو مجموعة صيغ لتوحيد تيار اليسار الديمقراطي^{*}، مؤكداً وللأسف فشل كل هذه المحاولات، واعتبر أن أسباب الفشل هي ذاتية وليست موضوعية ولها علاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك بحكم التوافقات الداخلية الموجودة فيها والتي كانت تكفل البقاء لأي قوة ومهما كانت ضعيفة ومهما كان تواجدتها شكلياً في المنظمة.

من بين هذه المحاولات :

- محاولة أولى في عام ١٩٩٣م، أنشأت "حركة الإصلاح الديمقراطي لمنظمة التحرير الفلسطينية" ضمت (١١١) عضواً في المنظمة أي أكثر من ربع الأعضاء وخاضت لجنة المتابعة نقاشات مطولة مع اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير بوجود الرئيس الراحل ياسر عرفات، إلا أنها لم تعط أية نتائج.

- محاولة ثانية في عام ١٩٩٥م نشأت حركة جديدة سميت "الحركة الشعبية الديمقراطية الفلسطينية" وقد قطعت شوطاً على طريق توحيد التيار الديمقراطي، إلا أن التجربة تحطمت على صخرة الموقف من المشاركة وعدمها في انتخابات المجلس التشريعي في كانون ثاني/ يناير ١٩٩٦م.

- و المحاولة الثالثة في عام ١٩٩٧م كانت بمشاركة ممثلين عن قيادة القوى التالية (حزب الشعب، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، جبهة النضال الشعبي، حزب فدا) وقطعت هي الأخرى شوطاً كبيراً وعند اقتراب النهاية فشلت المحاولة.

- والمحاولة الرابعة في عام ١٩٩٨م أنشأت حركة سميت "الحركة الديمقراطية الفلسطينية" ضمت شخصيات سياسية، بعضها من داخل قوى اليسار، وبعضها الآخر غادر هذه القوى، وقامت الحركة بحوارات مع قيادات الفصائل السابقة أثمرت في العام ٢٠٠١م عن تشكيل لجنة على أعلى مستوى تضم (الأمين العام وعضو مكتب سياسي وثلاثة أعضاء من الحركة الديمقراطية) توصلت اللجنة

³⁵² بلا كاتب. (٢٠٠٣): مشروع الوثائق البرنامجية. التجمع الديمقراطي الفلسطيني، فلسطين. ص ص ٣٧-٣٨.

* المقصود بالتوحيد، إيجاد صيغة تنظيمية لقوى اليسار قد يكون حزب واحد، ائتلاف تجمع ولكن هي صيغة تضمن العمل المشترك أرقى أشكالها أن يكون حزب واحد، من غير الواقعي أخذ تجارب شعوب أخرى، القفز من حالة تشرذم حزب واحد، لا بد المرور لعملية انتقالية صيغ فضفاضة، لكن العملية لاحقاً تعود للانصهار في حزب واحد.

التي كانت تجتمع أسبوعياً إلى صياغة وثيقة برنامجية، تم الموافقة عليها رسمياً من قبل المكاتب السياسية لكل القوى*، إلا أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد اغتيال الشهيد أبو علي مصطفى وللأسف قررت التوقف عن المشاركة في التجمع الديمقراطي، وكذلك الجبهة الديمقراطية، بينما قرر البقية (حزب الشعب، فدا، جبهة نضال الشعب، ومستقلين) الاستمرار والالتزام بنفس الوثيقة، وترك الباب مفتوح أمام الجبهتين الشعبيتين والديمقراطية للانضمام مرة أخرى، وأعلن عن تأسيس التجمع في اجتماع كبير في الثاني من أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣م بعد التوقيع على الوثيقة التأسيسية والتي شملت توقيع ٧٣٧ شخصية سياسية من داخل وخارج فلسطين.

من جانبه كشف أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن جبهته قامت بعد الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٥م بالعمل لاصطفاف القوى اليسارية والديمقراطية في إطار قطب ثالث حيث عقدت حوارات مكثفة مع هذه القوى، وقد طرحت الجبهة ضرورة أن يكون هناك برنامج سياسي واجتماعي متماسك وواضح، تلتزم به القوى اليسارية والديمقراطية وعلى أساسه يتم إدارة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، مشيراً إلى أن المشكلة التي تعاني منها هذه القوى تكمن في عدم التكامل فيما بينها، فثمة هناك خلافات سياسية ومنهجية حول التعامل مع المشاريع السياسية المطروحة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، وأضاف أن هذه الخلافات حالت دون توصل هذه القوى إلى اتفاق لتشكيل قائمة موحدة لتمثل ما يعرف بـ "القطب الثالث" أي "التيار الديمقراطي اليساري"^{٣٥٣}، وأكد جميل مجدلاوي أحد قيادات الجبهة الشعبية أن بلورة وتنظيم التيار التقدمي الديمقراطي ستظل أحد خطوط عمل الجبهة الرئيسية على الصعيد الوطني، مع إدراكها للتعقيدات والمواقف الراهنة المختلفة والمتباعدة أحياناً بين طيف هذا التيار الواسع من القوى والهيئات والشخصيات^{٣٥٤}.

- لقد باتت وحدة اليسار ضرورة ملحة في ظل المرحلة الحالية التي تتعرض فيها القضية الفلسطينية لمخاطر جمة، خاصة في ظل القطب الواحد وهيمنة الولايات المتحدة الأميركية على العالم ودعمها للامحدود لإسرائيل من خلال تأييدها لممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني المتمثلة في الحلول الانفرادية من جانب، وتوسيع الاستيطان، مواصلة اعتداءاتها العسكرية اليومية، ومصادرة الأراضي لبناء المستوطنات وإقامة جدار الفصل العنصري، وتهويد وضم القدس وغيرها من

* لعب الشهيد أبو علي مصطفى دوراً هاماً في دفع هذه العملية بسرعة فقد كان يكرر باستمرار "يا رفاق ليس مسموح لنا أن نفضل"، وعندما جرت صياغة الوثائق وكانت المادة تحت الطابعة تم اغتياله، لذلك تم إضافة إهداء الوثيقة لروح الشهيد أبو علي مصطفى لدوره المتميز في التوصل لتلك الوثيقة.

³⁵³ أحمد سعدات. (٢٠٠٥، ١١ كانون أول): الخلافات السياسية والحسابات الضيقة أفضلت تشكيل قائمة موحدة. الرأي الأردنية. ص ٤.

³⁵⁴ جميل مجدلاوي. (٢٠٠٠): استشراف المستقبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره. ص ٥٥٠.

الإجراءات الظالمة بحق الشعب الفلسطيني.

- توحيد اليسار يحد من هرولة البرجوازية الفلسطينية باتجاه التعاطي مع الحلول الأميركية والرضوخ لإملاءاتها، كما أنه في نفس الوقت يحد من التصلب السياسي الذي يمثله التيار الديني ويدفع باتجاه جعل موقفه أكثر مرونة على الصعيد الديمقراطي والتعاطي مع قضايا المجتمع.

ثالثاً: اليسار ومتطلبات التجديد

إذا فشلت كافة محاولات توحيد اليسار، فإن هناك من يرى ضرورة لتجديد اليسار المتواجد على الساحة الفلسطينية، حيث إن التجديد الممكن والمنشود يرتكز على القوى القائمة بكل مكوناتها وعلى نتائج التجربة الخاصة، وما حققته هذه القوى من إنجازات وما عانته من إخفاقات، فالتجديد يخرج من رحم ما هو قائم وبهدف تجاوزه وتجاوزه أزمته³⁵⁵.

وحتى تأخذ عملية "تجديد اليسار واستعادة دوره" طريقها للنجاح، يجب ألا تقتصر على التجديد الفكري على الرغم من أهميته، بل أن ينعكس هذا التجديد علمياً وعملياً في الواقع الفلسطيني وواقع المحيط العربي، وأن يتطور دور وممارسة قوى اليسار استناداً له في ميزان القوى الدولي والإقليمي، وكما أن عملية نهوض اليسار الفلسطيني مسؤولة مشتركة لعموم قواه وفئاته فإنها مرتبطة، إلى حد ما بنهوض اليسار العربي، فمسئولية النهوض هذه تقع على عاتق جميع قوى اليسار في الوطن العربي، فإطار فعل اليسار تبرز في التصدي لهماوم الإنسان العربي ولقضاياه المصيرية الوطنية والاجتماعية والقومية، إلى جانب الدور القيادي والعقلية القيادية المتجددة التي تمثل أحد شروط النهوض والتجديد الديمقراطي، وتلعب دوراً هاماً في التغلب على موروثات الماضي السلبية بما في ذلك الفتوية الضارة والعصبوية الحزبية، وتساهم في فتح الطريق أمام تقدم اليسار لاستعادة ثقة الجماهير به وبالعامل السياسي والحزبي وبقدرته على التصدي لأعباء المرحلة، عبر هذا ينهض اليسار بنفسه ودوره ويساهم في إنهاء الشعب من حالة الإحباط والركود التي يعيشها³⁵⁶.

ويرى آخرون، أنه لا توجد إمكانية لتطوير القديم، بل إنه عقبة في وجه التجديد، فالفصائل والأحزاب أصبحت أسيرة لآليات عفا عليها الزمن، فهي لم تحاول مواكبة التطور في الماضي، مما ولد واقعاً متصلاً متحجراً مغلقاً ربط نفسه بقيم بالية وبأعراف لا تواكب ولا تستوعب أي تطوير أو تجديد، كل

³⁵⁵ عبد الرحيم ملوح (١٩٩٨): التغيرات البنوية وأفاق التجديد. مصدر سبق ذكره. ص ص ١٧١-١٧٢.

³⁵⁶ المصدر نفسه. ص ص ١٧١-١٧٢.

ذلك للمحافظة على مصالح خاصة غالباً ما تكون شخصية ضيقة لفرد أو مجموعة متجانسة المصالح، أو مركز قوى فكري معين وذلك بحجج مختلفة منها منع الاختراق والأمن والفئوية والانتماء الفكري الفئوي أديا إلى هجرة الكادرات والمتقنين والأكاديميين، وجعلهم يلجأون في أحسن الأحوال للعمل الوطني المستقل خارج هذه الفصائل والأحزاب، لهذا فالأحزاب والتنظيمات القائمة غير قادرة على الاستمرار في قيادة الشعب الفلسطيني، لذلك فإن هناك ضرورة لتأسيس أحزاب جديدة تستطيع تجاوز هذه السلبيات وتعالجها بشكل موضوعي لتكون قادرة على قيادة الشعب نحو تحقيق أهدافه^{٣٥٧}.

وأياً كان الموقف من تجديد اليسار فإن استحقاق التجديد يقترن بالحاجة إلى بناء قوة جماهيرية ومادية تتجاوز الاستقطاب الجاري على الساحة الفلسطينية، وهو ما يطرح بإلحاح ضرورة وحدة قوى اليسار وبما يمكن من إعادة تعبئة وتفعيل التيار الجماهيري الديمقراطي العلماني الواسع^{٣٥٨}. كما أن طرح القوى الديمقراطية العلمانية لبرنامج يتلاءم مع مهمات المرحلة الراهنة هو عنصر حيوي في عملية إعادة الاعتبار إلى العمل السياسي المنظم، لكن ذلك لا يشكل شرطاً كافياً، فهناك ضرورة دمقرطة الحياة الداخلية للتشكيل السياسي الجديد بما يشرك الأعضاء والمؤيدين في صوغ سياسة الحزب وتوجهاته وإغنائها، وضرورة دمقرطة العلاقة مع المجتمع وضمان التفاعل الدائم بما يعزز قدرات التشكيل السياسي على تمثيل مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية التي يسعى لتمثيلها، إن شكل التنظيم السياسي على قدر كبير من الأهمية في مرحلة تشهد الساحة الفلسطينية فيها نفوراً وانسحاباً من الأحزاب والسياسة^{٣٥٩}.

من هنا فإن تجديد اليسار يتم من خلال عدة طرق:

- قيام كل تيار أو فصيل يساري بإصلاحات داخلية على الصعيد الفكري والتنظيمي.
- صياغة وثيقة فلسطينية تنظم عمل القوى اليسارية الديمقراطية، تكون بمثابة ميثاق لجميع القوى اليسارية والعلمانية المستقلة.
- قيام القوى اليسارية بعقد مؤتمر عام، يتم الإعلان من خلاله عن توحيد اليسار على أسس ديمقراطية، وذلك بعد الإعداد له بطريقة سليمة وصحيحة.
- الإعلان عن تشكيل حزب جديد يعتمد على مبدأ توسيع الممارسة الديمقراطية، ويضم كافة الأحزاب اليسارية والشخصيات العلمانية الديمقراطية.

³⁵⁷ مروان الكفارنة (١٩٩٨): المعوقات الذاتية والداخلية لنشوء أحزاب جديدة، مصدر سبق ذكره. ص ٢١٥.

³⁵⁸ صالح زيدان. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁵⁹ جميل هلال. (١٩٩٦): "حيثيات تشكيل قطب سياسي ثالث في الساحة الفلسطينية". مصدر سبق ذكره. ص ٥٤.

رابعاً: الدور المطلوب من اليسار

لا تختلف فصائل اليسار على وجود أزمة في صفوفها، وأياً كانت الأسباب، فلا بد من البحث عن حلول للخروج منها، فمستقبل اليسار يعتمد على قدرته في بناء قاعدة اجتماعية يستند إليها ويدافع عنها ويمثلها سياسياً واجتماعياً، وهذا يتطلب وجود ممثلين لهذه القاعدة في صفوفه، ويقصد بالتحديد تلك الفئات الاجتماعية المضطهدة والمميز ضدها من عمال وفلاحين وطلاب وتجار وحرفيين ومهنيين، وكذلك أيضاً الفئات الوسطى بشكل كامل وأوساط وعينة في الرأسمالية الوطنية التي تضررت مصالحها بفعل الاحتلال وحالة الفوضى والفساد في السلطة الوطنية الفلسطينية، ويعتمد المستقبل كذلك على قدرة أحزاب وفصائل اليسار على تبني برنامج اجتماعي واقتصادي، يوحد القوى الديمقراطية في المجتمع ويجمعها في إطار تيار عريض بإمكانه أن يشكل بديلاً لثنائية السلطة والقوى الدينية في المجتمع الفلسطيني³⁶⁰.

وتبدأ معالجة الأزمة من اعتراف أطراف اليسار كل بشكل منفصل، ثم بشكل جماعي بوجود الأزمة، والتعرف على أسبابها، وتجديد هويتها الأيديولوجية وبرامجها بصورة واقعية، بحيث تعكس تمايزها الموضوعي عن التيارين الآخرين الوطني والإسلامي، فوعي الأزمة والاعتراف بها وإدراك أن الأزمات مهما كانت حدثها هي ظواهر مألوفة في حياة المجتمعات والأحزاب، تحدث في كل مكان وزمان، وهي أيضاً ظواهر قابلة للتجدد والتكرار بظروف وأشكال شتى، لهذا فإن الخروج من الأزمة الراهنة يتطلب البحث الجاد والجريء في طابعها ومكوناتها وكشف مواقع الاختلال لتصبح إمكانية معالجتها واردة³⁶¹:

وفيما يلي ما هو المطلوب من اليسار على الصعيد الفكري، التنظيمي، الوطني، والدولي:

أولاً: على الصعيد الفكري

- على اليسار القيام بمراجعة جذرية نزيهة وشجاعة لكافة أوجه التقاليد والممارسات والسياسات والأفكار التي اعتمدها في السابق، وذلك بمراجعته للفكر الماركسي وطريقة التعاطي معه، ومراجعة منهج العمل الحزبي في العلاقة مع الجماهير، وفي العلاقات الداخلية وفي آليات اتخاذ القرار، الأمر الذي يلزم إعادة تقييم شاملة وجوهرية ويلزم نقد ذاتي حقيقي وليس شكلي للماضي

³⁶⁰ حنا عميرة. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁶¹ جميل مجدلاوي. (٢٠٠٠): استشراف المستقبل، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مصدر سبق ذكره. ص ص ٥٥٣-٥٥٥.

والحاضر^{٣٦٢}، لهذا فعلى اليسار القيام بحسم خيالاته الفكرية ومغادرة دور تهجين الفكر الماركسي وضبابية عرضه على الجمهور، بعبارات مكتسبة تجمع بين الفكر البرجوازي والديني، وإعادة إنتاج الايديولوجية الثورية في جانبيها السياسي والاجتماعي الديمقراطي في الواقع الفلسطيني والعربي، حيث لا يمكن الفصل بين العلاقة العضوية بين نهوض قوى اليسار على الصعيد الإقليمي العربي والفلسطيني، أي أن اليسار الفلسطيني عليه أن يخلع بزته الإقليمية والانتكفاء على الهم الوطني دون رؤية الترابط الجدلي بين ما هو وطني وطبقي، ووطني وقومي، وقومي وأممي، فاستعادة هذه الأبعاد تضع اليسار الفلسطيني على الطريق الذي يقوده نحو مغادرة الأزمة والنهوض واندفاعه نحو قيادة العملية الثورية في فلسطين والعالم العربي^{٣٦٣}، بدون هذه الطريقة في المراجعة والتي إذا ما تمت قد تتمخض عن ظهور أنويه لأحزاب جديدة تختلف على نحو عميق مع السابق، - فإن اليسار مآله إلى مزيد من الانهيار والتلاشي ليتحول إلى مجموعات صغيرة غير مؤثرة، لأن الأمر بحاجة إلى معجزة لإنقاذ هذه التكوينات التي تعاني من أزمة^{٣٦٤}.

- يرى بعض المحللين أن على اليسار عدم تبني أيديولوجية متكاملة، وإنما يتبنى مجموعة قيم ومبادئ عامة تدعو إلى العدالة، المساواة، تحرير المرأة، إطلاق طاقات الشباب والمجتمع، أي التقدم والتطوير بشكل عام، ويحول هذه المبادئ إلى خطط عمل ملموسة في إطار الواقع المحدد الذي تواجهه وتسعى لتطبيق هذه الخطة^{٣٦٥}.

ثانياً: على الصعيد التنظيمي

- إن استيعاب المرحلة الجديدة ينبغي أن يطرد وإلى الأبد مقولات أن الزمن قد تجاوز الحزب والحزبية أو التنظيم الصلب الذي حلت محله مكتبية طويلة قليلة الفاعلية، فالمكتبية والانتخابية هما مظهرين للحزبية وليسا بديلاً لها، وإن تكريس الجهد الأساسي للمسألة التنظيمية بالإفادة من المكتبية والانتخابية وتثميرها تنظيمياً وسياسياً هو بداية الخروج من الأزمة وحسب انجلز (تأتي لحظات في التاريخ، إما أن تقتضيها الطبيعة أو تبقى في معزل)^{٣٦٦}.

- إن وعي الأحزاب والفصائل الفلسطينية بمجمل القضايا النظرية والتنظيمية يتطلب البدء بعملية تعبير نوعي في طبيعة وأداء العلاقات الحزبية الداخلية الراهنة بكل عناوينها ومسمياتها، بما يؤدي

³⁶² ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁶³ أحمد سعادات، مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁶⁴ ساجي سلامة. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁶⁵ ياسر عبد ربه. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁶⁶ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

- إلى التطبيق الخلاق بين النظرية والممارسة ارتباطاً بوعي الواقع العربي من حولنا من ناحية وبما يجسد مفهومي الالتزام والانتماء للحزب من ناحية ثانية، كما أن أية محاولة لاستنهاض أحزاب وفصائل اليسار العربي ينبغي أن نبدأ بنقد تجربتها سواء على صعيد النظرية أو الوعي الأيديولوجي أو على صعيد ممارستها لدورها طوال المرحلة الماضية³⁶⁷.
- إتباع الديمقراطية الحزبية الداخلية، فهي التي تؤمن المناخ المناسب لإطلاق أوسع فاعلية فكرية في الحزب تعود لتشكل رافعة الارتقاء بالوعي الفردي والجمعي فيه وتحرر العقل الحزبي من قيود الركود والشلل، كما أنها الحل الأمثل لإدارة تناقضات الحزب الداخلية³⁶⁸.
 - الانتخابات الدورية السنوية، لجميع الهيئات من أدنى إلى أعلى وعلى قاعدة التمثيل النسبي.
 - استفتاء جميع الأعضاء على أية تعديلات جوهرية في البرامج أو في السياسات المتبعة³⁶⁹.
 - انتخاب قيادات مطعمة بعناصر جديدة والسماح لدماء جديدة بالدخول على اليسار³⁷⁰، فدون تفعيل للقيادة بعناصر جديدة وشابة واعية براجماتية لا أمل في التقدم لهذه التنظيمات³⁷¹.
 - مشاركة مؤيدي وناخبي هذه التنظيمات في تحديد سياسة التنظيم أو الحزب، لا يمكن الاكتفاء بالاجتماعات المغلقة لأعضاء التنظيم لابد من عقدها في ظل وجود أعضاء التنظيم والمؤيدين له³⁷².
 - على اليسار استعادة ما فقده من كادرات وعناصر وهي تعد بالآلاف، وذلك بدعوة كل من قضى 3-4 سنوات في الحزب أو الفصيل للمشاركة في "مؤتمر عام لانتخاب قيادة الحزب أو الفصيل والمرشحين، وهذا التصرف سيعيد الكثير ممن تركوا صفوف الأحزاب³⁷³.
 - استغلال وسائل الإعلام بالطرق الصحيحة، من إعادة صدور الصحف والمجلات التابعة للأحزاب والفصائل، وإنشاء محطات وقنوات تليفزيونية خاصة بقوى اليسار³⁷⁴.
 - ضرورة الاستقلال المالي، لأنه الضمان الوحيد لاستقلال اليسار برأيه وقراراته³⁷⁵.
 - تشكيل جبهة يسارية وأئتلاف يحتمل ألوان من الاختلاف والتباينات، أي يحتمل تنوع في إطار الجبهة العامة³⁷⁶.

³⁶⁷ غازي الصوراني. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁶⁸ جميل مجدلاوي. (٢٠٠٠): "استشراف المستقبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" مصدر سبق ذكره. ٥٥٣-٥٥٥.

³⁶⁹ قيس عبد الكريم. (١٩٩٨): اليسار الفلسطيني، متغيرات المرحلة واستحقاقات التجديد. مصدر سبق ذكره. ص ١٨٥.

³⁷⁰ مهند عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁷¹ أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁷² زكريا محمد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁷³ المصدر نفسه.

³⁷⁴ مهند عبد الحميد. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁷⁵ المصدر نفسه.

- قيام اليسار بتوحيد صفوفه على أساس القوائم المشتركة بين فصائله، ليشكل بذلك البديل التقدمي الديمقراطي الواضح والقوى لبرنامج البرجوازية الوطنية بعناصره الرئيسية في السياسة والمجتمع سواء في اتفاقيات أوسلو أو خارطة الطريق وفي سياسات التفرد وسوء الإدارة، أو برنامج الإسلام السياسي في تطرفه السياسي وبرنامج الاجتماعي^{٣٧٧}.

ثالثاً: على الصعيد الوطني

- اليسار جزء أساسي من الحركة الوطنية، لذلك لا بد أن يكون هناك اهتمام بالقضايا الاجتماعية والديمقراطية، فاليسار من الأساس مفترض أن يمثل الطبقات الفقيرة من عمال، وفلاحين، لذلك عليه أن يبلور رؤية تستجيب لخصائص الوضع الفلسطيني^{٣٧٨}، وتضم برنامجاً سياسياً واجتماعياً واضحاً يحدد بدقة أهداف النضال الوطني والاجتماعي الفلسطيني في هذه المرحلة، وأشكال ووسائل المقاومة والنضال من أجل تحقيق هذه الأهداف، ثم أدوات النضال، وأشكال وأساليب العلاقة مع الجماهير بحيث يجسد اليسار الفلسطيني بالقول والعمل فكرة الطليعة التي تسير مع الجماهير وفي صفوفها الأولى، لا تتعالي ولا تتوب عن الجماهير، وفي نفس الوقت لا تتخلف عنها^{٣٧٩}.

- قيام اليسار بفرض برنامجه قدر الإمكان على البرنامج الفلسطيني العام، ويجب أن ينعكس في تغيير التشريعات لما يخدم مصالح الفئات الفقيرة والمهمشة في المجتمع، وأن يحدث تغييرات تشريعية لتكريس نظام ديمقراطي حقيقي ولفرض نظام علماني، لأنه المدخل لاجتثاث الفساد وبدء عملية تنمية اقتصادية اجتماعية وثقافية^{٣٨٠}، وكأي قوة سياسية أو تيار على اليسار أن يسعى بكل وسائله لإيجاد المنظومة القانونية الضرورية لتنظيم العمل فهو شريك طبيعي وحليف لحركة فتح في المشروع الوطني الفلسطيني وهو أكثر شراكة من أي تيار ديني وسياسي^{٣٨١}.

- قيام اليسار بأداء وظيفته التاريخية:

١. في نقض التخلف ونشر الوعي التحرري والعقلاني والديمقراطي.

٢. بناء الأداة السياسية القادرة على لعب دور طليعي في تنظيم الجماهير وتفجير طاقاتها التحاماً بحقوقها وقضاياها وأهدافها.

³⁷⁶ ياسر عبد ربه. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁷⁷ جميل المجدلاوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁷⁸ هاني المصري. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁷⁹ جميل المجدلاوي. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

³⁸⁰ تيسير عاروري. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁸¹ أحمد صبح. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

٣. حماية وتعزيز الصمود الفلسطيني.

٤. بناء المجتمع المدني والتشبث بالخط التحرري والأهداف الوطنية مروراً بتشكيل عنوان

استقطابي لخلق توازن في المجتمع^{٣٨٢}.

- الأخذ قولاً وعملاً بقوانين التحرر الوطني للخلاص من الاستعمار والاحتلال، وفي المقدمة برامج القواسم السياسية والأمنية والاجتماعية المشتركة لانتزاع الحرية والاستقلال تحت سقف قرارات الشرعية الدولية وحل مشكلات المجتمع لتوحيد الشعب في الصمود حتى الخلاص من الاحتلال وبناء سلام شامل متوازن^{٣٨٣}:
- لكي يحتل الإطار الديمقراطي المنشود موقعه كتيار رئيسي في الحركة الوطنية للشعب الفلسطيني، عليه أن يعبر في برنامجه كما في بنيته التنظيمية عن وحدة الشعب الفلسطيني بكافة تجمعاته في الوطن والشتات، إن التيار الوطني الديمقراطي يجب أن يكون إطاراً موحداً في الداخل والخارج، وأن يشمل نشاطه تجمعات الشتات إلى جانب الوطن، مع الأخذ بعين الاعتبار تباين الظروف وشروط العمل بما يمليه ذلك من تمايز في البرامج الملموسة في كل موقع ومن مرونة في أشكال التنظيم^{٣٨٤}.
- تثبيت مبادئ شراكة سياسية حقيقية، وهذا غير ممكن سوى باستراتيجية فلسطينية موحدة وانتقال الجميع إلى الأمام من البرنامج الخاص للوقوف مع الجميع على أرضية البرنامج المشترك^{٣٨٥}:
- الاتفاق بين جميع الفصائل والقوى الحية الفلسطينية على إعادة بناء منظمة التحرير الائتلافية بانتخابات شاملة على أساس قوانين التمثيل النسبي الكامل ١٠٠% في الوطن وأقطار اللجوء والشتات^{٣٨٦}:

رابعاً: على الصعيد الدولي

- على القوى اليسارية أن تأخذ بالمستجدات والتغيرات العالمية وتطور العلوم والتكنولوجيا، ثم تعزيز مواقعها وعلاقتها مع القوى اليسارية الغربية والعالمية^{٣٨٧}.
- الاستفادة من تجارب اليسار في دول أخرى كأوروبا والصين، وتبنى قضايا ليس لها علاقة بقيادات الحرب الباردة، التمسك بالدور النقابي، فاليسار هو المسيطر على النقابات وتفعيلها على أسس جديدة، تبني قضايا ليس لها علاقة بالنظرية الماركسية التقليدية، مثل البنية التحتية، الخدمات

³⁸² أحمد قطامش. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁸³ نايف حواتمة. (٢٠٠٦، ٤ شباط): يحلل أسباب فوز حركة حماس وتراجع حركة فتح واليسار الفلسطيني. مصدر سبق ذكره.

³⁸⁴ قيس عبد الكريم. (١٩٩٨): متغيرات المرحلة واستحقاقات التجديد. مصدر سبق ذكره. ص ١٨٥.

³⁸⁵ نايف حواتمة. (٢٠٠٦، ٤ شباط). مصدر سبق ذكره.

³⁸⁶ المصدر نفسه.

³⁸⁷ عبد الرحمن عوض الله. اتصال شخصي. مصدر سبق ذكره.

الصحية للجميع، وقضايا أخرى، فالحركات الاشتراكية في فرنسا وإيطاليا تحصل على نسبة كبيرة من تأييد الناخبين لتبنيها قضايا تقدمية عادلة كما يراها جمهورها، فهناك ما يميزهم عن اليمين³⁸⁸.

يتضح مما سبق أن اليسار الفلسطيني يعاني من أزمة عميقة لها أسبابها وعواملها المختلفة، ووعي هذه الأزمة والاعتراف بها يعد المدخل الهام للخروج منها، لكن الأكثر أهمية من ذلك هو البدء بخطوات عملية لحل الأزمة، وكما يقول ماركس "من المهم معرفة العالم، ولكن الأهم من ذلك العمل على تغييره"، وحسب ماوتسي تونغ "خطوة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة" وكما يقول نايف حواتمة إن قوة اليسار وفعاليته المستقبلية تكمن في قدرة الأمم على صياغة مستقبلها، أي توفير سياسات بديلة³⁸⁹. فإن اليسار الفلسطيني اليوم وليس غداً مطالب بما يلي:

داخليا:

- القيام بمراجعة نقدية وشاملة للفكر الماركسي.
- بدء تغيير جذري لطبيعة العلاقات الحزبية الداخلية بحيث يسودها مبدأ "الديمقراطية المركزية" وليس "المركزية الديمقراطية"
- إجراء انتخابات دورية من قاعدة الهرم حتى قمته.
- الاعتماد في التمويل على الذات وليس على الدعم المحلي أو الخارجي، وصولاً إلى استقلالية القرار، وحسب ماركس "السياسة تجري وراء الاقتصاد بطواعية".

وطنياً:

- تمتين العلاقات بين أطراف اليسار في الساحة الفلسطينية وصولاً إلى الوحدة بين أطرافه.
- التأثير على البرجوازية الوطنية للحد من تجاوزها مع أية ضغوطات عربية رسمية أو أمريكية أو أوروبية، للانتقاص من حقوق الشعب الفلسطيني.
- وضع برامج اجتماعية واقتصادية إلى جانب البرنامج الوطني العام.
- الالتزام بالبرنامج الوطني المتمثل بحق العودة، وتقرير المصير، وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

³⁸⁸ سليم تماري. مقابلة. مصدر سبق ذكره.

³⁸⁹ نايف حواتمة. اليسار الديمقراطي وأفاق التطور والإحياء التقدمي.

- الضغط باتجاه إعادة دور منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده.
- يجب على اليسار الفلسطيني أن يبقى في المرحلة الحالية في المعارضة لإحداث توازن بين الاستقطاب الثنائي بين البرجوازية الوطنية والتيار الديني.
- يجب على اليسار أن يبقى مشدوداً تجاه القضايا الوطنية، ويعمل على تثقيف الناس باعتبار المرحلة لا زالت مرحلة تحرر وطني تستوجب مواصلة النضال، وليس الركون لاتفاقيات السلام التي وصلت لطريق مسدود، ولن تقود إلى استعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

عربياً وإسلامياً:

- تقوية العلاقات مع القوى اليسارية والجماهير والأنظمة الوطنية في العالم العربي من جهة، والتخلص من التبعية لبعض الأنظمة العربية التي تحاول الهيمنة على القرار الوطني الفلسطيني من جهة ثانية.
- تقوية العلاقات مع الجماهير الفلسطينية المتواجدة في دول الشتات، خاصة في الأردن، سوريا ولبنان.
- تقوية العلاقات مع الدول الإسلامية المناصرة للحق الفلسطيني والمدافعة عنه خاصة إيران.

دولياً:

- تقوية العلاقات مع القوى والأحزاب اليسارية العالمية والاستفادة من تجاربها وما حقته من إنجازات.
- تمثين العلاقات مع الدول التي ما تزال تسير على الخط الاشتراكي خاصة الصين، كوريا، وبعض دول أميركا اللاتينية، والدول الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني مثل روسيا.

الخاتمة

حاولت هذه الرسالة تسليط الضوء على الوضع الذي آل إليه اليسار الفلسطيني في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد اتفاقية أوسلو وما بعدها، حيث تركت هذه الاتفاقية أثرها على واقع الحركة الوطنية الفلسطينية وخاصة على قوى اليسار.

وقد احتل الإسلام السياسي موقع المعارضة السياسية في البداية، ثم أصبح المنافس الأقوى للاتجاه المركزي في الساحة الفلسطينية، واحتل مركز الصدارة مؤخراً بعد الانتخابات التشريعية التي جرت في كانون ثاني/يناير ٢٠٠٦م

لقد كان اليسار قوياً ومؤثراً في بداية السبعينات والثمانينات وبقي مؤثراً على الساحة الفلسطينية مع استمرار انتصارات قوى التحرر في أنحاء العالم والدور الدولي النشط للإتحاد السوفيتي في دعم منظمة التحرير والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، حيث ترك اليسار بصماته على القرار الوطني والبرنامج المرهلي للمنظمة وكذلك النضال الجماهيري وعلاقاته مع الأحزاب العربية والعالمية، وبشكل عام على مجمل مسيرة النضال الوطني الفلسطيني.

إلا أن هذا اليسار لم يتجاوز وزنه كمعارضة، ولم يهدد الاتجاه المركزي في الحركة الوطنية، ولم يحدث توازناً يحسن من تأثيره وشراسته في صنع القرار.

وتزامن هذا الوضع مع توقيع اتفاقية أوسلو وإقامة السلطة الفلسطينية، الأمر الذي أسهم بشكل كبير سلباً على اليسار وأحدث تراجعاً ملحوظاً في دوره وبرنامج الاجتماعي والنقابي مع تقدم قوى أخرى على الساحة، كما نأى اليسار بنفسه بعيداً عن الصراع ضد السلطة الناتجة عن أوسلو وعن العمل معها أو المشاركة فيها.

هذا الواقع خلق أزمة برنامجية لدى اليسار أصابته بالشلل وتعطل البعد الاجتماعي في نشاطه، وانشغل في تأكيد الجانب السياسي حيث تمحورت أدبياته في السنوات الأخيرة في التأكيد على الموقف السياسي المباشر وتركزت المسألة حول السلطة السياسية القائمة والمشاريع المطروحة والمفاوضات رفضاً أو قبولاً، أو في إصلاح السلطة السياسية مغفلاً الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية في المجتمع.

من جهة أخرى قام اليسار في تعاطيه مع مختلف قضايا الشأن الداخلي بتقديم حلول وصيغ عمل لا تراعي خصوصية المجتمع الفلسطيني ولا تركيبته الثقافية والاجتماعية.

وبرزت الأزمة خلال الانتفاضة الثانية " انتفاضة الأقصى " التي كشفت عدم جاهزية اليسار وافتقاده لأدوات العمل ومحدودية الدور والموقع في ظل التنافس بين حركتي فتح وحماس. واشتدت الأزمة بقوة في الانتخابات التشريعية الثانية التي حصل فيها اليسار على نسب ضئيلة، حيث كشفت عن حالة التفكك والتشرذم التي يعيشها، إلى درجة أن بعض المحللين والمراقبين اليساريين بدعوا بنعي اليسار الذي حسب رأيهم دخل في حالة موت سريري منذ مدة تزيد على عقد من الزمن.

بالتأكيد كان لهذه الأزمة أسبابها الذاتية والموضوعية، هذا ولا يمكن إغفال أهمية العامل الأخير في الأزمة الناتج عن انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية التي كانت داعماً قوياً للييسار وللقضية الفلسطينية، إلا أن الأزمة في جوهرها هي أزمة بنوية. والنتيجة ببساطة إنها أزمة الهوية، أزمة الدور، أزمة التحالف والإنخراط في جهة موحدة وتيار منظم.

المراجع

الكتب

- بدوان، علي. (٢٠٠٤): الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. في: فيصل دراج، محمد جمال باروت (معد). الأحزاب والحركات اليسارية (٦٠٣-٦٥٤). المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، الإمارات. الجزء الثاني.
- بركات، حليم. (٢٠٠٠): المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- بلا كاتب. (١٩٨٩): محطات أساسية في مسيرة الجبهة الشعبية. الطبعة الأولى دار الشعلة، فلسطين.
- بلا كاتب. (٢٠٠٣): مشروع الوثائق البرنامجية، التجمع الديمقراطي الفلسطيني. فلسطين.
- توما، إميل. (١٩٩٥): تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديثة الأعمال الكاملة، الطبعة الأولى. المجلد الثاني. معهد إميل توما للأبحاث السياسية والاجتماعية، حيفا.
- جرادات، علي. (١٩٩٩): اليسار الفلسطيني هزيمة الديمقراطية، الطبعة الأولى. مؤسسة مواطن، رام الله.
- جزماتي، نذير. (٢٠٠٤): الحزب الشيوعي الفلسطيني. في: فيصل دراج، محمد جمال باروت (معد). الأحزاب والحركات اليسارية (الصفحات). المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، الإمارات. الجزء الأول.
- حبش، جورج. (بلا سنة): الواقع الراهن الطموح والمسؤولية، بلا طبعة. دار الفداء للنشر، بلا مكان النشر.
- حنفي، حسن. (١٩٩٦): اليمين واليسار في الفكر الديني، الطبعة الأولى. دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، بيروت.
- حواتمة، نايف. (١٩٩٨): أوصلو والسلام الآخر المتوازن، الطبعة الأولى. دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- راينهارت، تانيا. (٢٠٠٤): اسرائيل/ فلسطين سبل إنهاء حرب ١٩٤٨ بين استراتيجيات

- التدمير وأوهام السلام. ترجمة رعدة بعث ورشا الصباغ. دار الفكر، دمشق.
- سالم، وليد. (٢٠٠٠): المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين، الطبعة الأولى. مؤسسة مواطن، رام الله.
- سمارة، سميح. (١٩٧٩): العمل الشيوعي في فلسطين، والطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية"، الطبعة الأولى. الفارابي، بيروت.
- الشريف، ماهر. (١٩٨١): الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩١٩-١٩٤٨، الطبعة الأولى. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا.
- الشريف، ماهر. (١٩٨١): الشيوعيون وقضايا الوضع الراهن، الطبعة الأولى. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، بيروت.
- الشريف، ماهر. (١٩٩٥): البحث عن كيان، الطبعة الأولى. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا.
- صايغ، يزيد. (٢٠٠٢): الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الطبعة الأولى. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
- الطاهر، ماهر. (٢٠٠٤): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. في: فيصل دراج، محمد جمال باروت (معد). الأحزاب والحركات اليسارية (٥٤٥-٥٩٩). المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، الإمارات. الجزء الثاني.
- عبد الكريم، قيس، وآخرون. (١٩٩٧): الطريق الوعر نظرة على المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية من مدريد إلى أوسلو، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت.
- عبد الكريم، قيس، وآخرون. (١٩٩٨): سلام أوسلو بين الوهم والحقيقة، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت.
- عبد الكريم، قيس، وآخرون. (١٩٩٩): القبضة المثقوبة نظرة على المفاوضات والحركة الجماهيرية من مجيء نتياهو إلى بروتوكول الخليل، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت.
- عبد الكريم، قيس، وآخرون. (١٩٩٩): خمس سنوات على اتفاق أوسلو، الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت.
- عبد الكريم، قيس، وسليمان، فهد. (٢٠٠١): الجبهة الديمقراطية .. النشأة والمسار،

- الطبعة الأولى. دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت.
- عميرة، حنا. (٢٠٠٠): الآفاق السياسية للانتفاضة، الطبعة الأولى. مؤسسة التنوير للترجمة والطباعة والنشر، رام الله.
- الكبيسي، باسل. (١٩٨٥): حركة القوميين العرب. تعريب نادرة الكبيسي. الطبعة الرابعة. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.
- محمد صالح، محسن. (٢٠٠٣): فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، الطبعة الأولى. مركز الإعلام العربي، الجيزة.
- مروة، كريم. (١٩٩٧): حوار الأيديولوجيات بين أفكار ماركسية وأفكار دينية، الطبعة الأولى. دار الفارابي، بيروت.
- من كتابات بشير البرغوثي مقالات في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية (٢٠٠٣): مركز فؤاد نصار، رام الله.
- ننتياهو، بنيامين. (١٩٩٦): مكان بين الأمم، الطبعة الثانية. دار عمان الأهلية للطباعة والنشر، عمان.
- هلال، جميل. (١٩٩٨): النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو دراسة تحليلية نقدية، الطبعة الأولى. مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومؤسسة مواطن، بيروت.

الدوريات

- حبش، جورج. (١٩٩٢): "فلنحتكم إلى الشعب قبل الإقدام على حلول وخطوات سياسية". صوت الوطن. ٣٨.
- الحوت، شفيق. (١٩٩٦): "أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية". المستقبل العربي. ٢١.
- الحوراني، فيصل. (١٩٩٢): "محور اليسار الفلسطيني". صوت الوطن. ٣٨.
- دنداف، عماد. (١٩٩٦): "نايف حواتمة يتحدث". دار الكاتب. دمشق.
- الشريف، ماهر. (١٩٩٣): "أفكار عن الماركسية وبعض مظاهر أزمتها". صوت الوطن. ٤٥.

- الشريف، ماهر. (٢٠٠٣): "هل للييسار الماركسي مستقبل في عالم متغير". الطريق. ٥-٦.
- الصالحي، بسام. (١٩٩٢): "الواقع الجديد والحاجة إلى رؤية استراتيجية جديدة". صوت الوطن. ٣٧.
- عبد الجواد، صالح. (١٩٩١): "فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة وشعارات الجدران". الدراسات الفلسطينية، ٧.
- عوض الله، حيدر. (١٩٩٢): " في مفهوم اليسار واليسار الفلسطيني". صوت الوطن. ٣٧.
- غريش، آلان. (١٩٨٨): "الحركة الشيوعية والحركة القومية في الشرق الأوسط، التجربة الفلسطينية منذ ١٩٤٨". ترجمة هيوك وعادل يحيى. الكاتب. ١٠٤.
- مروة، كريم. (أيار، ١٩٩٢): "أزمة الفكر السياسي العربي". المستقبل العربي، ١٥٩.
- مروة، كريم. (كانون ثاني - شباط ١٩٩٥): "أزمة الفكر السياسي العربي.. أزمة تطور وأزمة وعي". الطريق. ١.
- مروة، كريم. (شباط، ٢٠٠٠): "أين الخطأ في التجربة الاشتراكية المنهارة". الطريق. ١.
- مروة، كريم. (صيف، ٢٠٠١): "هل للاشتراكية مستقبل في بلداننا العربية وفي العالم". النهج. ٦٣.
- ملوح، عبد الرحيم. (١٩٩٧): "حوار". السياسة الفلسطينية. ١٥، ١٦.
- هلال، جميل. (١٩٩٢): "معضلات توحيد اليسار الفلسطيني". صوت الوطن. ٣٧.
- هلال، جميل. (شتاء، ١٩٩٦): "حيثيات تشكيل قطب سياسي ثالث في الساحة الفلسطينية". الدراسات الفلسطينية. ٢٥.

المجلات

- أبو غوش، نهاد. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "أزمة اليسار الفلسطيني والاستحقاقات المقبلة".
تسامح. ١٠.
- حبيب، هاني. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "التيار الديمقراطي واستحقاقات المرحلة المقبلة".
تسامح. ١٠.
- الصفدي، صلعت. (آذار، ٢٠٠٦): "اليسار الفلسطيني إلى أين؟. البيادر السياسي. ٧٩٨.
- عطا الله، أكرم. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "أزمة اليسار الفلسطيني، محطة عابرة .. أم بداية النهاية". تسامح. ١٠.
- المجدلاوي، محمد. (تشرين أول، ٢٠٠٥): "اليسار الفلسطيني.. استطلاع الواقع واستشراف الآفاق". تسامح. ١٠.

الصحف

- إسرائيل تقتحم سجن أريحا وتعتقل سعدات والشوبكي، و٤ آخرين. (٢٠٠٦، ١٥ آذار).
القدس، ص ١، ٢٩.
- حبش، جورج. (٢٠٠٥، ١١ كانون ثاني): مقابلة. الرأي الأردني، ص ٥.
- حواتمة، نايف. (٢٠٠٦، ٤ شباط): يحلل أسباب فوز حماس وتراجع حركة فتح. القدس،
ص ١.
- خضر قرش، محمد. (٢٠٠٥، ٧ تشرين أول): اليسار الفلسطيني وفقدان البوصلة.
القدس، ص ١٦.
- زلزال سياسي يهز المنطقة. (٢٠٠٦، ٢٧ كانون ثاني). القدس، ص ١.
- سعدات، أحمد. (٢٠٠٥، ١١ كانون أول): الخلافات السياسية والحسابات الضيقة أفضلت
تشكيل قائمة موحدة. الرأي الأردني، ص ٤.
- فراج، حمدي. (٢٠٠٦، ٢٨ شباط): يسار يميني. القدس، ص ١٦.

الموسوعات

- الكيالي، عبد الوهاب. (معد). (١٩٨٥): موسوعة السياسة. الطبعة الأولى. الجزء الأول. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- الكيالي، عبد الوهاب. (معد). (١٩٨٧): موسوعة السياسة. الطبعة الأولى. دار الهدى للنشر والتوزيع. كفر قرع.
- الكيالي، عبد الوهاب. (معد). (١٩٨٩): موسوعة السياسة. الطبعة الثانية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- الكيالي، عبد الوهاب. (معد). (١٩٩٤): موسوعة السياسة. الطبعة الأولى. الجزء السابع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "تقسيم فلسطين". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الأول. الطبعة الأولى.
- الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الثاني. الطبعة الأولى.
- الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الثاني. الطبعة الأولى.
- الموسوعة الفلسطينية (١٩٨٤): "الحزب الشيوعي الفلسطيني". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. المجلد الثاني. الطبعة الأولى.
- الموسوعة الفلسطينية (١٩٩٠): "دراسات القضية الفلسطينية". هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق. الدراسات الخاصة. القسم الثاني. المجلد الخامس. الطبعة الأولى.

اللقاءات والاتصالات الشخصية

أولاً: اللقاءات

- أحمد صبح/ وكيل وزارة الإعلام في السلطة الوطنية (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): موقف السلطة الوطنية الفلسطينية من اليسار. البيرة.
- أحمد قطامش/ أحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الداخل سابقاً (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. مركز منيف البرغوثي. البيرة.
- بسام الصالحي/ الأمين العام لحزب الشعب الفلسطيني، النائب في المجلس التشريعي عن قائمة البديل (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): حزب الشعب الفلسطيني. مقر حزب الشعب. رام الله.
- تيسير عاروري/ المنسق العام للتجمع الديمقراطي الفلسطيني، عضو مجلس وطني، محاضر في جامعة بير زيت (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): اليسار الفلسطيني بعد أوسلو. البيرة.
- زكريا محمد/ كاتب فلسطيني (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): اليسار الفلسطيني. رام الله.
- ساجي سلامة/ عضو المجلس الوطني الفلسطيني، مدير عام دائرة شؤون اللاجئين في م.ت.ف، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية سابقاً (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): أزمة اليسار الفلسطيني. مقر دائرة اللاجئين الفلسطينيين. البيرة.
- سليم تماري/ مدير مؤسسة الدراسات المقدسية (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): اليسار الفلسطيني. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، البيرة.
- سميح شبيب/ أستاذ محاضر في دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): أزمة اليسار الفلسطيني. جامعة بير زيت.
- عبد المجيد حمدان/ منسق أمانة عامة سابق في حزب الشعب الفلسطيني (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥): حزب الشعب الفلسطيني. مقر الحزب، رام الله.
- قيس عبد الكريم/ عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، النائب في المجلس التشريعي عن قائمة البديل (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥): الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. مركز المسار للدراسات، رام الله.

- مهند عبد الحميد/ مدير عام الخدمات الصحفية في وزارة الإعلام الفلسطينية، كادر يساري سابق (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): اليسار الفلسطيني. مقر وزارة الإعلام. البيرة.
- نعيم الأشهب/ أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الفلسطيني (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): حزب الشعب الفلسطيني. مقر الحزب. رام الله.
- ياسر عبد ربه/ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): أزمة اليسار الفلسطيني بعد أوسلو. مركز تحالف السلام. البيرة.

ثانياً: الاتصالات الشخصية

- أحمد سعادات/ الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، النائب في المجلس التشريعي عن قائمة الشهيد أبو علي مصطفى (تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٥): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. سجن أريحا.
- أحمد عبد الرحمن/ مستشار الرئيس الفلسطيني محمود عباس للشؤون السياسية، الناطق الرسمي باسم حركة فتح (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): موقف السلطة الوطنية الفلسطينية من اليسار. البيرة.
- جميل مجدلاوي/ عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن قائمة الشهيد أبو علي مصطفى (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. غزة.
- حنا عميرة/ عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني، عضو اللجنة التنفيذية ل.م.ت.ف (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): حزب الشعب الفلسطيني. القدس.
- صالح زيدان/ عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. غزة.
- طلال عوكل/ صحفي ومحلل سياسي، شخصية يسارية ديمقراطية (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): اليسار الفلسطيني. وزارة الإعلام. غزة.
- عبد الرحمن عوض الله عضو المكتب السياسي في حزب الشعب الفلسطيني (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥): حزب الشعب الفلسطيني. غزة.
- غازي الصوراني/ مفكر قومي، (٢٠٠٥-٥٠٠٦): اليسار الفلسطيني. غزة.

- محمد أبو لبدة/ صحفي، شخصية يسارية ديمقراطية (٢٠٠٥-٢٠٠٦): اليسار الفلسطيني. القدس.

- هاني المصري/ كاتب ومحلل سياسي (تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥): أزمة اليسار الفلسطيني. نابلس.

مؤتمرات، ورش عمل وندوات

أولاً: المؤتمرات:

- (١٩٩٨): إمكانية نشوء أحزاب جديدة. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

- البرغوثي، مصطفى. (١٩٩٨): إمكانية نشوء أحزاب جديدة. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله. ص ص ٢٢٣-٢٢٨.

- التلحمي، داوود. (١٩٩٨): القطب الثالث التجربة والآفاق. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

- سعادة، مازن. (١٩٩٨): المعوقات الذاتية والداخلية لتجديد الأحزاب القديمة.. استحالة تجديد التاريخ. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

- عبد الكريم، قيس. (١٩٩٨): متغيرات المرحلة واستحقاقات التجديد. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

- الكفارنة، مروان. (١٩٩٨): المعوقات الذاتية والداخلية لنشور أحزاب جديدة أو تجديد الأحزاب القديمة. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

- ملوح، عبد الرحيم. (١٩٩٨): التغييرات البنيوية وآفاق التجديد. في: (بلا محرر)، ما بعد

الأزمة التغييرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

- النجار، محمود. (١٩٩٨): إمكانية نشوء أحزاب جديدة. في: (بلا محرر)، ما بعد الأزمة التغييرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية وآفاق العمل، (٢٢-٢٣ تشرين أول ١٩٩٨). مؤسسة مواطن، رام الله.

ثانياً: ورش العمل

- تلحمي، داوود. (٢٠٠٥): حضور الفكر اليساري في بدايات الثورة الفلسطينية المعاصرة ومسارها اللاحق. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة.
- الصالحي، بسام. (٢٠٠٥): رؤية حزب الشعب الفكرية الاجتماعية والديمقراطية. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة.
- الصباغ، زهير. (٢٠٠٥): من الحزب الشيوعي الفلسطيني إلى حزب الشعب الفلسطيني. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة.
- عساف، عمر. (٢٠٠٥): تجربة الجبهة الديمقراطية في الضفة والقطاع. في: أحمد قطامش (محرر)، أضواء على المسيرة اليسارية الفلسطينية ومقاربات يسارية أخرى، (٢٠ نيسان ٢٠٠٥). مركز منيف البرغوثي الثقافي، البيرة.

الندوات:

- عوض الله، عبد الرحمن. (٢٠٠٠): الحركة الشيوعية الفلسطينية وحزب الشعب. في: ناهض زقوت (محرر)، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، (٢-٤ حزيران ٢٠٠٠). المركز القومي للدراسات والتوثيق ومنتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، غزة.
- مجدلاوي، جميل. (٢٠٠٠): استشراف المستقبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. في: ناهض زقوت (محرر)، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، (٢-٤ حزيران ٢٠٠٠). المركز القومي للدراسات والتوثيق ومنتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، غزة.

مؤتمرات صحفية

الشوبكي، جمال. (٢٠٠٥، ١ تشرين أول): مؤتمر صحفي حول نتائج الانتخابات المحلية. مركز الإعلام. البيرة.

وثائق:

- العاروري، تيسير. (تشرين أول ١٩٩٨): أزمة حزب الشعب الفلسطيني. في: المؤتمر الثالث للحزب. حزب الشعب الفلسطيني. رام الله.

إصدارات الأحزاب الفلسطينية:

- الإعلام المركزي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (خريف ١٩٩٤): حول الأزمة في الحركة الثورية العالمية واتجاهات التغيير في عالمنا المعاصر. المؤتمر الوطني الثالث.
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٤): البرنامج السياسي والنظام الداخلي الصادر عن المؤتمر الوطني العام الثالث. رام الله.
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٨): الدولة المستقلة والسيادة الوطنية. وثائق المؤتمر الوطني العام الرابع.
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. (١٩٩٨): مأزق التسوية وآفاق النهوض الوطني. وثائق الكونغرس الوطني العام الثالث.
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (١٩٩٣): التقرير العام الصادر عن المؤتمر الوطني الخامس.
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (١٩٩٧): المؤتمر الوطني السادس، الطبعة الأولى. رام الله.
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين/ اللجنة المركزية العامة. (٢٠٠٠): ملحق لوثائق المؤتمر الوطني السادس.
- حزب الشعب الفلسطيني. (١٩٩٨): البرنامج السياسي والنظام الداخلي. اللجنة المركزية للحزب. المؤتمر الثالث. رام الله.
- حزب الشعب الفلسطيني. (٢٠٠٤): الانتفاضة الفلسطينية، من بيانات الحزب.
- حزب الشعب الفلسطيني. (أيلول/ ٢٠٠٤): عاشت انتفاضة شعبنا البطل ولنتوحد الجهود لتعزيز الطابع الشعبي للانتفاضة، من بيانات الحزب.
- حزب الشعب الفلسطيني. (آب/ ٢٠٠٥): الاسحاب إنجاز هام ولكن على الجميع اليقظة من الأخطار المبيتة، من بيانات الحزب.
- المكتب الإعلامي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مقابلة مع د. جورج حبش. بلا تاريخ.

مؤسسات

وزارة التعليم العالي في رام الله وغزة. انتخابات مجالس الطلبة في الجامعات الفلسطينية.

موقع الانترنت تم زيارتها

١. مواقع الأحزاب على الانترنت

- موقع اليسار الفلسطيني
(http:// www.alyasar.net)
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
(http:// www.pflp-palestine.org)
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
(http:// www.alhouroah.org)
- حزب الشعب الفلسطيني
(http://www.palpeople.org)

٢. مواقع أخرى

- أبو علي مصطفى.. نهاية خاطفة.
(www.aljazeera.net/News/archive?ArchiveId=14885.23/4/1426 .)
- أحمد مجدلاني، " نحو إعادة بناء وتجديد اليسار الفلسطيني"، شبكة الانترنت للإعلام العربي
Arabic Media Internet network
(www.amin.org/views/ahmad_majdalani/2002/sept18.html)
- برنامج دراسات التنمية التابع لجامعة بيرزيت.
(home.birzeit.edu/dsp/arabic/opiniopolls/poll23)
- داوود تلحمي (. (تشرين أول، ٢٠٠٥): تيارات الفكر السياسي الفلسطيني،.. وآفاق نهوض
التيار اليساري". شبكة الانترنت للإعلام العربي
Arabic Media Internet network
http://www.amin.org/views/uncat/2005/oct/oct24-6.html.
- رمش العين، بوابة فلسطين.
www.eyesh.ps.palgate/eges-bresistance.htm
- سعدات يخلف مصطفى في قيادة الجبهة الشعبية.

(www.aljazeera.net/News/archive?ArchiveId=17297.23/4/1426)

- لجنة الانتخابات المركزية

([http:// www.elections.ps](http://www.elections.ps))

- مجلة الطرق، تحالف السلام الفلسطيني . "نتائج المرحلة الرابعة من الانتخابات المحلية فلسطين.

www.alttareek.org/details.php 20/2/2006

- مركز القدس للاتصال والإعلام: نتائج استطلاع حول آراء الفلسطينيين بالقضايا السياسية.
(jmcc.org/arabic/polls/05/no54arabic.pdf)

- مهند عبد الحميد. " اليسار الفلسطيني والدور المفقود"، شبكة الانترنت للإعلام العربي،

(www.amin.org/views/mohannad_abdul_hamid/2004/may25.html).

- نايف حواتمة. اليسار الديمقراطي وآفاق التطور والإحياء التقدمي.

([www.rezgar.com/debat/show. Art.art.asp?aid=58338](http://www.rezgar.com/debat/show.Art.art.asp?aid=58338))

- يزيد صايغ، خليل الشقافي، تقرير فريق العمل المستقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية،
المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية.

(www.pcpsr.org/Arabic/cfr/full2.htm1 15/1/1427)

الصفحة	المبحث
	إهداء
I	إقرار
II	شكر و عرفان
III	الملخص باللغة العربية
V	الملخص باللغة الإنجليزية (Abstract)
١	المقدمة
٦	الفصل الأول: نشأة اليسار الفلسطيني
٦	المقدمة
٧	حزب الشعب الفلسطيني " وريث الحزب الشيوعي الفلسطيني "
٩	مواقف الحزب من الحركة القومية خلال العشرينات
١٠	الانعطاف في سياسة الحزب تجاه القضية الوطنية
١١	عصبة التحرر الوطني في فلسطين
١٣	المرحلة من أواخر عام ١٩٤٨ - شباط/فبراير ١٩٨٢
١٧	المرحلة من فبراير/شباط ١٩٨٢ حتى مطلع عام ٢٠٠٠
١٨	مؤتمرات حزب الشعب
٢١	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٢١	التكوين والتنظيم
٢٩	مؤتمرات الجبهة الشعبية
٣٤	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
٣٤	النشأة والتأسيس
٣٥	المواقف السياسية والفكرية
٣٦	مؤتمرات الجبهة الديمقراطية

٤٣	الفصل الثاني: موقف ودور اليسار الفلسطيني
٤٣	المقدمة
٥٠	موقف اليسار من العملية السلمية
٥٢	حزب الشعب الفلسطيني
٥٣	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٥٤	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
٥٧	موقف اليسار من السلطة الوطنية الفلسطينية
٥٩	حزب الشعب الفلسطيني
٦٠	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٦١	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
٦٣	موقف السلطة الوطنية الفلسطينية من اليسار
٦٤	اليسار ووسائل النضال "المقاومة"
٦٥	حزب الشعب الفلسطيني
٧٢	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٧٦	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
٧٨	علاقة اليسار مع الجمهور الفلسطيني
٨٤	حزب الشعب الفلسطيني
٨٧	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٨٨	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
٩٤	الفصل الثالث: أزمة اليسار الفلسطيني وأسبابها
٩٤	المقدمة
٩٧	أسباب أزمة اليسار
١٠١	الأسباب الموضوعية
١٠٥	الأسباب الفكرية
١٠٨	الأسباب البنوية
١١٣	الأسباب السياسية
١١٧	الأسباب الاجتماعية
١٢٢	انعكاسات الأزمة على فصائل اليسار الفلسطيني
١٢٢	الانعكاسات الموضوعية والفكرية

١٢٨	الانعكاسات البنوية
١٢٩	الانعكاسات السياسية
١٣٢	الفصل الرابع: مستقبل اليسار والدور المطلوب منه
١٣٢	المقدمة
١٣٣	مستقبل اليسار
١٣٦	محاولات لتوحيد اليسار
١٤١	اليسار ومتطلبات التجديد
١٤٣	الدور المطلوب من اليسار
١٤٣	على الصعيد الفكري
١٤٤	على الصعيد التنظيمي
١٤٦	على الصعيد الوطني
١٤٧	على الصعيد الدولي
١٥٠	الخاتمة
١٥٢	المراجع